المنجز الحضاري لأمة العرب ... لماذا ؟ !

الدكتور محمد البكاء

■ يجمع اغلب مفكري الغرب ومثقفيه على ان صراع الحاضر والمستقبل هو صراع حضاري وثقافي ، بل يذهب بعضهم (هنتغتون) الى ابعد من ذلك ، فيرى : انه صراع بين حضارات سائدة ، ذلك ان الخلاف بين الحضارات حقيقة قائمة لا يمكن نكرانها .. وفي عصر ياخذ فيه الوعي الحضاري بالتزايد والتكون ، فان الصراع قادم لا محالة ، وان هذا الصراع سيحل محل النزاعات الايديولوجية ، وانه سيكون اكثر شدة وعنفاً بين الحضارات المختلفة قياساً الى ما هو حاصل بين المجموعات في الحضارة الواحدة عينها .

ان هذا التوصيف المستقبلي للصراع الحضاري جعل المحور البارز للسياسة العالمية قائماً على خلق علاقات غير متكافئة بين الغرب وشعوب العالم الاخرى ، لانه لا ينطلق بالتأكيد من رغبة جادة في التلاقح الحضاري او المعرفي او التفاعل المنشود .. لذا فان السعي لا ستقبال حضارة الغرب او الانضمام الى توصيفاتها ليكون جزءاً منها لابد ان يصطدم في النهاية بعقبات لا حصر لها .

ان ما يثيره هؤلاء من مفكرين ومثقفين غربيين لا يهدف الى تخفيف غلواء هذا الصراع او محاولة تشذيبه ، والاتجاه به نحو غايات واهداف تُخدم في محصلتها النهائية البشرية جمعاء ، لانه يأتي في سياق لفت نظر الغرب الاستعماري الى ان ياخذ حذره ، ويعمل على تطوير آلية عمله واستراتيجيته في مقابل شعوب ذات ارث حضاري عريق – وفي المقدمة منها امتنا العربية – بعد ان بدأت تعي ذاتها وتسعى جاهدة الى ان يكون لها دورها المنشود في عالم اليوم والمستقبل .

ولا يغفل مفكرو الغرب في تحليلهم طبيعة هذا الصراع . وضع (الثقافة) في مقدمة اهتمامهم ودورها في داخل هذا الصراع . لذا كان تاكيد ما نسميه اليوم : الغزو الثقافي . او الالحاق او التبعية التي تقود في النهاية الى الاستسلام او الانكسار . وتقبل الانموذج الحضاري

المضاد . وما يتمخض عنه من تحقيق مصالح سياسية واقتصادية يسعى الغرب الى تحقيقها من خلال استلاب الامة العربية وتغريبها .

لقد جاءت محاولات استدراج العقل العربي ومن ثم السعي الى احتلاله ، شانه في ذلك شعوب العالم الثالث الاخرى مرادفة كل محاولات التوسع والاستعمار التي تتطلب مسحاً ثقافياً واجتماعياً للشعوب المستهدفة . ثم لتتشابك مع الاهداف الاستعمارية التوسعية قديمها وحديثها ، واذ شهد منتصف القرن التاسع عشر ملامح نهضة قومية عربية ، كانت الدعوة الصهيونية الى انشاء (الكيان الصهيوني) عائقاً يحول بين الامة العربية ومشروعها النهضوي ، ومن ثم اغتيال مشروع التحديث العربي ، وما تلاه من سعي استعماري جاد لم يكتف بالتجزئة وتعميقها وتغذية النوازع القطرية ، بل عمد الى تشجيع الروح ألانهزامية والمفاهيم الرجعية ، وخلق حالة من التناقض بين التراث والمعاصرة ، وتشجيع الثقافة الممتدة بجذورها الى خارج كيان الامة ، وذلك بهدف طمس الوعي العربي ، واغتيال الروح النهضوية المنبعثة من رحم الامة ومعاناتها .

وفي العصر الحديث ، وبعد ان شخصت التناقضات الاساسية التي عاشها الواقع العربي ، وبدأت مرحلة الانبعاث القومي التي استوعبت اخطار التحدي الذي فرضه واقع ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وزرع الكيان الصهيوني كواحد من اخطر ثمار الظاهرة الاستعمارية التي عاشتها امتنا العربية فضلاً على امتلاكها الرؤية الصادقة المعمقة في تحقيق الاهداف التي تنشدها ، كان للتآمر الرجعي دوره في عزل جماهير شعبنا العربي وفرض الوصاية عليها ، وتعطيل طاقاتها ومن ثم ترجيح كفة التحالف الامبريالي الصهيوني ، بعد ان شهدت الخمسينات من هذا القرن عصراً ذهبياً عاشته حركة الثورة العربية المعاصرة .

ان الغرب الذي حاول ترويج صفقة اعلامية ضخمة مستغلاً احداث حزيران ١٩٦٧ ، وتسويق ان الهزيمة هي مال العرب باشاعة انماط ثقافية تدعو الى الياس وتشيع جواً من الاحباط يعود اليوم مرة اخرى لاغتيال المنجز الحضاري والمادي والمعرفي الذي حققته الامة العربية في محاولة لكسر شوكة الامة وثنيها عن مواصلة نهجها التنموي بعد وقوع بعض الانظمة العربية في مصيدة التحالف الامبريالي – الصهيوني ، وذلك من خلال ذريعة استراتيجية الاسباب المبررة للحرب ضد الامة واستهداف نهضتها القومية وجعلها كما هشا يمكن سلخه عند الطلب .

إلا أنَّ الملحمة الجهادية التي عبرت عنها « أم المعارك الخالدة » ستظل رمز حضور الأمة وفعلها التاريخي في رفض كل أشكال السيطرة والاستلاب والتغريب من اجل بناء مشروعها القومي النهضوي الحضاري

بغداد
المجد والازدهار الحضاري

أ . د .
رشيد عبد الله الجميلي
كلية التربية
الجامعة المستنصرية

يعد بناء بغداد اعظم انجاز معماري عبر عن قدرة الاستنباط في الفكر العربي الصميم فكان لبغداد طابعها المميز وسحرها الجذاب المعطر بروح الامة والمعبر عن اصالتها : فكانت كما ارادها الخليفة المنصور . لسان التاريخ والنبع الذي يمنح الانسانية أكمل حضارة وأوسع ثقافة .

وبغداد ولا شك هي من ابداع المنصور وتخطيطه وابتكاره ولم يكن تخطيطها مقتبساً من مدينة اخرى . فاهمية تخطيط بغداد تكمن في جوهرها اكثر من مظهرها ، وان هذا التخطيط إنموذج رائع من أهم نماذج تخطيط المدن التي عرفت عبر العصور ليس له نظير في اي مدينة سابقة لقيام الدولة العربية الاسلامية ، اذ هو تخطيط مبتكر من قبل الخليفة المنصور فبناء بغداد اعتمد على تنظيم هندسي دقيق وخبرات فنية ومعمارية وإمكانات مادية وجهود رائعة بذلها الخليفة المنصور واصحاب الخبرة والمعرفة من رجالات العرب الذين اسهموا في بنائها لتكون اعظم عاصمة لأعظم دولة[١]

وغدت بغداد في عصر الخليفة هارون الرشيد والمأمون من بعده قبلة العلماء والأدباء ، وأدت دوراً مهماً في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية وصلت فيه حاضر هذه الحضارة بماضي الانسانية في العلم والفكر والفلسفة والاجتماع ، واسهب الرحالة والمؤرخون في وصف أيام عزها وازدهارها وأشادوا باتقان هندستها وكثافة سكانها وامتداد اقتصادها وكثرة من أمّها واستوطنها من العلماء والمفكرين وقد صدق المؤرخ اليعقوبي حين قال : « ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها سعة وكبرا وعمارة ، وكثرة مياه ، وصحة هواء . سكنها من اصناف الناس وأهل الامصار والكور وانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية وآثرها جميع اهل الآفاق على اوطانهم فليس من اهل بلد الا ولهم فيها محلة ومتجر ومتصرف فاجتمع بها ما ليس في مدينة في الدنيا[٢] » وعن شمائل اهل بغداد وفضائلهم يقول

اليعقوبي :

« فليس عالم اعلم من عالمهم ولا أروى من راويتهم ، ولا أجدل من متكلمهم ، ولا اعرب من نحويهم . ولا اصح من قارئهم ، ولا امهر من متطببهم ، ولا احذق من مغنيهم ، ولا الطف من صانعهم ، ولا اكتب من كاتبهم ، ولا ابين من خطيبهم ، ولا اعبد من عابدهم ، ولا اورع من زاهدهم . ولا افقه من حاكمهم ، ولا اخطب من خطيبهم ، ولا اشعر من شاعرهم[٣] » كما نوه الخطيب البغدادي بجلالة قدر بغداد ومكانتها ، فقال : « لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها وفخامة أمرها وكثرة علمائها واعلامها وتميز خواصها وعوامها وعظم اقطارها وسعة اطرارها وكثرة دورها ومنازلها ودروبها وشعابها ومحالها واسواقها وسلكها وازقتها ومساجدها وحماماتها وطرازها وخاناتها وطيب هوائها[٤] »

وبغداد عند الامام محمد بن ادريس الشافعي هي الدنيا باسرها ، فقد روي عنه انه قال ليونس بن عبد الاعلى ، يا يونس أدخلت بغداد ؟ قال يونس : كلا . فقال الشافعي : يا يونس إنك لم تر الدنيا ولا الناس[٥] .

اما الشاعر محمد بن علي بن خلف فقد قال منوهاً بعظمة بغداد ورقة اهلها :

وقد طفت في شرق البلاد وغربها
وسيرت خيلي بينها وركابيا
فلم أر فيها مثل بغداد منزلاً
ولم أر فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل أهليها أرق شمائلاً
وأعذب ألفاظاً وأحلى معانيا

وقال ابن زريق البغدادي[٦] :

سافرت ابغي لبغداد وساكنها مثلاً
قد اخترت شيئاً دونه اليأس
هيهات بغداد والدنيا باجمعها
عندي وسكان بغداد هم الناس

المنصور يختار بغداد عاصمة لدولته :

كانت الفكرة السائدة عند تأسيس المدن العربية الاسلامية الأولى هي ان يقام في مركزها المسجد الجامع ودار الامارة وبيت المال ، ثم تبنى المنازل حولها ، وهذا ما اعتمده الخليفة المنصور في بنائه لمدينته ، غير ان الجديد في تخطيط بغداد هو ان يتساوى البعد بين المركز الذي فيه قصر الخلافة وبين جميع اطراف المدينة . وهذا ما لم يحدث قبل بغداد . والأمر الثاني هو انه لم يلاحظ في غير مدينة بغداد ان انبثقت من مركزها طرق مستقيمة ممتدة الى اطرافها ، هذا اضافة الى تقسيمها الى اربعة اقسام متساوية كل قسم منها مكتفياً اكتفاءً ذاتياً من حيث المساجد والحمامات والمتاجر وغيرها[٧] وعن شروع المنصور في بناء بغداد روى المؤرخون انه حين ولي الخلافة بنى مدينة بين الكوفة والحيرة سماها الهاشمية . واقام بها مدة الى ان عزم على توجيه ولده لحرب الروم سنة ١٤٠ هـ « فصار الى بغداد ، فوقف بها وقال : ما اسم هذا الموضع ؟ فقيل له : بغداد ، قال : والله انها المدينة التي اعلمني ابو محمد بن علي لكي أبنيها وانزلها وينزلها ولدي من بعدي . ولقد غفلت عنها الملوك حتى يتم تدبير الله لي وحكمه في وتصح الروايات وتبين الدلائل والعلامات والا فجزيرة بين دجلة والفرات ، دجلة شرقيها ، والفرات غربيها ، مشرعة للدنيا كل ما ياتي في دجلة من واسط والبصرة والأبلة والاحواز وفارس وعمان واليمامة والبحرين وما يتصل بذلك فاليها ترقى وبها ترسي ، وكذلك ما ياتي من الموصل وديار ربيعة واذربيجان وأرمينية بما يحمل في السفن في دجلة ، وما ياتي من ديار مضر والرقة والشام والمغرب بما يُحمل في السفن من الفرات ، فيها يَحُطُّ وينزل ، ومدرجة اهل الجبل اصبهان وكور خراسان ، فالحمد لله الذي ذخرها لي ، واغفل عنها كل من تقدمني ، والله لابنيها ثم اسكنها ايام حياتي ويسكنها ولدي من بعد ، ثم لتكونن اعمر مدينة في الارض »[٨] .

وبعد دراسة مستفيضة وعميقة للموقع الذي سيكون حاضرة لدولته انتهى المنصور الى صلاحيته وتوافر الشروط التي يهدف اليها من موضع العاصمة ، وقد عبر عن ذلك بقوله : (ما رأيت موضعاً اصلح لبناء مدينة من هذا الموضع[٩])

والواقع ان لهذا الاختيار اسباباً متعددة ، فهي تقع على الجانب الغربي من نهر دجلة حيث العمارة على جانبي النهر ، في حين كانت العمارة على الفرات تقتصر على ضفته الشرقية وموقعها المتوسط من العراق ووقوعها على الطرق التجارية ، الأمر الذي يكفل تموينها وسهولة اتصالها بباقي أنحاء الدولة . اضافة الى حصانة موقعها وطيب هوائها وجودة مناخها ومزارعها التي تسقيها مياه ترع تتفرع من نهر الرفيل الذي ياخذ من الفرات ومن نهر دجيل الذي ياخذ من دجلة في شماليها . وهذه الأراضي الواسعة تنتج محاصيل زراعية بمقادير كبيرة . كما ان هذه المنطقة التي اختارها المنصور تتميز بانها ارض فسيحة تتسع للبناء وتتصل بحقول تمد اهلها بما يحتاجونه من المنتجات الزراعية مهما بلغت الزيادة في عددهم ، اضافة الى ان وجود

الانهار والترع تشكل حواجز دفاعية تعيق تقدم الاعداء . كما يتوفر في هذا الموقع عدة مزايا عسكرية في مقدمتها بعده عن الدولة البيزنطينية التي تناصب الدولة العربية الاسلامية العداء ، ثم حصانته الطبيعية لوقوعه بين دجلة والفرات[١٠] .

وقد اهتم المنصور اهتماماً كبيراً بطريقة بناء بغداد من الناحية العسكرية فحصنها تحصيناً يصعب على العدو اقتحامها اذ جعلها على شكل دائري ليس بالمربع ولا المستطيل ، وهو اتجاه جديد في فن بناء المدن العربية الاسلامية وقد استهدف المنصور من ذلك ان يكون مركزها على مسافات متساوية من اجزاء الدائرة ، وقد ذكر ابن الفقيه ان الخليفة ابو جعفر المنصور جعل مدينته مدورة لان المدورة لها معان ليست للمربعة . وذلك ان المربعة اذا كان الملك في وسطها كان بعضها اقرب اليه من بعض ، والمدورة من حيث مسحت من امرها الى وسطها مستوياً لا يزيد بعضه على بعض[١١] .

والواقع ان التخطيط المستدير افضل في الدفاع والاستراتيجية العسكرية من التخطيط المربع او المستطيل ، فالاسوار المستديرة تتيح للمدافعين سهولة التحرك والرؤية بينما تحجب زوايا المربع او المستطيل جانباً من المنطقة المحيطة بالسور وتعرقل حركة المدافعين وتضطرهم الى التزام اركان المستطيل او المربع ويرى بعض الباحثين ان تخطيط المدينة المدورة يكون عادة اكثر تعرضاً للشمس والهواء من اي بناء اخر ، ومعنى ذلك ان المنصور قد توخى ان تكون مدينته صحية تشرق الشمس عليها من جميع نواحيها [١٢] .

وقد حرص الخليفة المنصور على ان يرى رسم مدينته قبل الشروع في بنائها فامر ان تخط طرقها بالرماد (واقبل يدخل من كل باب ويمر في فصلاتها وطاقاتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد ، ودار عليها ينظر اليها والى ما خط من خنادقها ، فلما فعل ذلك امر ان يجعل على تلك الخطوط حب القطن ، وينصب عليه النفط ، فنظر اليها والنار تشتعل : ففهمها وعرف رسمها ، وامر ان يحفر اساس ذلك على الرسم ثم ابتديء في عملها[١٣]) ، وروى الخطيب البغدادي ان المنصور لما عزم على بناء عاصمته احضر الحجاج بن أرطاة وابا حنيفة النعمان بن ثابت ، واحضر معهما اهل المعرفة و(مثل لهم صفة المدينة التي في نفسه)[١٤] . واستنتاجاً من النص السابق والنص الذي اورده الطبري يمكن القول ان للخليفة المنصور نظرة فاحصة وصائبة في ميدان العمارة ومعرفة بالنواحي الهندسية والمعمارية التي لم تلبث ان انعكست على سعيه في بناء مدينته فامتزجت مع آراء مهندسيه ومعمارييه فكان نتاج هذا الالتقاء ثمرة يانعة في عالم العمارة اصبحت مفخرة من مفاخر التراث العربي المعماري[١٥]

فقد جاء تخطيط بغداد تخطيطاً لا نظير له في اي مدينة سابقة او لاحقة ، وهو تخطيط مبتكر قام المنصور نفسه بتصميمه على الطبيعة وهو ما اكدته رواية الطبري من ان المنصور : (خطها وقدر بناءها ، ووضع اول لبنة بيده ، وقال : بسم الله والحمد لله ، والارض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين ، ثم قال : إبنوا على بركة الله)[١٦]

* تالق في عهد الرشيد :

اصبحت بغداد في عصر الخليفة الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ) كعبة العلم والادب ومركز التجارة والصناعة ، فقد كان عهده من ازهى العهود التي مرت بها دولة بني العباس ، بسبب ما اشتهر به من ميل للعلوم وإقبال على الأدب والفنون ، فكان عصره يمثل بحق العصر الذهبي للحضارة العربية ، حتى اصبح الرشيد مثلاً يسعى الى التشبه به ابرز رجالات عصره من الامراء والوزراء والكتاب ، وغدت بغداد (ام الدنيا وقبلة العلماء) .

ومن مفاخر هذا العصر الذي تالقت خلاله بغداد ظهور (بيت الحكمة) تلك المؤسسة العلمية التي ضمت العلماء من مختلف الاجناس والاديان والاختصاصات العلمية وأصبحت بحق من اعظم المعاهد التي نشات بعد مكتبة الاسكندرية في عهد البطالسة[١٧] .

وقد أدى ظهور بيت الحكمة في عهد الرشيد ومن ثم تطوره في خلافة ولده المامون (١٩٨ - ٢١٨ هـ) الى اضطلاع هذه المؤسسة باحتضان العلوم العربية بكل فروعها والعلوم الاجنبية التي ترجمت الى العربية حتى اصبحت هذه العلوم مجتمعة او منفردة محور نشاطها العلمي من حيث برامجها وخططها ومحتوياتها ومجالس مناظراتها فازدهرت حركة التاليف والترجمة والنسخ والمطالعة .

ويعد المنصور من اوائل خلفاء بني العباس الذين عملوا على رعاية الترجمة . فترجم في عهده كتاب : كليلة ودمنة الذي تعد ترجمته بداية لادب الرواية عند العرب ، ذلك الادب الذي بلغ الذروة في قصص الف ليلة وليلة في عصر الرشيد والتي أثارت اعجاب الشرق والغرب على حد سواء .[١٨] وكتاب السندهند وكتاب ارسطو طاليس وكتاب اقليدس المسمى الاصول ، هذا الى جانب العدد الكبير من كتب النجوم والحساب والطب والفلسفة ، وقد اشار اليعقوبي الى ان ابا جعفر المنصور (كان قد نظر في العلم وروى الحديث ، وكثرت علوم الناس ورواياتهم في ايامه)[١٩]

وقد ورث الخليفة الرشيد عن جده المنصور تلك الخصال فقد ذكر ابن الطقطقي انه كان من (افاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرمائهم ، وكان يحب الشعر والشعراء والفقه) صادق العلماء والشعراء وقربهم اليه ، وشجع حركة الترجمة بسخاء عظيم[٢٠]

وها هي بغداد اليوم تعود لتمسك بزمام التالق وتغذ السير نحو طريق الرقي والازدهار ضمن حالة النهوض الشامل التي يشهدها العراق في ظل قيادة الرئيس المجاهد صدام حسين حفظه الله ، فقد حظيت بغداد من لدن سيادته برعاية خاصة ، وشهدت خلال سنوات الثورة تطوراً عظيماً في كافة المجالات ليس على صعيد الشكل والمظهر فحسب وانما ايضاً في المحتوى والمضمون الحضاري الذي راح يسابق في النهوض نحو الامام أرقى عواصم ومدن العالم .

وقد كان للتراث واستيعاب جوهر وروح الامة العربية حضور فاعل ومتميز في مفردات النهضة العمرانية التي شهدتها وتشهدها بغداد اليوم ، واصبح التعامل مع التراث جزءاً من التطلع الى المستقبل ، اذ استمد منه اسس النشأة وعبر عنه بمبادئه وأعاد صياغة الموقف النظري من التراث باعتباره اداة ثورية لاحياء رسالة العرب الخالدة ، فالشواهد الحضارية التي تمتلكها الامة تشكل في الواقع حافزاً ونسقاً ينقل الحضارة عبر الزمن ببعده الصاعد ، والامة العربية العظيمة هي التي تصنع تقدماً مضافاً الى ما ورثت وتجعل تاريخها القديم قمماً حضارية دائمة الارتقاء ...

الهوامش

١ - فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ج ١ مصر ١٩٧٠ ص ١٨٢

احمد فكري . اهمية تخطيط بغداد ، مجلة الاقلام ج ١١ ص ١٠٤ بغداد ١٩٦٤

خالد خليل الاعظمي ، عمارات بغداد في العصر العباسي ، المورد م ٨ العدد الرابع ١٩٧٩ ص ٢٢ .

٢ - اليعقوبي ، البلدان ص ٦ ، طبعة النجف ١٩٥٧

٣ - المصدر نفسه ، ص ٤ - ٥

٤ - تاريخ بغداد - ج ١ ص ١١٩ .

٥ - رشيد الجميلي ، بغداد المدينة المدورة ، مجلة جامعة بيروت العربية العدد الاول ١٩٦٥ ص ٢٨

٦ - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ج ١ ص ١٤٥ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج ١ ص ١٧٥ .

٧ - احمد فكري ، مرجع سابق ص ١٨٣ ، خالد خليل الاعظمي ، عمارات بغداد في العصر العباسي ، مجلة المورد م ٨ ع ٤ ص ٢٢ .

٨ - اليعقوبي ، البلدان ص ٦ - ٧ .

٩ - المصدر نفسه ، ص ٨

١٠ - العراق في التاريخ (نخبة من المؤرخين) بغداد ١٩٨٣ ص ٣٧٥ - ٣٧٧ .

١١ - مختصر كتاب البلدان ، ليدن ١٣٠٢ هـ ، ص ٣٥

١٢ - جمال الدين الشيال ، تاريخ الدولة العباسية ، الاسكندرية ١٩٦٨ ، ص ٢٧

١٣ - الطبري ، تاريخ ج ٧ ص ٦١٨ .

١٥ - تاريخ بغداد ، ج ١ ص ٦٧ .

١٦ - طاهر العميد ، بغداد ، مدينة المنصور ، ص ١٧٧ - ١٧٨ بغداد ١٩٦٧ .

١٧ - هونكه ، زيغريد ، شمس العرب تسطع على الغرب ، بيروت ١٩٦٩ ص ١٨

١٨ - خودا بخش ، الحضارة الاسلامية ، ص ١٥٩ .

١٩ - مشاكلة الناس لزمانهم ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ٢٢ .

وينظر كذلك : القفطي ، تاريخ الحكماء ص ٢٦٦ وابن خلدون ، المقدمة ص ٤٨٥

٢٠ - الفخري في الآداب السلطانية ، ص ١٤٣ .

المصادر ومراجع البحث

١ - ابن الفقيه الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، طبعة ليدن ١٣٠٢ هـ

٢ - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد او مدينة السلام ، القاهرة ١٩٤٩

٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ١٩٦٦

٤ - ياقوت ، معجم البلدان

٥ - اليعقوبي ، البلدان ، طبعة النجف ١٩٥٧

المراجع

٦ - احمد فكري ، اهمية تخطيط بغداد ، مجلة الاقلام ، بغداد ١٩٦٤

٧ - الجميلي (رشيد) بغداد المدينة المدورة ، مجلة جامعة بيروت العربية ، العدد الاول ١٩٦٥

٨ - الأعظمي (خالد خليل) . عمارات بغداد في العصر العباسي مجلة المورد المجلد ٨ العدد ٤ لسنة ١٩٧٩

٩ - الشيال (جمال الدين) ، تاريخ الدولة العباسية ، الاسكندرية ١٩٦٨

١٠ - العميد (طاهر) ، بغداد مدينة المنصور ، بغداد ١٩٦٧

١١ - العلي (صالح احمد وآخرون) . العراق في التاريخ ، بغداد ١٩٨٣

١٢ - شافعي (فريد) ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ج ١ مصر ١٩٧٠

المراجع المترجمة

١٣ - خودا بخش ، الحضارة الاسلامية

١٤ - هونكه زيغريد ، شمس العرب تسطع على الغرب بيروت ١٩٦٩

علم الحيل عند العرب

● أ. د احمد مطلوب
عضو المجمع العلمي وأمينه العام
بغداد

(١)

اهتم العرب بالعلم كثيراً بعد بزوغ فجر الاسلام ، وكرم الله ـ سبحانه وتعالى ـ العلم والعلماء ، وحث نبيه الكريم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على العلم لان طلبه نوع من العبادة ، وحينما اتسعت الدولة العربية الاسلامية واستقرت أركانها ازداد الاهتمام بالعلم وبدأت الترجمة تنشط ، وأخذ العلماء يبدعون ويضيفون . وكانت أبواب العلم في العصر العباسي واسعة متنوعة ، لذلك نظر كل واحد اليه من وجهة نظره ، فتعددت تعريفاته وتنوعت ، وقد نقل الشريف الجرجاني عدة مفاهيم للعلم فقال : « العلم : هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع . وقال الحكماء : وهو حصول صورة الشيء في العقل والاول أخص من الثاني . وقيل : العلم هو إدراك على ماهو به . وقيل : زوال الخفاء من المعلوم والجهل نقيضه . وقيل : هو مستغن عن التعريف . وقيل : العلم صفة راسخة يدرك بها الكليات والجزئيات . وقيل : العلم وصول النفس الى معنى الشيء . وقيل : عبارة عن اضافة مخصوصة بين العاقل والمعقول . وقيل : عبارة عن صفة ذات صفة »[١] . وكانت لفظة « العلم » تطلق على المعارف كلها وكانت لفظة « العالم » تطلق على من تضلع من علم أو عدة علوم ، وقد اهتم القدماء بذكرها وتصنيفها ، ويعد أبو نصر الفارابي (ـ ٣٣٩ هـ) أول من أحصى العلوم احصاءً دقيقاً[٢] في كتابه « إحصاء العلوم »[٣] وهي علم اللسان ، وعلم المنطق ، وعلوم التعاليم[٤] وهي : العدد ، والهندسة ، والمناظرة ، والنجوم ، والموسيقى ، والاثقال ، والحيل ، والعلم الطبيعي ، والعلم الالهي ، والعلم المدني ، وعلم الفقه ، وعلم الكلام .

وكان قد قسمها في كتابه « التنبيه على سبيل السعادة » على قسمين :

الاول : تحصل به معرفة الموجودات التي ليس للانسان فعلها ، وهو العلوم النظرية : علم التعاليم ، والعلم الطبيعي ، والعلم الالهي .

الاخر : تحصل به من معرفة الاشياء التي شانها أن تفعل ، والقوة على فعل الجميل ، وهو العلوم العملية ، والفلسفة المدنية[٥] .

وأثر كتاب « إحصاء العلوم » في تصنيف العلوم ، وأصبح « نواة لغيره من الموسوعات العلمية[٦] » وقد ذكر ابن النديم (ـ ٣٨٠ هـ) في كتابه « الفهرست » أصناف العلوم والكتب المؤلفة فيها كاللغة ، والنحو ، والشعر ، والانساب ، والموسيقى ، والفلسفة ، والرياضيات ، والطب ، والكيمياء .

وقسم إخوان الصفا العلوم الى ثلاثة أجناس هي : الرياضية ، والشرعية الوضعية ، والفلسفة الحقيقة[٧] ، وتحدثوا عن أقسام هذه الاجناس في اثنتين وخمسين رسالة .

وقسمها الاديب اللغوي ابو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي (ـ ٣٨٧ هـ) الى : علوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية ، وعلوم غيرهم من الامم كالفلسفة ، والمنطق ، والطب ، والهندسة ، والحيل ، والكيمياء .

وقسم ابن سينا (ـ ٤٢٨ هـ) الحكمة الى قسمين : قسم نظري ، وقسم عملي[٨] .

وقسمها أبو حامد الغزالي (ـ ٥٠٥ هـ) الى علم محمود ، وعلم مذموم ، ومن العلم المحمود : العلوم الشرعية ، ومن العلم المذموم : السحر ، والطلسمات ، والشعبذة ، والتلبيسات ، وذكر أن الفلسفة ليست علماً برأسها بل هي أربعة أجزاء : الهندسة ، والحساب ، والمنطق ، والالهيات ، والطبيعيات[٩] .

وقسمها شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد السنجاري الاكفاني (ـ ٧٩٤ هـ) في كتابه « إرشاد القاصد الى أسنى المقاصد » تقسيماً لا يخرج عن تقسيم الفارابي ، وذكر فيه أنواعها وأصنافها وهو : « ماخذ مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ، وجملة مافيه ستون علماً منها ، عشرة أصلية ، سبعة نظرية وهي : المنطق

الالهي ، والطبيعي ، والرياضي باقسامه ، وثلاثة عملية وهي : السياسة ، والاخلاق ، وتدبير المنزل ، وذكر في جملة العلوم أربعمائة تصنيف »[١٠] .

وقسمها عبد الرحمن بن خلدون (- ٨٠٨ هـ) الى صنفين : صنف طبيعي للانسان يهتدي اليه بفكره ، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه[١١] ، وتحدث عن العلوم العقلية وأصنافها وهي : العلوم العددية ، والهندسة ، والهيئة ، والمنطق ، والطبيعيات ، والطب ، والفِلاحة ، والالهيات ، والسحر ، والطلسمات ، والكيمياء[١٢] . وقسمها القلقشندي (- ٨٢١ هـ) على سبعة أصول يتفرع منها أربعة وخمسون علماً ، والاصول هي : علم الادب ، والعلوم الشرعية ، والعلم الطبيعي ، وعلم الهندسة ، وعلم الهيئة وعلم العدد المعروف بالارثماطيقي ، والعلوم العملية[١٣] .

وفَصّل القول في العلوم وموضوعاتها احمد بن مصطفى الشهير بطاش كبري زاده (- ٩٦٨ هـ) في كتابه « مفتاح السعادة ومصباح السيادة » وجعلها سبعة أصول سماها دوحات هي :

الدوحة الاولى : في بيان العلوم الخطية .
الدوحة الثانية : في علوم تتعلق بالالفاظ .
الدوحة الثالثة : في علوم باحثة عما في الاذهان من المعقولات .
الدوحة الرابعة : في العلم المتعلق بالاعيان .
الدوحة الخامسة : في الحكمة العملية .
الدوحة السادسة : في العلوم الشرعية .
الدوحة السابعة : في علوم الباطن .

وفي كل دوحة عدة شعب وفروع ، وقد بلغت شعب الدوحة الرابعة ، عشر شعب ، وعدة فروع ، منها شعبة علم الهندسة وفروعه[١٤] .

واهتم مصطفى عبد الله الشهير بحاجي خليفة (١٠٦٧ هـ) بالعلوم وسلك مسلك طاش كبري زاده ، وتكلم على تقسيم العلوم ، وذكر موضوعاتها[١٥] . وعني غير هؤلاء باقسام العلوم وتصنيفها ، منهم : محمد علي الفاروقي التهانوي (- القرن الثاني عشر للهجرة) الذي رتّب كتابه « كشاف إصطلاحات الفنون » على فنين : فن في الالفاظ العربية ، وفن في الالفاظ العجمية[١٦] . ومنهم : صديق حسن خان (- ١٣٠٧ هـ) صاحب كتاب « أبجد العلوم » الذي نقل عمن سبقوه من هذا الفن كالاكفاني ، وابن خلدون ، وغيرهما[١٧] .

لقد ذكر هؤلاء أصناف العلوم ، وهي كثيرة شملت المعارف المختلفة ، ولم يتركوا فرعاً من فروع المعرفة إلّا سمّوه علماً ، فالنحو علم ، والطب علم ، والفلك علم ، ووضعوا للرقص علماً ، وللغنج علماً[١٨] ، وهذه الكثرة من العلوم التي ذكر طاش كبري زاده منها ثلثمائة واثنين وعشرين علماً ، اقتضتها الحياة والتقدم العلمي ، وكانت الصنائع دافعاً مهماً الى العناية بالعلوم ، إذ إنه : « لابد لها من العلم » وأن رسوخها في الامصار : « انما هو برسوخ الحضارة وطول أمده » وانها « تستجاد وتكثر اذا كثر طالبها » وانها في النوع الانساني « كثيرة لكثرة الاعمال المتداولة في العمران »[١٩] .

وكان لرعاية الخلفاء والامراء والولاة أثر في ازدهار العلوم عند العرب وتنوعها ، وكانت العلوم العملية والتطبيقية من أهم ما عنوا به ، لأنّ لها صلة بالحياة وما يحتاج اليه الانسان ، فقد نشطت حركة رصد الكواكب ، وبُنيت المراصد[٢٠] ، واحتاج علماء الفلك الى الات الرصد فنشأ علم الآلات الرصدية[٢١] . ودفعتهم متطلبات الحياة الى عمل الساعات لمعرفة الاوقات فنشأ علم البنكامات وعلم آلات الساعة[٢٢] ، ودفعتهم الحاجة الى صناعة الآلات المختلفة مثل آلات جَرّ الاثقال وإخراج الماء من الآبار ورفعه من الانهار ، والفوارات ، وصناعة المنجنيقات ، ونشأ علم الآلات الحربية ، وعلم جَرّ الاثقال ، وعلم الآلات الروحانية - الحيل - وعلم إنباط المياه[٢٣] .

وكانت العلوم الرياضية وهي : الهندسة والهيئة ، والعدد ، والموسيقى من أهم ما اهتم به العرب ، ولاسيما علم الهندسة الذي « يدخل في الصنائع كلها وخاصة في المساحة ، وهي صناعة يحتاج اليها العمال والكتاب والدهاقين وأصحاب الضياع والعقارات في معاملاتهم من جباية الخراج ، وحفر الانهار ، وعمل البريدات ، وماشاكلها »[٢٤] . وقسموا علم الهندسة الى عدة علوم هي : علم عقود الابنية ، وعلم المناظر ، وعلم المرايا المحرقة ، وعلم مركز الاثقال ، وعلم المساحة ، وعلم إنباط المياه ، وعلم جرّ الاثقال ، وعلم الآلات الحربية ، وعلم الملاحة ، وعلم البنكامات ، وعلم الاوزان والموازين ، وعلم الآلات الروحانية[٢٥] . وعنوا عناية كبيرة بالميكانيك فتحدثوا عن القوى المحركة والجاذبية ومعوقات الحركة[٢٦] . واهتموا بالتطبيق العملي للهندسة فكان علم الحيل (الميكانيك) الذي كانت معارفهم واسعة فيه ، قال غوستاف لوبون : « معارف العرب الميكانيكية العملية واسعة جداً ، ويستدل على مهارتهم في الميكانيكا من بقايا آلاتهم التي انتهت الينا ومن وصفهم لها في مؤلفاتهم » .

ويرى الدكتور أ . برنارد الاكسفوردي : أنّ العرب هم الذي طبقوا الرقّاص على الساعة »[٢٧] ، وقالت زيغرد هونكه : « كان العرب ميكانيكيين موهوبين بارعين »[٢٨] .

(٢)

اهتم اليونان بالهندسة التي « أخذوها عن الامم التي سبقتهم وقد درسوها درساً علمياً ثم أضافوا اليها إضافات مهمة وكثيرة جعلت الهندسة علماً يونانياً »[٢٩] وترجم العرب عنهم كتبهم في الميكانيك مثل « كتاب الفيزكس لاسطوطاليس ، وكتاب الحيل الروحانية ، وكتاب رفع الاثقال[٣٠] لأيرن ، وكتاب الآلات المصوتة على بعد ستين ميلًا لمورطس ، وكتاب هيرون الصغير في الالات الحربية ، وكتب قطيزنيوس وهيرون الاسكندري في الالات

المفرّغة للهواء والرافعة للمياه »[٣١] . وعرفوا كتاب اقليدس في الثقل والخفة ، وكتابه أصول الهندسة الذي سموه (كتاب الإصول)[٣٢] ، وكتب ارخميدس مثل (كتاب آلة ساعات الماء) التي ترمي بالبنادق وغيره من بحوثه في الميكانيك[٣٣] ، وكتاب (المخروطات) لابلونيوس النجار ، وقد ذكر بنو موسى بن شاكر في أول كتاب المخروطات : « أن أبلونيوس كان من أهل الاسكندرية ، وأن كتابه في المخروطات قد فسد لاسباب منها استصعاب نسخه وترك الاستقصاء لتصحيحه ، والثاني ان الكتاب درس وانمحى ذكره وحصل متفرقاً في أيدي الناس »[٣٤] .

إن هذه العناية بترجمة ماعند اليونان والانتفاع به والاضافة اليه جعلت الدكتور أحمد يوسف الحسن يقول : « إن العرب ورثوا عن اليونانيين مبادىء الميكانيك ووصفت كتب هيرون وفيلون وغيرها العديد من الحيل والاواني الميكانيكية المتحركة »[٣٥] وجعلت الدكتورة زيغريد هونكه تقول : « لقد اهتم العرب اهتماماً بالغاً بالالات الفلكية ، وما ورثوه عن اليونان كان بدائياً وعجز عن أن يساندهم في سباقهم نحو الأمجاد التي رسموها لانفسهم ، فكان أن طوروها وزادوا عليها أشياء عديدة ، وقدموا اختراعات أخرى تشبه المعجزات ، مبتكرين بذلك آلات مختلفة للمراقبة والقياسات أخذها الغرب عنهم وبقي على استعماله لها أمداً طويلًا دون أن يكون لاختراع المنظار المبكر أي تأثير في ذلك »[٣٦]

ويقول الدومييلي : « ينبغي أنْ لانظن أن العرب لم يضيفوا شيئاً جديداً الى العلم الذي كانوا أوصياء عليه . بل على النقيض من ذلك واذا كانت خطوات التنمية والانضاج التي خطوها في هذا السبيل كثيراً ماضاعت وتفرقت في الحشد الكبير من الكتب التي تركوها فليست تلك الخطوات أقل أصالة وابعد عن الواقع من أجل ذلك ، وليس لأحد أن يقول ـ كما يقرر ذلك بعض المؤلفين ـ إن دور العرب ينحصر ببساطة في المزج والنقل لمعارف الأقدمين التي لولاهم لذهبت أدراج الرياح . الأمر الذي هوفي ذاته عنوان فخر عضيم . وشرف لا يستهان به »[٣٧] .

لقد عرف العرب الالات وصناعتها ، وظهر علم الحيل ، والحيل جمع حيلة ، قال الشريف الجرجاني : « الحيلة اسم من الاحتيال وهي التي تحوّل المرء عما يكرهه الى مايحبه »[٣٨] ، وقال ابن منظور : « قال ابن سيده : الحَوْل والحِيل والحِوَل والحيلة والحويل والمحالة والاحتيال والتحوّل والتحيل كل ذلك : الحذق ، وجودة النظر ، والقدرة على دقة التصرف . والجِيل والجِوَل جمع جِيلة ، ورجل حُوَل وحُوَلة ـ مثل هُمَزة ـ وحولة وحوّل وحَواليّ وحُواليّ وحَوَلْوَل : محتال شديد الاحتيال .. ورجل حُوَل : ذو حيلة ، وامرأة حُوَلة ، ويقال : هو أحول منك ، أي أكثر حيلة وما أحْوَله ، ورجل حُوَّل ـ بتشديد الواو ـ أي بصير بتحويل الامور ، وهو حُوَّل قُلَّب .. الحُوَّل : ذو التصرف والاحتيال في الامور .. والمحالة : الحيلة .. والمُحال من الكلام ماعدل به عن وجهه ، وحوّله : جعله محالًا ، والاحتيال والمحاولة : مطالبتك الشيء بالحيل ، وكل من رام أمراً بالحيل فقد حاله » ثم قال : « والحِيلة بالكسر ـ الاسم من الاحتيال وهو من الواو »[٣٩] .

ولا تخرج المعاجم والمظانّ الاخرى عن هذا المعنى ، فالحِيلة هي : الحذق ، ودقة النظر ، والقدرة على جودة التصرف ، وهي التلطف في الصنعة والتحيل[٤٠] في إتقانها ، أي أنها الوسيلة الى تحقيق هدف من الاهداف المحمودة أو المرذولة[٤١] . وقد عَرَفَ العرب أنواعاً من الحيل ، وسموا كل نوع منها علماً ، ومنها : الاول : علم الحيل الشرعية وقد تسمى « الحيل الفقهية » قال حاجي خليفة : « وهو باب من أبواب الفقه بل فن من فنونه كالفرائض ، وقد صنفوا فيه كتباً أشهرها كتاب الحيل للشيخ الامام أبي بكر أحمد بن عمر المعروف بالخصاف الحنفي المتوفى سنة ٢٦١ احدى وستين ومائتين ـ وهو في مجلدين ذكره التميمي في طبقات الحنفية ـ وله شروح منها شرح شمس الائمة الحلواني ، وشرح شمس الائمة السرخسي ، وشرح الامام خواهر زاده . ومنها كتاب محمد بن علي النُّخعي ، وابن سراقة ـ محيي الدين أبو بكر محمد بن محمد المتوفى سنة ٦٦٢ هـ ـ وأبي بكر الصيرفي ـ محمد بن محمد البغدادي الشافعي المتوفى بمصر سنة ٣٣٠ هـ . وأبي حاتم القزويني ، وغير ذلك ، ذكروا فيه الحيل الدافعة للمطالبة وأقسامها من المحرمة والمكروهة »[٤٢] ثم ذكر كتباً باسم الحيل هي : الحيل لابي عبد الرحمن محمد بن عبيد الله العتبي الشاعر ـ المتوفى سنة ٢٢٨ ثمان وعشرين ومائتين ـ والحيل لابن دريد محمد بن الحسن اللغوي المتوفى سنة ٣٢١ احدى وعشرين وثلثمائة ، كبير وصغير ـ والحيل لابي عبد الله محمد بن عباس اليزيدي النحوي ـ المتوفى سنة ٣١٣ هـ ثلاث عشرة وثلثمائة[٤٣] .

الثاني : علم الحيل الساسانية ، قال طاش كبري زادة : « وهو علم يعرف به طريق الاحتيال في جلب المنافع وتحصيل الاموال . والذي باشرها يتزيى في كل بلدة بزيّ يناسب تلك البلدة ، بأن يعتقد أهلها في أصحاب ذلك الزي ، فتارة يختارون زيّ الفقهاء ، وتارة يختارون زيّ الوعاظ ، وتارة يختارون زيّ الصوفية ، وتارة يختارون زيّ الاشراف الى غير ذلك ، ثم هم يحتالون في خداع العوام بأمور تعجز العقول عن ضبطها »[٤٤] .

الثالث : علم الحيل الروحانية : وهو من العلوم المتصلة بالهندسة الميكانيكية ، ويبحث في « الحركة ، وفي معادلة القوى المحرمة والالات ، ويسمى في اللغة الحديثة باسم الميكانيكا »[٤٥] وسماه الفارابي ، « علم الحيل » وهو من علوم التعاليم التي ذكرها ، وهي : العدد ، والهندسة ، وعلم المناظر ، وعلم النجم التعليمي ، وعلم الموسيقى ، وعلم الاثقال ، وعلم الحيل[٤٦] ، قال : « وأما علم الحيل فانه علم وجه التدبير في مطابقة جميع مايبرهن وجوده في التعاليم التي سبق ذكرها بالقول والبرهان على الاجسام الطبيعية وايجادها ووضعها فيها بالفعل ، وذلك أن تلك العلوم كلها انما تنظر على أنها معقولة وحدها

ومنتزعة من الاجسام الطبيعية ، ويحتاج عند ايجاد هذه واظهارها بالارادة والصنعة في الاجسام الطبيعية والمحسوسات الى قوة يدبر بها ايجادها فيها ومطابقتها عليها من قبل ان للمواد والاجسام المحسوسة أحوالًا تعوق عن أن توضع فيها تلك التي تبينت بالبراهين عندما يلتمس أن توضع فيها كيف اتفق وبأي وجه اتفق بل يحتاج الى ان توطأ الاجسام الطبيعية لقبول مايلتمس من ايجاد هذه فيها ، وأن يتلطف في إزالة العوائق . فعلوم الحيل هي التي تعطي وجوه معرفة التدابير والطرق والتلطف لايجاد هذه الصنعة واظهارها بالفعل في الاجسام الطبيعية والمحسوسة »[٤٧] . ومنها الحيل العددية كالجبر والمقابلة ، ومنها الحيل الهندسية ، وهي كثيرة منها : صناعة رياسة البناء ، والحيل في مساحة أصناف الاجسام ، والحيل في صنعة آلات نجومية وآلات موسيقية ، وإعداد آلات لصنائع كثيرة عملية مثل : القسي ، وأصناف الاسلحة ، ومنها الحيل المناظرية في صنعة آلات تسدد الابصار نحو إدراك حقيقة الاشياء المنظور اليها البعيدة منها ، وفي صناعة المرايا ، وفي الوقوف من المرايا على الامكنة التي تردّ الشعاعات بأن تعطفها أو تعكسها او تكسرها ، ومن ههنا ـ أيضاً ـ يوقف على الامكنة التي تردّ شعاعات الشمس الى أجرام أخر فتحدث من ذلك صنعة المرايا المحرقة والحيل فيها ، ومنها حيل في صنعة أوانٍ عجيبة وآلات لصنائع كثيرة ، وهي الجانب العملي . وختم الفارابي كلامه بقوله : « فهذه وأشباهها هي علوم الحيل ، وهي مبادىء الصناعات المدنية العملية التي تستعمل في الاجسام والاشكال والاوضاع والترتيب والتقدير مثل الصنائع في الابنية والنجارة وغيرها »[٤٨] .

وَعَرَّفَ الدكتور عمر فروخ علم الحيل او الالآت بقوله : « اننا نعني بعلم الحيل هنا عمل آلات متحركة بنفسها أو بالجهد اليسير كالات الرفع والجر ، وعمل الساعات الصامتة أو الصائتة ، وعمل آلات النار وماشابهها »[٤٩] ، وقال الدكتور أحمد يوسف الحسن : « واستخدم العرب كلمة الحيل للدلالة على الالات والأدوات الميكانيكية والأجهزة الاتوماتيكية »[٥٠] ، ثم ذكر أنَّ ثمة تعبيراً آخر هو « علمْ الالات الروحانية » . قال طاش كبري زاده وهو يتحدث عن علم الالات المبنية على ضرورة عدم الخلاء كقدح العدل وقدح الجور : « أمّا قدح العدل : فهو إناء اذا امتلأ منها قدر معين يستقر فيها الشراب ، وإن زِيدَ عليها ـ ولو بشيء يسير ـ ينصب الماء ويتفرغ الاناء عنه بحيث لا يبقى قطرة ؛ لانه اذا ابتدىء الماء بالانصباب يستتبع البواقي لعدم إمكان الخلاء .

أما قدح الجور : فهو قدح له مقدار معين ، إن صبَّ فيه بذلك القدْر القليل يثبت ، وإن مُلِىء يثبت أيضاً ، وإن كان بين المقدارين يتفرغ الاناء ، كل ذلك لعدم إمكان الخلاء .

وأمثال هذه الظروف من فروع الهندسة من حيث تعين قدر الاناء ، والا فهو بالحقيقة من فروع علم الطبيعي[٥١] ، ومن هذا القبيل دوران الساعات ويسمى ايضاً « علم الالات الروحانية »[٥٢] لارتياح النفس بغرائب هذه الالآت ، وأشهر كتب هذا الفن كتاب حيل بني موسى بن شاكر ، وفيه كتاب مختصر لفيلن ، وكتاب مبسوط للبديع الجزري »[٥٣] .

(٣)

كان للعرب والمسلمين دور كبير في صناعة الحيل ـ الميكانيك ـ إذ ابدعوا فيه وطوروه ، وكان بنو موسى بن شاكر أشهر من اهتم بعلم الحيل او الانشاءات الميكانيكية ، وقد ذكرهم إبن النديم ، فقال وهو يتحدث عن المهندسين وأصحاب الحيل :

« بنو موسى محمد وأحمد والحسن بنو موسى بن شاكر ، وهؤلاء القوم ممن تناهى في طلب العلوم القديمة وبذل فيها الرغائب واتعبوا فيها نفوسهم ، وأنفذوا الى بلد الروم مَنْ أخرجها اليهم ، فاحضروا النقلة من الاصقاع والأماكن بالبذل السنيّ فاظهروا عجائب الحكمة . وكان الغالب عليهم من العلوم : الهندسة ، والحيل ، والحركات ، والموسيقى ، والنجوم وهو الاقل . وتوفي محمد بن موسى سنة تسع وخمسين ومائتين في شهر ربيع الاول ، وكان لاحمد بن موسى ابن يقال له :(مطهّر) [illegible] الادب ودخل في جملة ندماء المعتضد . ولبني موسى من الكتب كتاب بنو موسى في القرسطون ، وكتاب الحيل لاحمد بن موسى ، وكتاب الشكل المدور المستطيل للحسن بن موسى ، وكتاب حركة الفلك الاول مقالة لمحمد ، وكتاب المخروطات ، وكتاب ثلث لمحمد ، وكتاب الشكل الهندسي الذي بيّن جالينوس أمره لمحمد ، وكتاب الجزء لمحمد ، وكتاب بيّن فيه بطريق تعليمي ومذهب هندسي أنه ليس في خارج كرة الكواكب الثابتة كرة تاسعة لاحمد بن موسى ، وكتاب في أولية العالم لمحمد ، وكتاب المسالة التي القاها على سند بن علي احمد بن موسى ، وكتاب على مائية الكلام مقالة لمحمد ، وكتاب مسائل جرت أيضاً بين سند وبين احمد ، وكتاب مساحة الأكبر وقسمة الزوايا بثلاثة أقسام متساوية ووضع مقدار بين مقدارين لتتوالى على قسمة واحدة »[٥٤] . وقال أبو العز اسماعيل الجزري وهو يتحدث عن فوارات تتبدل في أزمنة معلومة وعمل الزمر الدائم : « لم أسلك في ذلك مذهب بني موسى ـ رحمهم الله ـ والفضل لهم بالسبق الى موضوعات المعاني ، وأنهم احالوا الابتدال على فرجات تدور بالهواء وبالماء دورة واحدة تتبدل بها الفوارات وذلك زمن يقصر عن تبين الابتدال فيه ، ثم أحالوا في شكلين على أنبوب كعمود ميزان يكاد يوازي الافق يجري فيه الماء الى حوض ثم الى الفوارة ، وفي بعض الانبوب حوض صغير معلق به يقطر اليه من الماء شيء يسير فيمتلىء في زمان معلوم فيشغل طرف الانبوب ويميل ويتفرغ ما في الحوض الصغير دفعة الى حوض آخر فيه أنبوب يخرج منه في زمان مثل الزمان الذي امتلأ به الحوض الاول ، ومتى نقص من الثقل مقدار يسير ارتفع الانبوب الى ما كان عليه أولًا ، ولا يطول زمان ميله لينفد مافي الحوض من الماء . ولا أعلم من أين حدا اللبس من الاصل أم من النقل »[٥٥] .

وقال القفطي وهو يتحدث عن موسى بن شاكر : « مقدم في علم الهندسة هو وبنوه محمد بن موسى واحمد أخوه والحسن أخوهما ، وكانوا جميعاً متقدمين في النوع الرياضي وهيئة الافلاك وحركات النجوم ، وكان موسى بن شاكر هذا مشهوراً في منجمي المأمون ، وكان بنوه الثلاثة أبصر الناس بالهندسة وعلم الحيل ، ولهم في ذلك تآليف عجيبة تعرف بحيل بني موسى ، وهي شريفة الأغراض ، عظيمة الفائدة ، مشهورة عند الناس »(٥٦) .

وقال ابن خَلَّكانَ في ترجمة أبي عبد الله محمد بن موسى بن شاكر : « أحد الأخوة الثلاثة الذين ينسب اليهم حيل بني موسى ، وهم مشهورون بها ، واسم أخويه : أحمد والحسن ، وكانت لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الاوائل ، وأتعبوا أنفسهم في شأنها ، وأنفذوا الى بلاد الروم من أخرجها لهم وأحضروا النقلة من الاصقاع الشاسعة والاماكن البعيدة بالبذل السنيّ فاظهروا عجائب الحكمة . وكان الغالب عليهم من العلوم : الهندسة ، والحيل ، والحركات ، والموسيقى ، والنجوم ، وهو الاقل ، ولهم في الحيل كتاب عجيب نادر يشتمل على كل غريبة ، ولقد وقفت عليه فوجدته من أحسن الكتب وأمتعها وهو مجلد واحد »(٥٧) . وذكر تكليف المأمون لهم بتحقيق علوم الأوائل ، فقاموا بتجربة عملية أكدت صحة الكتب القديمة ، ولكنَّ نللينو فَنَّد الرواية وقال : إنها لا تخلو من الخلط والخطأ ، لأنَّ كل الفلكيين أجمعوا على نسبة ذلك الى المنجمين ، وليس بنو موسى منهم إذ لم يزالوا حينئذ في عنفوان الشباب(٥٨) ، ولم ينالوا في العلوم والارصاد شهرة إلا بعد موت المأمون ، وربما اشتركوا في ذلك القياس معاونين لفلكيي المأمون لا مدبري الاعمال(٥٩) .

وقال ابن خلدون وهو يتحدث عن المخروطات : « واما المخروطات فهو من نوع الهندسة أيضاً ، وهو علم ينظر فيما يقع في الاجسام المخروطة من الاشكال والقطوع ، ويبرهن على مايعرض لذلك من العوارض ببراهين هندسية متوقفة على التعليم الاول . وفائدتها تظهر في الصنائع الغريبة والهياكل النادرة وكيف يتحيل على جر الاثقال ونقل الهياكل بالهندام والميخال وأمثال ذلك . وقد أفرد بعض المؤلفين في هذا الفن كتاباً في الحيل العلمية يتضمن من الصناعات الغريبة والحيل المستطرفة كل عجيبة ، وربما استغلق على المفهوم لصعوبة براهينه الهندسية ، وهو موجود بأيدي الناس ينسبونه الى بني شاكر ، والله تعالى أعلم »(٦٠) .

هذا ما كان من أمر بني موسى بن شاكر ، وقد اهتم بهم المعاصرون فقال غوستاف لوبون وهو يتحدث عن الفلك عند العرب : « واشتهر أبناء موسى بن شاكر الثلاثة الذين عاشوا في القرن التاسع من الميلاد بانهم من علماء الفلك ايضاً فقد عُنوا بضبط لم يكن معروفاً قبلهم مبادرة الاعتدالين ، ووضعوا تقاويم لأمكنة النجوم السيّارة ، وقاسوا عرض بغداد في سنة ٩٥٩ م وقيدوه (٣٣) درجة و (٢٠) دقيقة ، أي برقم يصح بعشر ثوانٍ تقريباً »(٦١) وقال جوان فيرنيه وهو يتحدث عن الرياضيات والفلك والبصريات : « ويبرز في حقل الهندسة من العلماء العرب الاخوة الثلاثة أبناء موسى بن شاكر الذين عاشوا في القرن الثالث الهجري ـ التاسع الميلادي ـ وكان مصنفهم الرئيسي المعروف باسم « كتاب معرفة مساحة الاشكال » أحد الجسور التي انتقل بها التأثير اليوناني الى بغداد حيث بُدِىء في ادخال إضافات جديدة وأصلية عليه . وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية بعد ذلك بقرون على يد جيرار الكريموني بعنوان « أقوال موسى بن شاكر » وعن طريق كتاب بني شاكر استطاع علماء الغرب من أمثال فيبوناشي وجوردانوس نيموراريوس وروجر بيكون ، وتوماس برا دواردين ، أن يعرفوا الافكار الاولى الخاصة بالرياضيات العالمية » ثم قال : « وعن طريق بني موسى هؤلاء تعرف الغرب اللاتيني أيضاً على أول حل لمسألة تقسيم الزاوية .. وعنهم ايضاً عرفوا طريقة استخراج الجذور التكعيبية بأي عدد تقريبي مطلوب »(٦٢) .

وتحدثت زيغريد هونكه عن عالم الفلك موسى واولاده الثلاثة ، وذكرت جهودهم في الرصد وقياساتهم التي فاقت ماقام به بطليموس ، وقالت : إن احمد كان تكنيكياً متحمساً وأعجوبة أسرته ، واشترك مع أخيه محمد بوضع ساعة نحاسية كبيرة الحجم وقام بأدق الحسابات ، وكان أخوهم الحسن بارعاً في علم الهندسة موهوباً . وذكرت ماقدموه للعلم النظري والتطبيقي ، ومن ذلك ماقاله الطبيب ابن ربان الطبري في مرصد سامراء ، قال : « في مرصد سامراء رأيت آلة بناها الأخوان محمد واحمد ابنا موسى ، وهي ذات شكل دائري تحمل صور النجوم ورموز الحيوانات في وسطها وتديرها قوة مائية وكان كلما غاب نجم في قبة السماء اختفت صورته في اللحظة ذاتها في الآلة ، واذا ماظهر نجم في قبة السماء ظهرت صورته في الخط الافقي من الآلة »(٦٣) .

وقال قدري حافظ طوقان : « لقد كتب العرب في الحيل ، وأشهر من كتبا في هذا البحث محمد وأحمد وحسن أبناء موسى ابن شاكر ، ولهم في الحيل كتاب عجيب نادر ويحتوي على مائة تركيب ميكانيكي ، عشرون منها ذات قيمة عملية »(٦٤) : وقال الدكتور عبد الحليم منتصر : « ولبني موسى كتاب في الحيل يعرف بحيل بني موسى قد يكون الاول الذي يبحث في الميكانيكا ، ويحتوي على مائة تركيب ميكانيكي »(٦٥) . وقال الدكتور عمر فروخ : « ومن أقدم العلماء العرب الذين اشتغلوا بعلم الحيل وأشهرهم بنو موسى بن شاكر ... وكان لموسى بن شاكر المنجم ثلاثة أبناء أكبرهم أبو جعفر محمد ، ثم أحمد ثم الحسن ، وقد اشتهر بنو موسى هؤلاء بالبراعة ولهم كتاب في علم الحيل .. ومن كتب بني موسى المتعلقة بعلم الحيل خاصة كتاب القرسطون ـ الميزان الذي يوزن به الذهب ـ وكتاب وصف الآلة التي ترمز بنفسها صنعة بني موسى بن شاكر »(٦٦) . لقد كان بنو موسى من أشهر العلماء العرب الذين قدموا خدمة جُلّى للحضارة العربية الاسلامية ، فأبوهم موسى بن شاكر كان فلكياً منجماً(٦٧) ،

وكان أحمد محباً للميكانيك ، ومحمد محباً للهندسة والفلك ، والحسن منصرفاً الى الهندسة ، وذكرت المصادر أنهم أنشأوا مرصداً خاصاً بهم في دارهم بعد أن عملوا في دار الرصد المامونية بالشماسية في بغداد ، قال اوليري : « وكان لهم منزل في بغداد بالقرب من باب الطاق وهي البوابة الواقعة على الطرف الشرقي من الجسر الرئيسي على نهر دجلة ، ومدخله من الشارع التجاري الكبير في شرق بغداد ، وقد ابتنوا في هذا البيت مرصداً اثبتوا فيه الارصاد فيما بين سنة ٨٥٠ و ٨٧٠ م . والعالم مدين لهم بمقالة في الهندسة السطحية والكروية وبمجموعة من المسائل الهندسية وبكتاب في الهندسة ترجمه الى اللاتينية جيرهارد من اهل كريمونيه المتوفى سنة ١١٨٧ م ـ بعنوان « كتاب الاخوة الثلاثة في الهندسة » وقد استمر هذا الكتاب مدة طويلة يستخدم كمقدمة وافية في الهندسة »[٦٨] وكان البيروني قد اعترف بمهاراتهم في الرصد فقال : « إنّا نظرنا الى قول بطليموس في مقدار شهر القمر الاوسط وقول خالد بن عبد الملك المروروذي على ماقاسه بدمشق وقول بني موسى بن شاكر وقول غيرهم فوجدنا أولى الاقاويل بأن يؤخذ به ويعمل عليه ما أورده بنو موسى بن شاكر لبذلهم المجهود في ادراك الحق وتفردهم في عصرهم بالمهارة في عمل الرصد والحذق به ومشاهدة العلماء منهم ذلك وشهادتهم له .. »[٦٩] .

(٤)

عقد الاديب اللغوي أبو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف الكاتب (٢٨٧ هـ) الخوارزمي الباب الثامن من المقالة الثانية من كتابه « مفاتيح العلوم » للكلام على علم الحيل ، وهو فصلان :

الفصل الاول : في الالفاظ التي يستعملها أهل الحيل في جر الاثقال بالقوة اليسيرة[٧٠] ، وذكر أن صناعة الحيل تسمى باليونانية « مخانيقون » وأحد أقسامها جر الاثقال بالقوة اليسيرة . ومن الالفاظ التي يستعملها أصحاب هذه الصناعة « البرطيس » وهو « فلكة كبيرة يكون في داخلها محور تجر بها الاثقال ، وتفسيرها باليونانية المحيطة »[٧١] وفسّر الالفاظ الاخرى وهي المخل ـ يونانية ـ والبيرم أو البارم فارسية ـ وابو مخليون ، والآلة الكثيرة الرفع ، والاسفين ، واللولب ، والغالاغرا ، والاسقاطولى . ومن هذا الجنس آلات الحروب كالمجانيق والعرادات ، ومن آلات المنجنيق الكرسي ، والخنزيرة والسهم ، والاسطام .

الفصل الثاني : في حيل حركات الماء وصنعة الالات العجيبة ، وما يتصل بها من صنعة الآلات المتحركة بذاتها . قال : « الحركات بالماء انما تجذب بذاتها بان توضع اجانة او نحوها مثقوبة الاسفل فارغة فوق الماء وتعلق بها خيوط كما تعلق بكفة الميزان وتشد بتلك الخيوط الاجسام التي يراد حركتها فكلما امتلأت الاجانة رسبت في الماء وجرت الخيوط وما يتعلق بها فيحدث لذلك حركة وقد تستوي هذه الحركات بفنون من الاشكال مختلفة بعضها ألطف من بعض ومرجعها الى ماذكرته . وقد يكون جنس آخر وهو أن تعمل آلة من صفر أو نحوه مجوفة لا متنفس لها البتة وتوضع في سطل أو نحوه ثم يصب في السطل ماء صباً رقيقاً فكلما ازداد الماء ضغت تلك الالة ورفعت مايتعلق بها من الاجسام فيحدث لذلك حركات ايضاً وتسمى هذه الالة المجوفة الدبة .

فاما الحركات التي تحدث من غير الماء فان منها ما يعمل بالرمل ، ومنها مايعمل بالخردل والجاورس ، وذلك انه تعمل آلة على هيئة البربخ طويلة ويثقب أسفلها ثقباً صغيراً ويكون رأسها مفتوحاً ، ثم تملأ رملاً أو خردلاً أو نحوهما ، وتوضع فوقه قطعة رصاص ويشد الرصاص من خيط أو حبل ويعلق بالخيط مايحتاج الى تحريكه ، ثم يوضع البربخ في موضع منتصباً ليخرج الرمل أو غيره من الثقب الذي في أسفله ، فكلما تناقص الرمل تحرك الرصاص سفلاً وحرك ماهو متصل به ، وقد تهيأ حركات عجيبة لذلك على أشكال مختلفة . ومن هذا الباب صنعة الاواني العجيبة ، فمن آلات أصحاب الاواني السحارة ، وهي التي تسميها العامة سارقة الماء »[٧٢] .

ومضى الخوارزمي في شرح عملها ، ثم ذكر السحارة المخنوقة التي تعمل في جام العدل ، والبثيون ، والمي دزد ـ فارسية ـ والمهندم ـ فارسية ـ والمطحون ، وباب المدفع ، وباب المستق ، والتخاتج ـ جمع التختجة ـ والمليار والمنيار ، وسُرن الدوارة ، وبركار السُرن ـ فارسية ـ والقطارات . والحنانات ، والنضاحات ، والفوارات ، والمقاط ، والقلس ، والشاقول ، والكونيا[٧٣] . وفسر هذه المصطلحات بايجاز ، لأن كتابه مفاتيح للعلوم وليس خاصاً بعلم الحيل ككتاب موسى والكتب التي سارت على نهجه وفَصَّلَت القول في هذه الالات تفصيلاً .

(٥)

ومن أوسع الكتب التي بحثت في الميكانيك أو « علم الحيل » كتاب « الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل » لبديع الزمان أبي العز بن اسماعيل الجزري (ـ ٦٠٢ هـ / ١٢٠٦ م) وقد قال فيه سارتون : و « هذا الكتاب أكثر الاعمال تفصيلاً من نوعه ، ويمكن اعتباره الذروة في هذا المجال بين الانجازات الاسلامية »[٧٤] .

وقال الدوميلي « تخصص بدراسة آلات قياس الزمن ـ على وجه الخصوص ـ ابو العز اسماعيل بن الرزاز بديع الزمان الجزري الذي نبغ في حدود سنة ١٢٠٥ م ، ولكنه اهتم كذلك بالمسائل العلمية لعلم الهيدروليكا ، والالات المتحركة بذاتها ، وله كتاب في معرفة الحيل الهندسية ، وربما كان هذا الكتاب أحسن الكتب العربية التي عرفتنا بمبلغ النمو الذي وصل اليه علم الميكانيكا اليوناني في البلدان الاسلامية »[٧٥] ، وقال هيل : « لم تكن بين أيدينا حتى العصور الحديثة أية وثيقة من أية حضارة أخرى في

العالم فيها مايضاهي مافي كتاب الجزري من غنى في التصاميم وفي الشروحات الهندسية المتعلقة بطرق الصنع وتجميع الآلات »[76]. ولخص الدكتور أحمد يوسف الحسن أهمية كتاب الجزري بقوله : « فكتابه جامع بين العلم والعمل ، أي أنه كتاب نظري وعملي في آن واحد . وهو كتاب في الآلات الميكانيكية ، فالجزري كان مهندساً ميكانيكياً ، وهو ريس[77] الاعمال فهو رئيس المهندسين . وقد بلغ هذه المكانة بحكم خبرته الطويلة وإلمامه بالعلوم النظرية واتقانه للمهارات العملية . والجزري مخترع ، فهو يصف لنا ما اخترعه وما ابتكره بنفسه ، وهو ماهر في التأليف الهندسي وفي فن الرسم الصناعي ، وفي التعبير عن نفسه ووصف أدق الآلات وأكثرها تعقيداً بكل سهولة ويسر ، والجزري يؤكد على أهمية التجربة والمشاهدة ولا يؤمن بعلم لا تدعمه التجربة العملية »[78] .

لقد بحث الجزري في صناعة كثير مما كان الناس يحتاجون اليه في زمانه ، أو مما هدته اليه خبرته العلمية ونجربته العملية وكتابه في مقدمة وستة أنواع :

الاول : في عمل بناكيم وقيل فناكين يعرف منها مضي ساعات مستوية وزمانية ، وهو عشرة أشكال .

الثاني : في عمل أوانٍ وصور تليق بمجالس الشراب ، وهو عشرة أشكال .

الثالث : في عمل أباريق وطاس للفصد والوضوء ، وهو عشرة أشكال .

الرابع : في عمل فوارات في برك تتبدل وآلات الزمر الدائم ، وهو عشرة أشكال .

الخامس : في عمل آلات ترفع من غمرة وبئر ليست بعميقة ، ونهر جارٍ ، وهو خمسة أشكال .

السادس : في عمل أشكال مختلفة غير متشابهة ، وهو خمسة أشكال .

وكان قد وضع كتابه بعد ان اطلع على أعمال السابقين ، وباشر الصناعة ، يقول : « ويعد فاني تصفحت من كتب المتقدمين وأعمال المتأخرين أسباب الحيل في الحركات المشبهة بالروحانية وآلات الماء المتخذة للساعات المستوية والزمانية ونقل الاجسام بالاجسام عن المقامات الطبيعية ، وتأملت في الخلاء والملاء لوازم مقالات برهانية وباشرت علاج هذه الصناعة برهة من الزمن وترقيت في عملها عن رتبة الخبر الى العيان فاخذت فيها أخذ بعض من سلف وخلف ، واحتذيب حذو من عمل ماعرف . ولما لهجت بمزاولة هذا المعنى الدقيق ولجحت بمحاولة مجازه والتحقيق ، رمقتني أعين الظن بالتبريز في هذا الفن العزيز وامتدت اليَّ أبواع ذوي الهمم الرغيعة لاستطلاع أنواع الحكم البديعة ، فعناني من عناية ملوك زماني وفلاسفة أواني ما أثمر به غرس اعتدادي ، وأقمر له ليل اجتهادي فاستنهضت ماقعد من همتي وأيقظت ماقدر من قريحتي واستغرقت الجهد والجد ، واستنفدت الوسع والوجد . وكنت وجدت فريقاً ممن خلا من العلماء وتقدم من الحكماء وضعوا أشكالًا وذكروا أعمالًا لم يباشروا لجملتها تحقيقاً ، ولا سلكوا الى تصحيح جمعها طريقاً ، وكل علم صناعي لا يتحقق بالعمل فهو متردد بين الصحة والخلل ، فجمعت فصولًا مما فرقوه ، وفرعت أصولًا مما حققوه ، واستنبطت فنوناً لطيفة المدارج خفيفة المداخل والمخارج . ولما وجدت في ذلك من المشقة ما بعد عليّ الشقة كرهت أن يذهب اجتهادي ادراج الرياح وينتسخ أثر ما عملته انتساخ الليل بالصباح ، سولت لي نفسي أن اضع في ذلك تذكاراً لمن عنيت ببشر أديمه ورغبت في تعليمه »[79] . وأراد أن يطوي عمله لولا أنَّ الملك الصالح أبا الفتح محمود بن قرا أرسلان ملك ديار بكر شجعه على وضع هذا الكتاب بعد ان رأى صنعة بديعة وأعمالًا عجيبة .

قال : « ثم إني عدلت عمَّا به هممت ، وتركت ماعليه عزمت ، حذار إنكار عائب صائب بنظر ثاقب . وعند اتصالي بخدمة الملك الصالح أبي الفتح محمود بن محمد بن قرا أرسلان ملك ديار بكر من آل أرتق - أبقاه الله - وذلك على أثر خدمتي أبيه وأخيه مدة خمس وعشرين سنة أولها سنة ٥٧٠ هـ الى أن أفضى الامر اليه . وبينما أنا ذات يوم لديه وقد عرضت شيئاً مما صنعته عليه وهو ينظر اليّ ثم ينظر ويفكر فيما كنت هممت به ولا أشعر ، فرمى حيث كنت رميت ، وكشف باصابته عما أخفيت فقال : لقد صنعت أشكالًا عديمة المثل ، وأخرجتها من القوة الى الفعل فلا تضع ما أتعبت فيه وشيدت مبانيه وأحبّ ان تصنف كتاباً ينظم وصف ما استبددت بتمثيله وانفردت برصف تصويره وتشكيله . فبذلت من قوتي حسب الاستطاعة إذ لم أجد محيداً عن الطاعة ، وألفت هذا الكتاب يشتمل على بعض خروق رقعتها وأصول فرعتها وأشكال اخترعتها ، ولم أعلم أني سبقت اليها ، واثقاً بكرم من يقف عليه من أهل العلم وقد علم أولو العدل في الحكم أن كلا ميسر لماله خلق ، ومنفق مما رزق ، ولا تألو نسمة نفعها ولا تكلف نفس إلا وسعها . وجمعت ذلك في مقدمة تتضمن خمسين شكلًا وقسمتها الى أنواع ستة . وبسطت القول في الصفة والكيفية ، واستعملت فيما وضعته أسماء أعجمية أتى بها السابق من القوم واستمر عليها اللاحق الى اليوم ، والفاظاً أخر يقتضيها الزمان إذ كان لاهل كل عصر لسان ولكل طائفة من اهل العلم اصطلاحات بينهم معروفة واتفاقات عندهم مألوفة . وصورت لكل شكل مثالًا ، واشرت اليه بالحروف استدلالًا وجعلت عليه من تلك الحروف أبدالًا »[80] . وختم كتابه بقوله : « وقد أتيت في هذه الخمسين شكلًا بأصول فروعها كثيرة ومنافعها كبيرة ، ومن يحقق أوصافها وَلَّد منها أضعافاً . على أني الغيت ذكر الكثير مما اخترعته من الاعمال وغوامض الاشكال محاذرة الالتباس والاشكال ، وفيما ذكرته بلاغ للمستفيد ومتاع للمستزيد »[81] . وكان الجزري صادقاً فيما ذكر في مقدمة كتاب إذ اعترف بجهود السابقين وأشار اليهم مثل ارخميدس الذي قال عنه : « وكنت سلكت مذهب الفاضل ارشميدس في قسمة البروج الاثني عشرة في نصف دائرة لينقل عن هذه القسمة جزعة متقوبة مركبة في آلة ليخرج منها الماء ، وهو

الاصل المبني عليه هذا العمل وأما ماسواه ففروع تحتمل الزيادة والنقصان »[٨٢]. وذكر يونس الاسطرلابي، فقال: « واني وقفت على فن كان من عمل يونس الاسطرلابي - رحمه الله - وهو على ماوصفت ظاهره في مقدمة الشكل الاول »[٨٣]. وذكر بني موسى واعترف لهم بالسبق في عمل الفوارات وقال: « ولم أسلك في ذلك مذهب بني موسى - رحمهم الله - والفضل لهم بالسبق الى موضوعات المعاني »[٨٤]. وذكر ابلينوس النجار وهو يتحدث عن آلة الزمر الدائم بالكرتين فقال: « وإني وقفت على مقالة أبلينوس النجار الهندي وهي مشهورة وقد أحال على دولاب يدور ببطؤ ويفتح باب مفيض الماء عند تمام نصف دورة، وذلك زمان يقصر على المطلوب ولو أبطأ الدولاب في دورانه اكثر مما توهمه »، وأشار الى آلة قديمة وقف عليها ولم يجد عليها رسالة بل صورة والزمر فيها كالناي، ثم ذكر البديع الاسطرلابي فقال: « ووقفت على مقالة استنبطها البديع الفاضل هبة الله بن الحسين الاسطرلابي ببغداد سنة ٥١٧ هجرية ولقد أبدع فيها بالحقيقة »[٨٥].

وفي الكتاب وصف للصناعات التي عرض لها وكيفية صنعها، وهو وصف دقيق واضح يدل على أن الجزري كان متمكناً من اللغة العربية، واقفاً على أساليبها المعبرة عن الاغراض العلمية، قال في وصف باب صنعه من الشبه المصبوب لدار الملك بمدينة آمد: « وهو باب ذو مصراعين طول كل مصراع نحو من ثمانية عشر شبراً وعرضه نحو من ستة أشبار، فأما وسطه فهو شبكة من خيطين: خيط مسدس وخيط مثمن، وهو تضبيب عرضه عرض الاصبع بل أسمك تو حفتين بينهما خيزرانة وفي أوساط خواتيمه قباب مجوفة منقوشة أوراقاً مختلفة الانواع، مدحجة القضبان، مصدفة الاوراق، مخرمة الأرض »[٨٦].

- وقال في كيفية العمل بالآلة التي يستخرج بها مركز نقط ثلاث مجهولات الاماكن: « أما استخراج مركز ثلاث نقط مجهولات الاماكن من سطح الكرة فمطلق، واستخراج المركز ايضاً لثلاث فقط مجهولات الاماكن على سطح يوازي الافق فممكن ماخلا وضعاً واحداً وهو أن تكون النقط على خط مستقيم »[٨٧]. وفي الكتاب إشارات الى ما اخترعه أو أضافه، لانه كان يكره أن يعمل شيئاً سبق اليه بغير زيادة، قال: « وكنت أكره أن أعمل شكلاً سبقت اليه بغير زيادة فرع، أو تغيير أصل »[٨٨]، وكان يشير الى أنه لم يسبق الى هذا العمل أو ذاك كقوله: « وحيث وقع لي هذه الكفة ولم أعلم أنني سُبقت اليه استعنت بها على أعمال كثيرة نافعة في هذه الصناعة »[٨٩]. ومن ابداعاته انه كان يجمع عدة اشكال صنعها في شكل واحد ومن ذلك صناعة فنكان الفيل، قال: « إني صنعت أشكالاً كثيرة من الفناكين بالطرجهار مختلفة الاوضاع في أوقات متباينة وجمعتها أخيراً في فنكان واحد هو فنكان الفيل »[٩٠]. ومن ذلك صناعة قفل يقفل على صندوق بحروف اثني عشر من حروف المعجم، قال: « إن المتقدمين من الصناع صنعوا أقفالاً تقفل وتفتح بالحروف، فمنها ما يقفل بحروف أربعة على دوائر أربع ومنها ما يقفل بحرفين على دائرتين، ومنها مايقفل بحروف ستة على دوائر ست، وانني عملت صندوقاً وجعلت على غطائه قفلاً على ما اصف »[٩١]. ومن ذلك ما اقترحه عليه الملك الصالح ابو الفتح محمود بن محمد بن قرا ارسلان، قال:

« امتحنني فاقترح أن أعمل له آلة معراة من السلاسل والموازين والبنادق ومما لا يسرع اليه التغيير والفساد، وليعلم منها مضي ساعات وأجزاء ساعات بغير كلفة، وتكون لطيفة الشكل، مستصحبة في السفر والحضر، فانعمت الفكر وصنعت باقتراحه ما أصفه »[٩٢]، وقال في صناعة زورق يوضع في بركة في مجالس الشراب: « أقول إنه كلفني من لم أستطع مخالفته، أن أعمل زورقاً عليه صورة بعض ندمائه وصورة جماعة من مطربات مجلسه عمالات وحيث لم اجد سبيلاً الى إدخال شيء من الماء الى الزورق ولا إخراج شيء من الماء الى خارج الزورق عملت ما أصفه »[٩٣] وفي الكتاب كثير من الاسماء الاعجمية التي ذكرها السابقون واستمرت وألفاظ اقتضاها العصر، ومن ذلك بنكام وجمعها بناكيم أوفنكان وجمعها فناكين، والسلجمة، وابشيزكه وسنبانج، ودندانجه، وشربوش، واسكرجه، وغيرها من الالفاظ الاعجمية، أما الالفاظ العربية فهي الغالبة، وكانت معبرة عن حاجة العصر الى العلوم المختلفة[٩٤]. ولاهمية كتاب الجزري اهتم به الاجانب وترجمه الى اللغة الانكليزية دونالدهيل وأصدره عام ١٩٧٤ م، وفيه مقدمة عن الجزري والتقنية العربية الاسلامية[٩٥]، واهتم به العرب، ومنهم ماجد عبد الله الشمس الذي أصدرت له جامعة بغداد (مركز إحياء التراث العلمي) سنة ١٩٧٧ م كتاباً كبيراً بعنوان « مقدمة لعلم الميكانيك في الحضارة العربية » وقد تكلم فيه على التقنية العربية والجزري وكتابه، ونشر مخطوطة مصورة للكتاب، وألحقها بمقابلة مع نسخة السليمانية، وصدر للشمس عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م، في الموسوعة الصغيرة ببغداد، كتاباً صغيراً بعنوان « الجزري رائد الميكانيك التطبيقي العربي ».

وحقق الدكتور أحمد يوسف الحسن الكتاب ونشره سنة ١٩٧٩ م معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، وقد تحدث فيه المحقق عن الجزري وكتابه، وقابل بين نسخ المخطوطات، ووضع له مسارد شملت المكافئات العددية للابجدية العربية، والابراج الفلكية، والملابس والازياء، والأعلام، والمعادن والمواد، والمهن والحرف والمراتب الاجتماعية، والنبات والحيوان، والمصطلحات الفنية، ومعاجم معاني المفردات (عربي - عربي) و (عربي - انكليزي) وبذلك خدم الكتاب خدمة عظيمة وقدم للباحثين جهداً محموداً.

ومضت سنوات على كتاب الجزري وإذا براصد ومهندس ورياضي وفلكي يظهر، وهو تقي الدين محمد بن معروف بن احمد الراصد الشامي (-٩٩٣هـ / ١٥٨٥ م) صاحب كتاب « الطرق السنية في الآلات الروحانية »[٩٦] وقد عد الدكتور احمد يوسف الحسن هذا الكتاب تكملة لحلقة « مفقودة في تاريخ التكنولوجيا

العربية في تاريخ الهندسة الميكانيكية العربية بشكل خاص فإلى جانب «حيل بني موسى» - القرن التاسع الميلادي - وكتاب «الحيل الهندسية» للجزري - القرن الثالث عشر الميلادي - نجد بين أيدينا الآن كتاباً في الآلات الروحانية يعود الى القرن السادس عشر الميلادي». وعدّه استمراراً «لتقاليد الهندسة الميكانيكية العربية، إذ سار على أسلوب حيل بني موسى وكتاب الجزري، ولكنه وصف الكثير من الآلات التي استجدت والتي لم يرد ذكر لها في الكتب السابقة»(٩٧).

كان تقي الدين مهندساً ميكانيكياً وفيزيائياً وفلكياً، وكان كلفاً بعلم الوضعيات، وقد أتقن الآلات الظلية والشعاعية عملاً وعلماً، ونظر في كتب الحيل ورسائل علم القرسطون والميزان وجر الاثقال، ودرس الجداول الفلكية فوجدها قديمة، واشرف على بناء مرصد في استانبول، ووضع عدة كتب ورسائل منها: الكواكب الدرية في وضع البنكامات الدورية، وريحانة الروح في رسم الساعات على مستوى السطوح، وسدرة منتهى الافكار في ملكوت الملك الدوار(٩٨)، وكتاب «الطرق السنية في الآلات الروحانية» يبحث في الميكانيك أو ما أطلق عليه القدماء اسم «علم الحيل» وهو في مقدمة وستة أبواب:

الاول: في البنكامات.

الثاني: في آلات جز الاثقال.

الثالث: في حيل إخراج الماء الى جهة العلو.

الرابع: في عمل الزمر الدائم والنقارات وغير ذلك من الفوارات المختلفة الاشكال والاوضاع.

الخامس: في أنواع شتى من الملح واللطائف.

السادس: في عمل السيخ الذي يوضع فيه اللحم على النار فيدور بنفسه من غير حركة حيوان.

قال تقي الدين في مقدمة كتابه: «وبعد فهذا كتاب صغير الحجم غزير العلم يشتمل على غرر فوائد ودرر فرائد فالآلات البديعة ذوات الطرائق المنيعة، الظاهرة التألق واللمعان العرية عن العلة والبرهان، وذلك كالبنكامات المعرّفة بالأوقات المعينة للدرج والساعات، وكالحركات الشبيهة بالروحانية وجر الاثقال بالقوى المتضاعفة القسرية، واخراج المياه الى الجهات العلوية وماينخرط في هذا السلك من التحف اللطيفة والمواد المعجبة الشريفة». ووفى بمارسم في هذه المقدمة وبحث في الصناعات التي ذكرها، ووصفها وصفاً دقيقاً، ولم يكن مقلداً في كتابه وانما اخترع بعض الآلات ومنها آلة السيخ الذي يوضع فيه اللحم على النار فيدور بنفسه وقد اخترعها هو وأخوه عندما كانا في استانبول عام ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م قال في وصفه: «وهو قد عمله الناس على أنحاء شتى، منها أنْ يكون في طرفه دولاب بفراشات ويوضع بحذائها ابريق من النحاس المفرغ المسدود الرأس المملوء بالماء ويكون بلبلته قبالة فراشات الدولاب وتوقد تحته النار فانه يبرز البخار محصوراً من البلبلة المذكورة فيديره فاذا فرغ الماء من الابريق قرب اليه ماء بارد في إناء بحيث تغطس البلبلة فيه فانه يجتذب بحرارته جميع ما في الاناء ثم يبدأ بدفعه. وعملوه أيضاً على حركة الدخان البارز من الاوجاق ورتبوا ايضاً حركته على حركة ثقالة من الرصاص كما في السواقي التي تدور بالدولاب والرقاص، غير أنه في سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة بدار الاسلام القسطنطينية العظمى، فكرت أنا وأخي الاكبر في ذلك في على أسلوب غير هذه الاساليب قابل للنقل والتحويل من جهة الى اخرى غير متوقف على أمر خارج عن ذلك كالابريق المذكور وما يحتاج اليه من الماء والنار وكالدخان والثقال الرصاص المعلق في جهة من البيت لا يمكن تحويله الى غيرها، فعملنا قفصاً مربعاً مستطيلاً من الحديد قائماً على أربعة أرجل وفيه ثلاثة دواليب وفي وسطه محور مربع بارز في مقابلته محور آخر كذلك، فاذا أراد الانسان استعماله وضعه في أحد جوانب المنقل وأثبت طرف السيخ فيه وأدار المحور الاول بمفتاح معدله عشر دوارات أو أقل أوأكثر بحسب ما يقتضيه العمل وتركه، ابتدأ السيخ في الدوران فيدور بكل دورة من الدورات التي أدرتها عشر دوارات لا بالسريعة ولا البطيئة بحيث انها ما ينقضي الماء وقد استوى اللحم، وان تخلف عنها في الاستواء فتعيد الادارة بالمفتاح مرة أخرى».

وعلق الدكتور احمد يوسف الحسن على هذا الاختراع بقوله: «إن لهذا الوصف الذي أورده تقي الدين في عام ١٥٥١ م أهميته الكبيرة في تاريخ الهندسة الميكانيكية، ذلك أن أول وصف لعنفة بخارية أورده برانكا عام ١٦٢٩ م، ولكن الالة التي وصفها برانكا كانت غير قابلة للتطبيق العملي، ثم جاء ويلكنز عام ١٦٤٨ م ووصف أول آلة لتدوير السيخ بواسطة العنفة البخارية. ومعنى ذلك أن تقي الدين قد وصف بصورة واضحة وقبل مائة عام من غيره العنفة البخارية لتدوير السيخ بتلك الالة التي كان مؤرخو التكنولوجيا يظنون أن ويلكنز هو أول من وصفها»(٩٩). كان جهد تقي الدين عظيماً في زمانه، وهو يدل على علم غزير، وخبرة طويلة، وممارسة دقيقة، وكان كتاب «الطرق السنية في الآلات الروحانية» خطوة على الطريق، فقد كتب في عام ٩٥٩ هـ / ١٥٥٢ م أي «قبل نشر كتاب اغريكولا الذي ظهر في عام ١٥٥٦ م، كما أن تقي الدين قد سبق راميللي (١٥٥٨ م) بفترة طويلة، وبنلك يكون تقي الدين قد وصف أنواعاً من الالات الميكانيكية الهامة قبل أن يرد وصف مايماثلها في المراجع الغربية المعروفة حتى الان»(١٠٠). ولهذه الاهمية عُني الدكتور أحمد يوسف الحسن بتقي الدين وكتابه، وأصدر له معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م كتاب «تقي الدين والهندسة الميكانيكية العربية»، وهو في قسمين:

الاول: في سيرة تقي الدين وآثاره، وكتابه «الطرق السنية في الآلات الروحانية».

الآخر: في نص الكتاب منشوراً بالتصوير.

(٦)

ولم يكن بنو موسى والجزري وتقي الدين وحدهم في مجال

علم الحيل - الميكانيك - وانما كان غيرهم يعمل في هذا الميدان ، فابن الهيثم (- ٤٣٠ هـ) ترك مقالة في علم البنكام ، وألف ابو الريحان البيروني (٤٤٠ هـ) كتاب « الآلات والعمل » ، واستنبط ابن سينا (- ٤٢٨ هـ) آلة لقياس المسافات المتناهية الصغر ، وكان عباس بن فرناس (- ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م) صاحب اختراعات وتوليدات ، صنع المنقانة - وهي آلة لحساب الزمن - واحتال لتطيير جثمانه .

وأبو الصلت امية بن عبد العزيز بن أبي الصلت (- ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م) الذي استعمل البكرات المتعددة لاخراج مركب غرق على مقربة من الاسكندرية . وابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن موسى المصري (- ٣٣٩ هـ / ١٠٠٩ م) الذي اخترع الرقاص . وكمال الدين موسى بن يونس بن محمد العقيلي الموصلي (- ٦٣٩ هـ / ١٢٤٢ م) الذي عرف أشياء كثيرة من قوانين تذبذب الرقاص الذي كان الفلكيون يستخدمونه لحساب الفترات الزمانية في أثناء رصد النجوم[١٠١] . وأبو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازن أو الخازني الذي بلغ أشده نحو سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م ، وقد أجاد في بحوث مراكز الاثقال ، وشرح بعض الآلات البسيطة ، وكيفية الانتفاع بها ، وفي صفة مقياس المائعات في الثقل والخفة ، وبيان الوزن ومعرفة تحقيق الفلزات ، وغير ذلك مما بحثه في كتابه « ميزان الحكمة » الذي عده محققه فؤاد جميعان من أشهر الكتب في « علم الحيل »[١٠٢] ، وقال سارتون إنه « من أجَلّ الكتب العلمية وأروع ما أنتجته القريحة في القرون الوسطى »[١٠٣] . وقال الدوميلي : « ألف كتاباً في علم الفلك النظري كما يسجل كثيراً من ملاحظات الرصد ، ووصف عدداً من الآلات الفلكية في مؤلفه « كتاب الآلات العجيبة الرصدية »[١٠٤] ، وقال : « ألف الخازني كتاب « ميزان الحكمة » وهو من أهم الكتب العربية في « فن الحيل » - الميكانيكا - وموازنة السوائل - الهيدروستاتيكا - وعلم الطبيعة بوجه عام ، ويشتمل على نظرية الثقل ، ومقاييس الثقل النوعي ، والكثافة ، ونظرية الروافع ، وتطبيقات للميزان وطرق قياس الزمن »[١٠٥] . وذكر القفطي في كتابه : « أخبار العلماء باخبار الحكماء » عدة علماء أسهموا في صناعة الآلات ووصفها وكيفية عملها ومنهم : ابراهيم بن حبيب الفزاري وهو « أول من عمل في الاسلام اصطرلاباً » .

وابراهيم بن سنان بن ثابت صاحب كتاب « آلات الاظلال » ، واحمد بن محمد الصاغاني الاصطرلابي ، والفتح بن نجية الاصطرلابي وهو « فاضل في عمل الآلات الفلكية منفرد في وقته بعمل الاصطرلاب واجادة صنعته » ، وهبة الله بن الحسين البديع ابو القاسم البغدادي الاصطرلابي ، وهو وحيد زمانه في عمل الآلات الفلكية ، وقد اطلع على أسرارها ، وعرف بها مقدار مسير أنوارها ، وأقام على صحة أعماله الحجج الهندسية ، وأثبت ما صنعه منها بالقوانين الاقليدسية » ، وابن السنبدي « وهو من أهل المعرفة والعلم والخبرة بعمل الاصطرلاب والحركات » وعمل « آلات حسنة الوضع في شكلها صحيحة التخطيط في بابها »[١٠٦] ، وذكر عدداً من العلماء الذين اشتهروا بعلم الهندسة منهم : أحمد بن عمران الكرابيسي ، وتوفيق بن محمد الدمشقي ، والحسن عبيد الله ، والحسن بن الهيثم ، وعلي بن احمد العمراني الموصلي ، وعلي بن احمد الانطاكي ، وعمر بن عبد الرحمن القرطبي ، ومحمد بن ناجية ، وموسى بن شاكر ، وأبو جعفر الخازن ، وأبو سعيد عمر بن أبي الوفاء البرزجاني ، وبنو موسى بن شاكر[١٠٧] .

(٧)

كان لعلماء الحيل أو الآلات الروحانية أثر في الحياة العلمية عند العرب والمسلمين وبفضل جهودهم تقدم علم الفلك أو الهيئة وأنشئت المراصد ، ففي بغداد كانت عدة مراصد منها : المرصد المأموني في الشماسية الذي عمل فيه بنو موسى ، ومرصد بني موسى ، ومرصد بني الأعلم . ومن المراصد الاخرى : مرصد سامراء ، والمرصد الشرقي ، ومرصد مراغة ، ومرصد سمرقند ، ومرصد دمشق ، ومرصد الاسكندرية ، والمرصد الحاكمي ، ومرصد عضد الدولة ، ومرصد ملكشاه السلجوقي ، ومرصد استانبول الذي أنشىء باقتراح تقي الدين صاحب كتاب « الطرق السنية في الآلات الروحانية » وهو آخر المراصد الاسلامية المهمة[١٠٨] .

واهتموا بعمل آلات الرصد ومن ذلك الاسطرلاب ، وكان ابراهيم بن حبيب الفزاري اول من عمله في الاسلام ، وقد طوره العرب ونشأ علم الاسطرلاب أو علم وضع الاسطرلاب وعمله . وازدادت العناية بصناعة آلات الفلك والرصد ، وطوّر العرب آلات الفلك اليونانية وزادوا عليها ، وكانت على أنواع وتختلف بحسب الغرض منها ، ومن تلك الآلات التي صنعها العرب واستخدموها في المراصد : اللبنة والحلقة الاعتدالية ، وذات الاوتار ، وذات الحلق ، وذات الشعبتين ، وذات السمت والارتفاع ، وذات الجيب والمشبهة بالناطق والربع المسطري ، وغيرها[١٠٩] . وصنعوا آلات لانباط المياه . ونشأ من ذلك علم « إنباط المياه » وهو علم يتعرف منه استخراج المياه الكامنة في الارض واظهارها[١١٠] . وعملوا آلات لرفع المياه ، ومن تلك الالات التي ذكرها تقي الدين في كتابه « الطرق السنية في الآلات الروحانية » وهي : المضخة ذات الاسطوانتين المتقابلتين ، والمضخة الحلزونية ، ومضخة الحبل ذي أكر القماش ، والمضخة ذات الاسطوانات الست .

وكانت دواليب الماء منتشرة ، ومنها الناعورة ، ودولاب الماء الافقي ، والارحاء المائية ، ودولاب الماء الراسي مع المسننات[١١١] .

وصنعوا آلات لجز الاثقال ومنها : الرافعة التي تعمل بالدواليب المسننة ، والآلة التي تعمل بالبكرات والحبال ، والآلة التي تعمل باللولب . ونشأ علم الاثقال الذي عده الفارابي من « علم التعاليم » ويشتمل « اما على النظر في الاثقال من حيث

تُقدَّر أو يُقَدَّر بها ، وهو الفحص عن اصول القول في الموازين ، واما على النظر في الاثقال التي تحرك أو يحرك بها ، وهو الفحص عن أصول الآلات التي ترفع بها الاشياء الثقيلة وتنقل من مكان الى مكان »[112] . وصنعوا الفوارات والنقارات وكان الجزري ، وتقي الدين قد أبدعا في صناعتها ، وقد تحدث الاول عن فوارات تتبدل في أزمنة معلومة وهي عدة أشكال ، وتكلم على آلات الزمر وصنعها ، وتحدث الثاني عن عمل الزمر الدائم والنقارات والفوارات ، وشرح العناصر الأساسية التي تتألف منها وهي : الكفة ، والعوامة ، والمقلب ، وميزاب الماء . ثم شرح كيفية الحركة التلقائية ووصف ثلاث آلات للزمر الدائم والنقارات واربع فوارات[113] . واهتموا بالآلات الحربية وصنعها كالمنجنيقات ، ونشأ علم الآلات الحربية ، وهو علم يتبين فيه كيفية إيجاد الآلات الحربية[114] .

وتفنن العرب في صنع الساعات المختلفة ، ونشأ علم آلات الساعة وعلم البنكامات الذي يعني الصور والاشكال المصنوعة لمعرفة الساعات المستوية والزمانية وهو « علم يعرف به كيفية اتخاذ آلات يقدر بها الزمان »[115] ، واشتهرت الساعة التي اهداها الخليفة العباسي هارون الرشيد الى القيصر شارلمان ، وقد علق مؤرخ القيصر اينارد على الساعة قائلًا : « كانت ساعة من النحاس الاصفر مصنوعة بمهارة فنية مدهشة ، وكانت تقيس مدة اثنتي عشرة ساعة ، وفي حين اتمامها لذلك ، كانت تسقط الى الاسفل اثنتي عشرة كرة صغيرة محدثة لدى اصطدامها برقاص معدني مثبت ، دوياً ايقاعياً جميلًا بالاضافة الى عدد مماثل من الافراس الصغيرة التي كلما دارت الساعة دورتها الكاملة قفزت من فتحة اثنتي عشرة بوابة وأغلقتها بقفزاتها هذه . وهناك أشياء اخرى كثيرة تسترعي الانتباه في هذه الساعة تدعو الى العجب والدهشة »[116] . واشتهرت ساعة المدرسة المستنصرية ببغداد ، إذ كان على باب المدرسة إيوان ركب في صدره صندوق الساعات على وضع عجيب يعرف منه أوقات الصلوات وانقضاءِ الساعات الزمانية نهاراً وليلًا ، وقد وصفها ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي بابيات شعرية[117] . واخترعوا أنواعاً متعددة من الساعات منها : ساعات الشمس ، والساعات الزئبقية ، والمائية ، والرملية ، تقول زيغريد هونكه : « انفتحت آفاق عديدة أمام العرب فصنعوا الساعات التي تسير على الماء وعلى الزئبق وعلى الشمع المشتعل ، والتي تعمل بواسطة الاثقال المختلفة ، فكان أن وجدوا الساعات الشمسية الدقاقة التي كانت تعلن ساعات الغداء بصوت رنان ، والساعات المائية التي كانت تقذف كل ساعة كرة في قدح معدني وتدور حول محور تظهر فيه النجوم ورسومات من عالم الحيوان ، أو ساعات تحمل فتحات منسقة الواحدة تلو الاخرى في شكل نصف دائري ، وما تلبث ان تبرق كلما جاوزت الساعة الثانية عشرة ليلًا في حين يمر فوقها هلال وضاء »[118] . وألفوا كتباً في صناعة الساعات ومن ذلك كتاب « آلات الساعات التي تسمى رخامات » لابي الحسن ثابت بن قرة الحراني[119] ، وكتاب « الرخامة » لمحمد بن موسى الخوارزمي ، وكتاب « الرخامات » لمحمد بن الصباح وكتاب « الرخائم والمقاييس » لحبش بن عبد الله المروزي الحاسب ، وكتاب « عمل الرخامة المنحرفة » وكتاب « الرخامة المطبلة » لمحمد بن حسن بن أخي هشام الشطوي[120] . وذكر ماجد عبد الله الشمس أن عمال الهاتف عثروا في سامراء على ساعة رخامية ، وقال : « وقد قرأت عليها اسم علي بن عيسى »[121] . وأهم الكتب التي عالجت صناعة الساعات كتاب الجزري الذي عقد النوع الاول منه لعمل فناكين يعرف منها مضي ساعات مستوية وزمانية بالماء والشمع ، وذكر عشرة أشكال منها .

وكتاب تقي الدين الذي ذكر فيه صناعة حُقّ القمر أو علبة القمر ، وهي ساعة فلكية ميكانيكية ، واربع بنكامات مائية ورملية ، وفي هذين الكتابين وصف لانواع الساعات وكيفية صنعها .

واخترع العرب والمسلمون آلات كثيرة اقتضتها الحاجة ، أو أبدعها التفنن في الصناعة كآلات تعيين كثافة السوائل ، وآلات لملء الاوعية تلقائياً كلما فرغت ، وقناديل ترتفع فيها الفتائل تلقائياً ويصب فيها الزيت تلقائياً[122] ، وغيرها مما ذكرته كتب التراث العربي الاسلامي ، وكتب تاريخ العلوم .

هذه نظرة عامة في « علم الحيل عند العرب » ـ علم الميكانيك ـ أريد بها ان تكون تنبيهاً الى الاهتمام بالعلوم عند العرب والمسلمين ، وكتابة تاريخها الحافل بالمفاخر ، لتكون شاهداً على الحضارة العربية الاسلامية وأثرها في الحضارة الانسانية وازدهار الحركة العلمية في عصر النهضة .

وقد تجلى في هذا العرض :

١ . إن العرب قد اهتموا بعد ظهور الاسلام بالعلم اهتماماً كبيراً ، ولم يتركوا باباً من أبوابه أو فرعاً من فروع المعرفة إلا طرقوه ، وقد أحصوا من العلوم المئات ، وأوصلها طاش كبري زادة الى ثلثمائة واثنين وعشرين علماً .

٢ . إن العرب لم يكونوا نقلة للعلم ، وانما شرحوه وطوروه وابتدعوا الجديد واضافوا الى التراث الانساني الشيء الكثير .

٣ . أن العرب اقاموا بما قدموا من علوم أسس النهضة الاوربية ، وكان لتراثهم العلمي أثر كبير في تقدم الحركة العلمية ووصولها الى ماوصلت اليه الآن .

٤ . أن معظم العلماء العرب كانوا يجمعون بين النظرية والتطبيق ، وأوضح شاهد هو العلماء الذين اهتموا بالهندسة والفلك ، والذين كتبوا في علم الحيل أو « الميكانيك » .

٥ . أن ما قام به العرب من بحوث وصناعات تدخل في « علم الحيل » لم يكن للتسلية ولعب الاطفال ، وانما كان معظمها في صناعة الساعات ، والاصطرلابات ، وآلات رفع المياه ، وجر الاثقال ، وغير ذلك مما ذكره بنو موسى ، والجزري ، وتقي الدين وغيرهم من العلماء الاعلام .

٦ . إن الكثير مما جاء في كتب « علم الحيل » قواعد أساسية للعلم لا يستغني عنها الدارسون .

٧. إن المصطلحات والالفاظ التي ذكرت في كتب « علم الحيل » ثروة كبيرة ينتفع بها في وضع المصطلحات العلمية والمعاجم المتخصصة.

إنّ البحث التاريخي أو العلمي في التراث العربي ليس اعتزازاً بالحضارة العربية الاسلامية فحسب، وإنما هو سبيل للوصول الى المعرفة والاسس التي قامت عليها العلوم، والانتفاع بما فيه من أصول تساعد على النهوض والتقدم والازدهار.

ولعل العناية بالتراث العلمي تحظى باهتمام أكبر بعد أن أسست معاهد ومراكز لاحيائه في أقطار الوطن العربي..

الهوامش والمصادر

١ ـ التعريفات : علي بن محمد الشريف الجرجاني، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٥م، ص١٦٠ ـ ١٦١، وينظر : الكليات لابي البقاء ايوب الحسيني الكفوي، ط٢، بيروت، ١٩٩٣م ص ٦١٠، كشاف اصطلاحات الفنون : محمد علي الفاروقي التهانوي، تحقيق : لطفي عبد البديع، القاهرة، ١٩٦٣م ج ١ ص٣ ؛ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، طبعة مصورة، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، ج ١، ص٣ :

٢ ـ ينظر العلوم عند العرب ؛ قدري حافظ طوقان، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٠م، ص١٤٤.

٣ ـ سماه ابن النديم في الفهرست، تحقيق : رضا تجدد، طهران، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ص٣٢١ : مراتب العلوم.

٤ ـ اطلق ابن النديم في الفهرست ص٣٢٥ اسم (اصحاب التعاليم) على المهندسين، والارثماطيقيين، والموسيقيين، والحساب، والمنجمين، وصناع الالات واصحاب الحيل والحركات.

٥ ـ مقدمة إحصاء العلوم لابي نصر الفارابي، تحقيق د. عثمان امين، ط٢، القاهرة، ١٩٤٩م، ص١٢.

٦ ـ مقدمة احصاء العلوم ص١٤

٧ ـ رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا، تصحيح خير الدين الزركلي، القاهرة، ١٩٢٨م، ١ / ٢٠٢.

٨ ـ ينظر : مقدمة إحصاء العلوم ص١٥ ـ ١٦.

٩ ـ احياء علوم الدين لابي حامد الغزالي، بيروت، دار المعرفة، ج ١ ص١٣، ٢٢.

١٠ ـ كشف الظنون ج ١، ص٦٦.

١١ ـ مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون، بيروت، دار الكشاف، ص٤٣٥.

١٢ ـ م. ن ص ٤٧٨.

١٣ ـ صبح الاعشى في صناعة الانشا لابي العباس القلقشندي، القاهرة، دار الكتب المصرية ج١، ص٤٦٧ ـ ٤٨١.

١٤ ـ مفتاح السعادة ومصباح الزيادة لاحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبري زادة، تحقيق : كامل كامل بكر وعبد الوهاب ابو النور، القاهرة، ١٩٦٨م، ج١ ص٣٧١ ومابعدها.

١٥ ـ كشف الظنون ج١ ص١١، ح٢ ص١٩٠٥.

١٦ ـ كشاف اصطلاحات الفنون ج١ ص٢ ومابعدها.

١٧ ـ مقدمة احصاء العلوم ص١٧ ـ ١٨.

١٨ ـ مفتاح السعادة ح١ ص٣٩٨ ؛ كشف الظنون ج١ ص٩١١، ج٢ ص١٢١.

١٩ ـ مقدمة ابن خلدون ص٣٩٩، ٤٠٣، ٤٣٤.

٢٠ ـ ينظر : تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك : قدري حافظ طوقان، ط٣، القاهرة، ١٩٦٣م، ص١٣١ ؛ شمس العرب تسطع على الغرب (اثر الحضارة العربية في اورية) زيغريد هونكة، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ومراجعة د. حسين فوزي، القاهرة، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م، ص ١١٩، ١٢٢، ١٣١ ؛ تقي الدين والهندسة الميكانيكية العربية مع كتاب (الطرق السنية في الالات الروحانية) د. احمد يوسف الحسن، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص٢٠ ـ ٢٣.

٢١ ـ تنظر : آلات الرصد في الفهرست ص٣١٧، ٣٤٢ ؛ مفاتيح العلوم لابي عبد الله محمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي، القاهرة، ١٣٤٢هـ، ص١٣٤ ؛ اخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي، القاهرة، ١٣٢٦هـ، ص٢٤ ؛ مفتاح السعادة ج١ ص٣٨٩، كشف الظنون ج١ ص١٠٦، ١٣٤ ؛ تراث العرب العلمي ص١١٠ ؛ تراث الاسلام : تصنيف شاخت وبوزورث (القسم الثالث) ترجمة : د. حسين مؤنس واحسان صدقي العمد، عالم المعرفة ١٢، الكويت ١٩٧٨م، ج٣ ص١٨٩ ؛ شمس العرب ص٣٥، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه : د. عبد الحليم منتصر، ط٤، القاهرة ١٩٧١م ص ١١٤ ؛ العرب والعلم في العصر الاسلامي الذهبي : د. توفيق الطويل، القاهرة ١٩٦٨م، ص٥٣ ؛ علم الفلك وتاريخه عند العرب في القرون الوسطى : كرلونللينو، روما، ١٩١١م، ص١٥٦ : المراصد الفلكية ببغداد في العصر العباسي : د. ناجي معروف، بغداد ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م، ص١٩ ؛ في تراثنا العربي الاسلامي : د. توفيق الطويل، عالم المعرفة (٨٧)، الكويت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص٤٥ ؛ تاريخ علم الفلك في العراق وعلاقاته بالاقطار الاسلامية والعربية في العهود التالية لايام العباسيين : عباس العزاوي، بغداد، ١٣٧٨ ـ ١٩٥٨م، ص٣٥٢.

٢٢ ـ مفتاح السعادة ج١ ص٣٧٨ ـ ٣٨٠ تقي الدين ص٢٦.

البنكام : القصعة الكبيرة تعريب بنكان، ويطلق البنكان على القدح والكاس ولاسيما طاس النحاس وكان اصحاب الكروم والزروع والبساتين يجتمعون في رأس المقسم فيلقون الطاس في الماء فيأخذ يمتلىء ماءً من نُقيب في قعره الى أن يمتلىء تماماً فينغمس في الماء، وان هذا الامر يتم في مدة أكثر أو أنقص من ساعة كما هو مقرر ومحدد عندهم، فكل من جاءت نوبته يجري الماء في أثناء ذلك الى بستانه أو حقله فتكون حصة بعضهم ملء طاس وحصة غيرهم ملء طاسين أو ثلاثة وذلك على قدر المسقاة. وقد قسموا وقوموا حساب زمان الليل والنهار وهو اثنتان وعشرون ساعة الى ملء عشرة آلاف طاس، واطلقوا اسم « بنك » على كل من أكياله وحصصه (ينظر معجم الالفاظ الفارسية المعربة) : السيدادي شير، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٠م، ص٢٨.

وفي كشف الظنون ج١ ص٢٥٥ : « علم البنكامات والاشكال المصنوعة لمعرفة الساعات المستوية والزمانية، فانن هو علم يعرف به كيفية اتخاذ آلات يقدر بها الزمان. وموضوعه حركات مخصصة في أجسام مخصوصة تنقضي بقطع مسافات مخصوصة، وغايته معرفة أوقات الصلاة وغيرها ... وانقسمت البنكامات الى الرملية وليس فيها كثير طائل، والى بنكامات الماء وهي أصناف ولا طائل فيها ايضاً، والى بنكامات دورية معمولة بالدواليب يدير بعضها بعضاً، وهذا العلم من زياداتي على « مفتاح السعادة » فان ماذكره صاحبه من أنه علم آلات الساعة ليس كما ينبغي فتامل ». وكان قد قال في ص١٤٧ : « علم آلات الساعة من الصناديق والضوارب وأمثال ذلك، ونفعه بيّن، وفيها مجلدات عظيمة. هذا حاصل ماذكره أبو الخير في فروع الهيئة. أقول : لا يخفى عليك أنه هو علم

البنكامات الذي جعله من فروع الهندسة » .

٢٣ ـ ينظر إحصاء العلوم ص٨٨ ، مفتاح السعادة ج١ ص٣٥٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ج٢ ص٥٩١ ، كشف الظنون ج١ ص٨٠ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٧٢ ، ٥٨١ ، ج٢ ص١٦٥٢ ، دائرة معارف القرن الرابع عشر ـ العشرين ـ محمد فريد وجدي ، القاهرة ، ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م ، ج ٦ ص٦٢٨ ، شمس العرب ص٣٧ .

٢٤ ـ رسائل إخوان الصفا ج ١ ص ٦٠ .

٢٥ ـ مفتاح السعادة ج١ ص٣٧٥ ، صبح الاعشى ج١ ص٤٧٦ ، كشاف اصطلاحات الفنون ج ١ ص ٦٥ ، تقي الدين ص٢١ .

٢٦ ـ ينظر تراث العرب في الميكانيكا . د . جلال شوقي ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

٢٧ ـ حضارة العرب د . غوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص٤٧٣ .

٢٨ ـ شمس العرب تسطع على الغرب ص١٣٤ .

٢٩ ـ العلوم عند العرب ص٥٩ ، وينظر تراث العرب العلمي ص٣٩ ، تأريخ العلم ودور العلماء العرب . ص٢٣ ، تأريخ العلوم عند العرب د . عمر فروخ ، بيروت ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ، ص٢٧ ، ٢٨ ، ومقدمة لعلم الميكانيك في الحضارة العربية ، ماجد عبد الله الشمس ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ص١٥ .

٣٠ ـ في الفهرست ص٣٢٨ : كتاب شيل الاثقال .

٣١ ـ العلوم عند العرب ص٣٦ ، تأريخ العلوم عند العرب ص٢٢٥ .

٣٢ ـ ينظر الفهرست ص٣٢٥ ، أخبار العلماء ص٤٧ ، مقدمة ابن خلدون ص٤٨٥ ، العلوم عند العرب ص٦٠ تراث العرب العلمي ص٨٨ ، تأريخ العلم ص٤٤ ، ١٠٦ ، تأريخ العلوم عند العرب ص٣٥ ، ١٢١ ، تراث الاسلام ج٣ ص١٦١ .

٣٣ ـ الفهرست ص٣٢٦ ، أخبار العلماء ص٤٩ .

٣٤ ـ أخبار العلماء ص٤٥ ، الفهرست ص٣٢٨ ، كشف الظنون ج٢ ص١٤٥٦ ، تاريخ العلوم عند العرب ص٢٥٥ ، تراث العرب في الميكانيكا ص٩ ، حضارة العرب ص٤٥٦ ، العلم عند العرب واثره في تطور العلم العالمي ، الدومييلي ، ترجمة د . عبد الحليم النجار ، د . محمد يوسف موسى ومراجعة د . حسين فوزي ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م ، ص٤٤ : علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب د . لاسي أوليري ، ترجمة د . وهيب كامل ومراجعة زكي علي ، القاهرة ١٩٦٢م ، ص٢٧ ، ٢٣٣ ، مقدمة لعلم الميكانيك ص١٨ ـ ٢٣ .

٣٥ ـ تقي الدين ص٣٠ .

٣٦ ـ شمس العرب ص١٣٤ ، وتنظر ص١٣٥ .

٣٧ ـ العلم عند العرب ص١٤٤ .

٣٨ ـ التعريفات ص١٠٠ .

٣٩ ـ لسان العرب لابن منظور (حيل) .

٤٠ ـ قال ابن ابي أصيبعة عن محاولة أبي الصلت امية بن أبي الصلت لرفع المركب من قعر البحر في الاسكندرية : « ولقد تلطف ابو الصلت جدا فيما صنعه ، في التحيل الى رفع المركب إلا أنّ القدر لم يساعده » . (عيون الانباء في طبقات الاطباء لموفق الدين ابي العباس احمد المعروف بأبن ابي اصيبعة ، بيروت ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م ، ج٣ ، ص٨٧ .

٤١ ـ تنقسم الحيل باعتبار حكمها الى خمسة اقسام : واجب ، ومندوب ، ومباح ، ومكروه ، وحرام .

(ينظر الحيل الفقهية) . في المعاملات المالية : محمد بن ابراهيم ، الدار العربية للطباعة ، تونس ١٩٨٥ ص٥٧ .

٤٢ ـ كشف الظنون ج١ ص٦٩٥ ، وينظر الفهرست ص٢٥٩ ، ٤٢٢ ، ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون : اسماعيل باشا البغدادي ، طبعة مصورة ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ، ج١ ص٤٢٥ .

٤٣ ـ تنظر بعض كتب الحيل القديمة والحديثة في كتاب الحيل الفقهية في المعاملات المالية : محمد بن ابراهيم ، الدار العربية للطباعة ، تونس ١٩٨٥ م ص١٢ ، ٧٥ ، وكشف الظنون ج٢ ص١٤١٥ . وفيه أن الكتاب المنسوب الى محمد بن الحسن ليس له وانما هو للوراق . وتنظر كتب الحيل الشرعية في ايضاح المكنون ج١ ص٤٢٥ .

٤٤ ـ مفتاح السعادة ج١ ص٣٦٩ ، وينظر كشف الظنون ج١ ص٦٩٤ .

ولبديع الزمان الهمذاني مقامة باسم « المقامة الساسانية » وفي آخرها : « ماهذه الحيلة ويحك » (مقامات بديع الزمان الهمذاني ، بيروت ١٩٥٨ م . ص٩٥) . وللحريري مقامة باسم « المقامة الساسانية » . (مقامات الحريري ، القاهرة ١٣٢٦ هـ ص٥٦٩) .

٤٥ ـ إحصاء العلوم (التعليقات) ص١٢٥ .

٤٦ ـ إحصاء العلوم ص٤٣ .

٤٧ ـ إحصاء العلوم ٨٨ ـ ٩٩

٤٨ ـ إحصاء العلوم ص٩٠ .

٤٩ ـ تاريخ العلوم عند العرب ص٢٢٥ .

٥٠ ـ تقي الدين ص٣٢ .

٥١ ـ ينظر الفصل الثاني وهو « انطواء الميكانيكا تحت الطبيعيات » في كتاب تراث العرب في الميكانيكا ص١٢ .

٥٢ ـ سماه التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون ج١ ص٦٦ : علم الآلات الروحانية ، وقال : « هو علم تتبين منه كيفية ايجاد الآلات المرتبة على عدم الخلاء ونحوها من آلات الشراب وغيره ، ومنفعته ارتياض النفس بغرائب هذه الآلات » . وكان ابن النديم قد عقد الفن الثاني من المقالة السابعة من كتابه « الفهرست » في أخبار العلماء وأسماء ماصنفوه من الكتب . ويحتوي على أخبار أصحاب التعاليم المهندسين ، والارثماطيقيين ، والموسيقيين ، والحساب ، والمنجمين وصناع الآلات ، وأصحاب الحيل والحركات ، وذكر اسماء الكتب المؤلفة في الحركات . (الفهرست ص٣٤٣) .

٥٣ ـ مفتاح السعادة ج١ ٣٧٩ ، وينظر كشف الظنون ج١ ص١٤٨ ، ٢٥٦ ، وفي ج٢ ص١٤١٥ ان لارسطو كتاباً باسم الحيل .

٥٤ ـ الفهرست ص٣٢٠ ـ ٣٣١ وتنظر مؤلفاتهم في تراث العرب العلمي ص١٩٣ ، وتاريخ العلم ص١٧١ .

٥٥ ـ الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل لابي العز بن اسماعيل الجزري ، تحقيق : احمد يوسف الحسن ، معهد التراث العلمي العربي ، جامعة حلب ١٩٧٩ م ، ص٣٩٣ .

٥٦ ـ أخبار العلماء ص٢٠٨ ، وتنظر ص٢٨٦ ومابعدها .

٥٧ ـ وفيات الاعيان ج٤ ص٢٤٧ ، وينظر تصدير ميزان الحكمة لابي الفتح عبد الرحمن المنصور الخازن تحقيق : فؤاد جميعان ، القاهرة ١٩٤٧م ، ص١ ـ ٣١ ، وله طبعة اخرى بحيدر أباد الدكن صدرت سنة ١٣٥٩ هـ .

٥٨ ـ قال القفطي في اخبار العلماء ص٢٨٧ وهو يتحدث عن موسى بن شاكر :

« ومات وخلف هؤلاء الاولاد الثلاثة صغاراً فوصى بهم المأمون اسحاق بن ابراهيم ، وأثبتهم مع يحيى بن أبي منصور في بيت الحكمة ، وكانت كتبه ترد من بلاد الروم الى اسحاق بأن يراعيهم ويوصيه بهم ويسأل عن أخبارهم حتى قال : « جعلني المأمون داية لاولاد موسى بن شاكر » . وينظر كلام زيغريد في شمس العرب ص١١٨ .

٥٩ ـ علم الفلك ص٢٨٦ .

٦٠ ـ مقدمة ابن خلدون ص٤٨٦ .

٦١ ـ حضارة العرب ص ٤٥٧ .

٦٢ ـ تراث الاسلام ج٣ ص١٧٨ ـ ١٧٩ ، وتنظر ص١٩٣ لمعرفة آلات الرصد التي استعملها بنو شاكر .

٦٣ ـ شمس العرب ص١٢٢ ، وتنظر ص١١١ ومابعدها ، ومقدمة لعلم الميكانيك ص٣٤ .

٦٤ ـ العلوم عند العرب ص٣٦ ، وينظر تراث العرب العلمي ص١٨٧ .

٦٥ ـ تأريخ العلم ودور العلماء العرب ص ١٧٠ .

٦٦ ـ تاريخ العلوم عند العرب ص٢٢٦ ، وينظر المراصد الفلكية ببغداد ص١٠ .

٦٧ ـ ذكر القفطي في كتابه أخبار العلماء ص٢٨٦ أنه « كان في حداثته حرامياً يقطع الطريق ويتزيى بزيّ الجند .. ثم أنه تاب » وينظر شمس العرب ص١١٣ ومابعدها .

٦٨ ـ علوم اليونان ص٢٢٦ .

٦٩ ـ الاثار الباقية في القرون الخالية لابي الريحان محمد بن احمد البيروني الخوارزمي ، ليبزك ، ١٩٢٣ م ، ص١٥١ ، وينظر العرب والعلم في العصر الاسلامي الذهبي ص٥٤ .

٧٠ ـ أشار قدري حافظ طوقان في كتابه العلوم عند العرب ص٤٠ الى بحوث العرب في الروافع ، قال : « وكان لديهم عدد غير قليل من آلات الرفع ، وكلها مبنية على قواعد ميكانيكية تمكنهم من جر الاثقال بقوى يسيرة » ثم ذكر الالات التي ذكرها الخوارزمي في مفاتيح العلوم .

٧١ ـ مفاتيح العلوم ص١٤٢ .

٧٢ ـ مفاتيح العلوم ص١٤٣ ـ ١٤٤ .

٧٣ ـ ينظر بحث المصطلحات العلمية في مفاتيح العلوم د . احمد مطلوب ، بحث نشر في مجلة (دراسات للاجيال) الخاص بالتراث والثورة ، العدد الثالث ، السنة الخامسة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م ص ٤٥ ـ ٧٧ ، وفي كتاب بحوث لغوية د . احمد مطلوب ، عمان ١٩٨٧ م ص١٦١ ـ ٢٠٣ .

٧٤ ـ مقدمة الجامع ص٤٩ .

٧٥ ـ العلم عند العرب ص٣٠٥ .

٧٦ ـ مقدمة الجامع ص٤٩ .

٧٧ ـ جاء في أول كتاب الجزري رائد الميكانيك التطبيقي العربي ، ماجد عبد الله الشمس ، الموسوعة الصغيرة (١١١) بغداد ، ١٩٨٢ م . ص٣ « قال الشيخ ريس الأعمال بديع الزمان ... »

٧٨ ـ مقدمة الجامع ص٣٦ .

٧٩ ـ الجامع ص٣ ـ ٤ .

٨٠ ـ الجامع ص ٤ ـ ٦ .

٨١ ـ الجامع ص٥٠٤ ـ ٥٠٥ .

٨٢ ـ الجامع ص٩ ، وتنظر ص١١ .

٨٣ ـ الجامع ص١٩٧ .

٨٤ ـ الجامع ص٣٩٣ ، وقد تقدم كلامه عليهم .

٨٥ ـ الجامع ص٤٢٢ ـ ٤٢٣ .

٨٦ ـ الجامع ص١٤٥٦٩ .

٨٧ ـ الجامع ص٤٨٢ .

٨٨ ـ الجامع ص١٨٦ .

٨٩ ـ الجامع ص٨٤ .

٩٠ ـ الجامع ص١١٧ .   ٩١ ـ الجامع ص٤٨٦ .

٩٢ ـ الجامع ص١٥٤ .   ٩٣ ـ الجامع ص٢٥٧ .

٩٤ ـ تنظر فهارس الكتاب ص٥٢٥ ـ ٥٩٠ لمعرفة الاسماء والمصطلحات الفنية .

٩٥ ـ تنظر مقدمة الجامع ص٥٣ ـ ٥٥ ، ومقدمة لعلم الميكانيك ص١٢١ ـ ١٢٢ .

٩٦ ـ ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ج١ ص٢٥٦ ، وقال وهو يتحدث عن علم البنكامات : « ومن الكتب المصنفة فيه الكواكب الدرية ، والطرق السنية في الالات الروحانية في بنكامات الماء ، وكلاهما للعلامة تقي الدين الراصد . وقال في ج٢ ص١١١ : « العلامة تقي الدين الراصد محمد المتوفى سنة ٩٩٣هـ » .

٩٧ ـ تقي الدين والهندسة الميكانيكية العربية ص٣٣ .

٩٨ ـ ينظر تاريخ علم الفلك في العراق ص٣١٥ ـ ٣١٧ ، وتقي الدين ص١٧ ـ ٣٠ .

٩٩ ـ تقي الدين ص٣٤ ـ ٣٥ .

١٠٠ ـ تقي الدين ص٣٣ .

١٠١ ـ ينظر عيون الانباء ج٣ ص٨٧٨٦ ، تاريخ العلوم عند العرب ص٢٢٨ ، تراث العرب العلمي ص٢٧٥ تقي الدين ص٣٣ أثر العرب في الحضارة الاوربية ـ عباس محمود العقاد ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٦٣ م ص٤٩ ، شمس العرب ص١٣٤ ، تصدير ميزان الحكمة ص١٥ ، مقدمة لعلم الميكانيك ص٣٥ .

١٠٢ ـ تصدير ميزان الحكمة ص١٦ .

١٠٣ ـ العلوم عند العرب ص٢١١ ، وينظر تراث العرب العلمي ص٣٥٢ ، ومقدمة قدري حافظ طوقان لميزان الحكمة ص٣ ـ ٧ ، وتاريخ العلوم عند العرب ص٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

١٠٤ ـ العلم عند العرب ص٢١٧ .

١٠٥ ـ العلم عند العرب ص٣٠٥ .

١٠٦ ـ ينظر أخبار العلماء ص٤٢ ، ٤٣ ، ٥٦ ، ١٦٩ ، ٢٢٢ ، ٢٨٦ .

١٠٧ ـ ينظر أخبار العلماء ص٥٧ ، ٧٤ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٨٨ ، ٢٠٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٦ ، ٢٨٦ .

١٠٨ ـ تنظر المراصد في تقي الدين ص ٢٠ ، تراث العرب العلمي ص١٣١ ، شمس العرب ص١٣١ ، المراصد الفلكية ببغداد ص٨ .

١٠٩ ـ ينظر الفهرست ص٣١٧ ، ٣٤٢ ، مفاتيح العلوم ص١٣٤ ، أخبار العلماء ص٤٢ ، حضارة العرب ص٤٥٦ ، تراث العرب العلمي ص١١١ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، شمس العرب ص٣٨ ، ١٣٤ ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب ص١١٤ ، تراث الاسلام ج٣ ص١٨٩ ، تاريخ علم الفلك في العراق ص٣٥٣ .

١١٠ ـ مفتاح السعادة ج١ ص٣٧٧ ، كشف الظنون ج١ ص١٧٢٠٨٠ ، دائرة معارف القرن الرابع عشر ج٦ ص٦٢٨ .

١١١ ـ ينظر تقي الدين ص٣٨ ـ ٥١ .

١١٢ ـ إحصاء العلوم ص٨٨ ، وينظر مفتاح السعادة ج١ ص٣٧٦ ، كشف الظنون ج١ ص٥٨١ ، ج٢ ص١٦٥٢ .

١١٣ ـ الجامع ص٣٩٣ ، تقي الدين ص٣٤ .

١١٤ ـ مفتاح السعادة ج١ ص٣٧٧ ، كشف الظنون ج١ ص١٤٥ ، دائرة معارف القرن الرابع عشر ج٦ ص٦٢٨ شمس العرب ص٣٧ .

١١٥ ـ مفتاح السعادة ج ١ ص ٣٧٨ . وتنظر ص ٣٨٠ ، كشف الظنون ج١ ص ٢٥٥ ، وتنظر ص١٤٧ والحاشيةرقم (٢٢) من هذا البحث .

١١٦ ـ شمس العرب ص٢٤٢ ، وينظر رأي لوبون في حضارة العرب ص٤٧٣ .

١١٧ ـ ينظر المدينة في التراث د . احمد مطلوب ، بغداد ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م . ص٨٩ ـ ٩٠ ومافيه من إشارات الى المصادر .

١١٨ ـ شمس العرب ص١٤١ ، وينظر مقدمة لعلم الميكانيك ص٣٦ ، ٤٤

١١٩ ـ عيون الانباء ج٢ ص٢٠٠ .

١٢٠ ـ الفهرست ص٣٣٣ ، ٣٣٥ ، (٢٩)

١٢١ ـ مقدمة لعلم الميكانيك ص٣٦ . ١٢٢ ـ ينظر شمس العرب ١٢١ .

ابداعات العرب
في علم الفلك ورسم الخرائط

د . صبري فارس الهيتي
الامين العام لاتحاد الجغرافيين العرب

علم الهيئة او علم الفلك (الاسترونومي Astronomy) من أبرز العلوم التي عني العرب بها ، وقد أستند هذا العلم بالدرجة الاولى عندهم على علم الانواء فولجوه من هذا الباب وليس بالامر الجديد آنذاك أن تعنى العرب بالسماء ونجومها وكواكبها[1] (الكنس منها : وهي الكواكب التي تكنس أو تختفي في وقت غروبها والخنس وهي التي تخنس بالنهار فتختفي تحت ضوء الشمس)[2] نوؤها وظهورها وسقوطها وقدرها وربطها بالمواسم وبالحيوان والنبات .

ويغنينا إبن قتيبة عن وصف براعتهم في هذا المجال من العلم بقوله[3] الاتي :-

« صحبني رجل من الاعراب في فلاة ليلاً ، فاقبلت اسأله عن محال قوم من العرب ومياههم . وجعل يدلني على كل محلة نجم وعلى كل ضياء بنجم . فربما اشار الى نجم وسماه وربما قال لي : تراه وربما قال لي : ولِّ وجهك نجم كذا ، أي أجعل سيرك بين ـ ولعلها على نجم كذا حتى تاتيهم . فرأيت النجوم تقودهم الى موضع حاجاتهم كما تقود مهايع الطرق سالك العمارات . ولحاجتهم الى التقلب في البلاد وا؟تصرف الي المعاش . وعلمهم أن لا تقلب ولا تصرف في الفلوات الا بالنجوم ، عنوا بمعرفة مناظرها ، ولحاجتهم الى الانتقال عن محاضرهم الى المياه . وعلمهم أن لا نقلة الا لوقت صحيح ، يوثق فيه بالغيث والكلا عنوا بمطالعها ومساقطها .

هذا مع الحاجة الى وقت الطرق ووقت النتاج ووقت الفصال ووقت غور مياه الارض .. وزيادتها ، وتابير النخل ووقت ينع الثمر ووقت الحصاد ووقت وباء السنة في الناس وفي الابل وغيرها من النعم بالطلوع والغروب »

وقد لخص ابن النديم ما جاء عند العرب من كتب في هذا العلم الفوه بدون الاستعانة بما كان لدى الاعاجم فبلغ عددها (٢٢) كتاباً[٤] ، ويمكن الاشارة الى المجالات الفلكية التي كان للعرب دور الريادة فيها وهي :-

(١) اصالة الفكر العربي في علم الفلك :

لقد توصل العرب الى الكثير من الافكار والنتائج الفلكية التي لم يسبقهم اليها أحد من الاقوام ، وخاصة في مجال رصد الظواهر الكونية وتفسيرها منها :- حساب درجة منتصف النهار ، وضبط دوائر العرض وخطوط الطول ، عمل الجداول الفلكية (الازياج) والتي تعين بواسطتها مواقع النجوم السماوية في مختلف الاوقات . وتوصلوا الى الطريقة والاسلوب في تعيين مناطق البروج والعروض والميل ، واستطاع العرب رصد مواقع ١٠٢٥ نجماً » ووصف الوانها واقدارها وصححوا مواقع النجوم ، وتوصلوا الى تقسيم الرياح الى (١٤) نوعاً[٥] .

فهذا العالم ابراهيم بن حبيب الفزاري (من فزارة ونسبه الى غطفان المتوفى سنة ٧٧٧ م / ١٦١ هـ ألف سبعة كتب في علم الفلك هي (تسطيح الكرة / مقياس الزوال / العمل بالاسطرلاب المسطح / القصيدة في علم النجوم / اواسط الكواكب / والعمل بالاصطرلاب ذوات الحلق) فضلاً عن كتابه الزيج الذي يعرف (بزيج الفزاري) . وهو أول من عمل الاصطرلاب وشرح تركيبه ، وكان أحد من اسند اليهم ترجمة كتب الفلك لدى الاقوام الاخرى في ايام المنصور ومنها كتاب (السند هند أو السد هنت) للعالم الهندي الفلكي برمكيت سنة ٧٦٧ م[٦] ، أي قبل وفاة الفزاري بعشر سنوات ، مما يدل على قدرته الفلكية والا لما كانت لديه القدرة على ترجمة هذا الكتاب الضخم بأجزائه الخمسة .

ومن الفلكيين المهمين حنين بن اسحق (١٩٤ - ٢٦٠ هـ / ٨١٠ - ٨٧٣ م) وقد شارك بترجمة المجسطي لبطليموس المكون من ١٣ كتاباً[٧] .

وقاس الفلكيون ابناء موسى بن شاكر عرض محلة باب الطاق ببغداد بثلاث وثلاثين درجة وعشرين دقيقة شمالاً وهو ما ينطبق تماماً على واقع الحال . وقاس الزرقاني طول البحر المتوسط بـ ٤٢ درجة أي ما يعادل طونه الحقيقي بالتقريب .

وتقرير فلكيي عصر المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ / ٨١٣ - ٨٢٣ م) في تحديد المواقع الجغرافية يرجع اساساً الى الارصادات التي اجريت ببغداد عام ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م ، وبدمشق عام ٢١٧ هـ / ٨٣٢ م .

ويعرف هذا التقرير باسم (الزيج المأموني الممتحن) والمادة الرئيسية للحكم على الزيج المأموني تستقى أساساً من الرسالة الشهيرة لاحمد بن محمد ابن كثير الفرغاني « كتاب الحركات السماوية وجوامع علم النجوم » وهو واحدة من أولى المصنفات العربية في علم الفلك ويكاد يكون اكثرها شهرة في اوربا الوسيطة »[٨] .

ولمحمد بن موسى الخوارزمي : المتوفى ٢٣٦ هـ ، العديد من الكتب الفلكية فهو من اصحاب علم الهيئة ، وكان الناس قبل الرصد وبعده يعوّلون على زيجه الاول والثاني ومن أهم كتبه الفلكية عدا الزيج / كتاب الرخامة / وكتاب العمل بالاسطرلاب وكتاب عمل الاسطرلاب[٩] .

ويبدو جلياً أن تبويب الخوارزمي لمادته يختلف اختلافاً بيناً عن نهج بطليموس في كتابه (المدخل الى الجغرافية) حيث انه قسم العالم الى (٧) أقاليم على عكس بطليموس الذي قسمه الى (٢١) منطقة ، واذا كان الخوارزمي قد أبدى الكثير من الجرأة العلمية في تقسيمه الجديد للاقليم فانه قد أظهر الكثير من الاصالة والابتكار في خارطاته التي تختلف اختلافاً تاماً عن الخارطات المعروفة في العهود التالية)[١٠] .

كما ان *** ثابت بن قرة الحراني** (٢١١ هـ / ٨٢٨ - ٨٩٥ - ٩٧٤ م) يعد من القلائل الذين درسوا العلم ، فقد رصد الشمس وقاس حركاتها وحسب طول السنة النجمية وهي التي تساوي ٣٦٥ يوماً وست ساعات وتسع دقائق وعشر ثوانٍ وهذا القياس لا يزيد على ابق الاقيسة في الوقت الحاضر سوى نصف ثانية[١١] . وقد نبغ في الترجمة من السريانية والعبرية واليونانية الى العربية . وله العديد من الكتب منها : حركة الفلك / في إبطاء الحركة في فلك البروج لا تركيب الافلاك الهيئة ، في سنة الشمس / مختصر في علم النجوم / الانواء الجوية / في سنة الشمس وغيرها) .

*** اما يعقوب ابو يوسف الكندي :** المتوفى حوالي ٢٦٠ هـ / ٨٧٤ م فهو كذلك من الفلكيين العرب الذين كانت لهم ابداعات عديدة في هذا المجال حيث ألف كتباً فلكية منها : رسالته في ظاهريات الفلك ، رسالة في مائية الفلك وكتابه في مائية الفلك واللون اللازم اللازوردي ورسالته في أن طبيعة الفلك مخالفة لطبائع العناصر الاربعة[١٢] .

ويحتل زيج البتاني أبي عبد الله بن جابر بن سنان الرقي : (٢٤٤ - ٣١٧ هـ / ٨٥٢ - ٩٢٩ م) الذي عاش بعد قرن من الخوارزمي تقريباً أهمية خاصة ، لانه قام بامتحان ما جاء في الصورة من الاخطاء . وكان تاكيد البتاني عندما وضع زيجه الجغرافي للاطوال والعروض بالدرجة الأولى على المدن[١٣] ، لقد امضى البتاني حياته باسرها تقريباً برصد الاجرام السماوية

بمرصد الرقة (من عام ٢٦٤ - ٣٠٦ هـ) ومن كتبه كتاب الزيج الصابيء وهو نسختان اولى وثانية وكتاب معرفة مطالع البروج فيما بين ارباع الفلك(١٤) . ويذكر ابن النديم عشرات الباحثين العرب من الفلكيين واسماء كتبهم ومؤلفاتهم مما يثبت ابداعات العرب في هذا المجال العلمي الرائد(١٥) . واختم كلامي بقول : سيديو في كتابه (التاريخ العام للعرب) عن جهود العرب في الفلك اذ كتب « اننا لو رغبنا في أن ننظر الى التقدم الذي احرزه علماء العرب في العلوم الرياضية والفلكية فاننا نجد أن العرب سبقوا الاوربيين الى اكثر الاكتشافات التي نسبَ الاوربيون اكتشافها الى علمائهم » .

٢ ـ صنع العرب الخرائط :

ان العرب عند صنعهم الخرائط ووضعها كان قد تم لهم ذلك من باب واسعة استناداً الى تعيين دوائر العرض وخطوط الطول التي تقع عليها البلدان بالنسبة الى رصد النجم القطبي وارتفاعه ، ثم اختلاف الاوقات الزمنية بين البلدان . وتمكين العرب من وضع جداول جغرافية حسب خطوط الطول ودوائر العرض لمواقع البلدان والعوارض الارضية الاخرى من سواحل البحار ومجرى الانهار وامتداد البحيرات والجبال(١٦) ، وذلك باستخدام طريقة واسلوب عمل (الزيجات) والتي هي جداول تعين بواسطتها مواقع النجوم السماوية في مختلف الاوقات ليس هذا حسب بل ان تحديد (الاقاليم السبعة) الذي لم يسبقهم اليه

ومما يؤيد علاقة رسم الخرائط بالفلك ان العرب جعلوا لكل اقليم ابراجاً تخصه وسياراً يقتصر عليه : فالاقليم الاول مثلا جعلوا له كوكبه زحل ومن بروجه الجدي والدلو والاقليم الثاني له المشتري كوكباً « وابراجه القوس والحوت وهكذا .

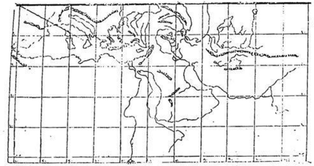
ويتماشى هذا مع ما كان عند العرب من هيئة تنجيم تربط الاحداث على سطح الارض بسلوك الكواكب والنجوم .

وسيقتصر حديثنا في مجال ابداع رسم الخرائط على جهود كل من : الخوارزمي ومجموعة العلماء الذين معه ، وكذلك الادريسي والعلماء الذين عملوا معه ، وذلك لان عمل كل منهما في رسم الخرائط كان متفرداً ومتميزاً ، لم يسبقهما اليه احد مع مناقشة مالحق بعملهما من تجني في نسبة هذا العمل الرائع (وخاصة عمل الخوارزمي) الى بطليموس اليوناني بدون وجه حق .

■ اولا : خرائط الخوارزمي :

أول صورة للارض صنعت للمأمون قام برسمها علماء الهيئة والرياضيات ومن جملتهم .. محمد بن موسى القطربلي الخوارزمي نسبة الى قطربل احدى محلات بغداد ، توفي سنة ٢٢٣هـ / ٨٤٧ م وهو احد الذين كلفهم المأمون وكانوا تسعة وستين عالماً لامتحان طول درجة من درجات العرض الجغرافي في سنجار . وانه واضع كتاب (الجبر والمقابلة) واهم ما في شانه انه هو واضع علم الحساب الذي اسماه الفرنجة (اللوغاريتم) كلمة حرفت من (الكورزم) وهي الخوارزمية(١٨) .

ومما يجلب النظر ان العرب ربطوا بين الفلك ورسمهم للخرائط ، اذ انهم جعلوا لكل اقليم ابراجاً ، كما ذكرنا انفاً . واول الجداول الجغرافية عند العرب جدول (الخوارزمي ، محمد بن موسى) مرتب على اساس ان اقاليم المعمور من الارض سبعة ،



الصورة المامونية (شكل رقم (١))

وقد وضع جداول لكل اقليم تخص المدن ثم الانهار ثم الجبال ثم البحيرات .. الخ .. وقد قسم الخوارزمي العالم الى سبعة اقاليم عريضة وهي مناطق تمتد شرقاً وغرباً فالمناطق موازية بعضها البعض وهو يعطي لكل موقع جغرافي ان كان مدينة او موقعاً او غير ذلك خطوط الطول ودوائر العرض بالابجدية الهوزية ، ثم يعمد الى كل اقليم فيقر للمدن جداول كذلك للجبال ويذكر اي نوع من الاصباغ تدهنها ، ثم البحيرات والانهار والعيون والجزائر التي في البحار ثم يخصص حيزاً من الكتاب لذكر البحار التي في كرة الارض المعمورة[١١] .

فالصورة المامونية (الخارطة رقم ١) التي نسبت الى الخوارزمي والتي قدمت الى المأمون عام ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م كانت مجهود سبعين من علماء الفلك وكان هو من بينهم . فقد اجروا القياسات الدقيقة للمواقع والظاهرات الجغرافية . وحسبوا جداول اقواس الطول ودوائر العرض (الازياج) ثم رسموا الخريطة فجاءت مطابقة للمواقع الى حد كبير وهي تحوي من خطوط الطول على ١٨٠ خطا او قوساً ، تبدأ بخط الصفر على الساحل الافريقي العربي وتنتهي بخط ١٨٠ مارا بشرق الصين والخريطة تعد مثالا لخرائط المدرسة العربية وقد وصف كراتشكوفسكي هذه الخارطة بقوله (تمثل هذه الخريطة اثرا ممتازاً من الاثار الجغرافية لعصر الازدهار العربي المبكر وان المعلومات التي لدينا عن الخارطة صحيحة بدرجة تسمح لنا بتكوين فكرة صحيحة)[١٢] .

ويعد كتاب الخوارزمي (صورة الارض)[١٣] من الكتب الرصينة التي قال عنه فاليتو وبار تولد (بانه لا يوجد شعب اوربي واحد يستطيع ان يفخر بمصنف يمكن مقارنته بهذا الكتاب الذي اعتبر اقدم اثر في الجغرافية العربية) .

وقد اخطأ العديد من الباحثين[١٤] : واعتدوا الخوارزمي قد قام بالنقل او التحوير من بطليموس منهم : (بتولومي كلوديوس) عن كتابه (جغرافية) والصحيح انه بطليموس البلوزي نسبة الى مدينة بيلوز القديمة التي كانت تقع على احد فروع دلتا النيل الشرقية وعلى البحر المتوسط وقد حرفت البلوزي الى القلوذي .

وهناك كتاب خرائط كان قد رسمها رجل جغرافي عربي فينيقي سوري عاش في صور وهو (مارينوس الصوري) فالجداول وخطوط الطول والعرض والخرائط التي جاءت في كتاب بطليموس هي نفسها جاءت في كتاب مارينوس .

وان الذي ترجم كتاب بطليموس هو ثابت بن قرة الذي ولد في حران سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م وتوفي سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م . وان الخوارزمي كتب كتابه (صورة الارض) سنة ٢١١ هـ / ٨٣٦ م اي انه الف الكتاب قبل مولد ثابت بن قرة .

ولقد اطلع المسعودي على خرائط مارينوس المستخرجة من كتابه (جغرافيا) ، وكذلك اطلع بعين الوقت على خرائط كتاب بطليموس والموسوم بـ (جغرافيا) ايضاً وهي محلاة بالاصباغ وخرائط اخرى لم يصل عملها الينا ، ولمعرفته وخبرته وعلمه وصل الى حكم جغرافي والمسعودي يقول : بان صورة الارض لمارينوس احسن واتق من (صورة الارض) لبطليموس فيقول في صفحة ٣٠ من التنبيه[١٥] « ورايت هذه الاقاليم مصورة في غير كتاب بانواع الاصباغ . واحسن مارايت ذلك في كتاب (جغرافيا) لمارينوس ، وتفسير (جغرافيا) قطع الارض » .

اما الاستاذ فيشر Fischer وهو الذي كتب مقدمة ترجمة كتاب بطليموس من اللاتينية الى اللغة الانكليزية وصدر الكتاب عام ١٩٣٦ بنسخ قليلة محدودة ووضعت في مكتبات معينة ، فيقول في المقدمة ماياتي : « وبعد بحثي الطويل وجدت ان خرائط بطليموس ماهي الا خرائط مارينوس مصححة (Emendation) واما مادة الكتاب (جغرافيا) فهي كذلك مصححة لكتاب مارينوس واهم ماذكره المترجم « وعند تفكيري الطويل وجدت ان الفضل الذي نرده الى الجغرافي اليوناني (بطليموس) ، يجب ان يكون من حق الفينيقي (مارينوس الصوري) وكتابه (جغرافيا) عرفه العرب بترجمته من اللغة السريانية (والسريانية هي ام العربية والفينيقية)[١٦] وفي حقيقة اكدها بطليموس نفسه في كتابه فيقول (ان كتابه وخرائطه ماهي الا تعديل لكتاب مارينوس ، وهذا مايثبت كذلك من ان الخوارزمي كان قد اطلع على كتاب (جغرافيا) لمارينوس وليس لبطليموس لان الاخير لم يترجم الا في فترة متأخرة كما مر معنا .

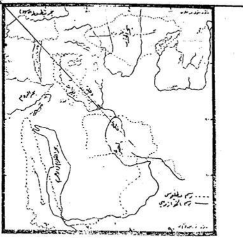
وقد قام المرحوم الدكتور ابراهيم شوكة بعقد مقارنة لاحدى الخرائط وهي خريطة (الجزيرة والعراق) مما جاء في صورة الارض للخوارزمي وما جاء في كتاب الجغرافيا لبطليموس فوجد ماياتي :

١ ـ ان منحى واسلوب بحث بطليموس يختلف تماما عن اسلوب وطريقة الخوارزمي ، اذ ان بطليموس قسم العالم الى اورفي . اوربا واسيا وافريقيا اي الى ثلاثة اجزاء ورسم للاولى اربعاً وعشرين خريطة لكل منها ، وللثانية ستاً وثلاثين خريطة ، وللثالثة عشر خرائط ، وذلك وفق تقاسيمه للقارات الى اجزاء .

بينما قسم الخوارزمي الارض الى سبعة اقاليم عريضة وهي مناطق تمتد شرقاً وغرباً بشكل انطقة موازية بعضها لبعض . ثم يعمد الى كل اقليم من السبعة اقاليم فيفرد للمدن والانهار وغيرها . وليس هناك علاقة بين الاسلوبين .

٢ ـ ان اغلب اسماء المدن والانهار والجبال والبحيرات وغيرها مازالت موجودة ، وتعرف باسمائها الان وهي التي ذكرها الخوارزمي (كما ترى في الخريطة التي رسمها المرحوم الاستاذ الدكتور ابراهيم شوكة التي تخص العراق والجزيرة . ويظهر الخطأ في توريد المواضع في خريطة بطليموس وكذلك القدرة في التعرف على المدن والمواقع التي ذكرها (الخارطة رقم ٢) .

٣ ـ ان اكثر خرائط بطليموس عدداً تخص اوربا وكذلك المواقع الجغرافية التي جاءت في متن كتابه عنها وكذلك اسيا واقلها عن افريقيا ، بينما نجد ان التأكيد عند الخوارزمي بما في ذلك الاسماء والمواقع والعوارض الجغرافية وغيرها من (صورة



انظر الشكل رقم (٢)

الارض) على العالم الاسلامي في الدرجة الاولى وذكر البلاد الاخرى ذكراً عرضياً .

٤ ـ يبدأ خط الطول الصفر عند بطليموس من جزائر السعيدات (جزائر السعادة) من المحيط الاطلسي بينما يبدأ خط مقياس طول الصفر من الساحل الافريقي عند الخوارزمي والفرق بينهما عشر درجات .

٥ ـ لو قارنا شكل بحر الخزر والخليج العربي الذي يسميه بطليموس ببحر فارس) ويسميه الخوارزمي (خليج البصرة) يظهر ان شكلها ابعد مايكون عن الواقع عند بطليموس بينما هي اقرب الى الواقع الصحيح عند الخوارزمي (انظر الخارطة رقم ٣) .



انظر الشكل رقم (٣)

اذن ليس ذلك من الصعب على العرب الذين اوجد اجدادهم من البابليين والكلدانيين الزمن بالساعات وعلموا الناس الدقيقة والثانية والزوايا والدرجات باجزائها ورسموا الخرائط[٢٥] .

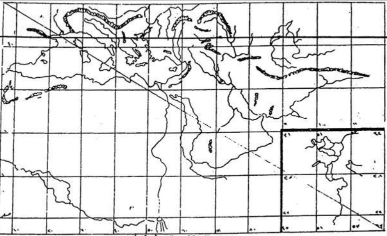
ليس غريباً عليهم ان يرسموا خريطة للعالم استناداً الى خبراتهم . ولذا فالارجح ان الخوارزمي كان قد اطلع على كتاب مارينوس وتأثر بتراث ابناء عمه الفينيقيين وهو اقرب الى الصواب .

وكانت العرب تسمي من يرسم الاقاليم السبعة وخريطة الارض صاحب صنعة (اي فلكي رياضي) او يتقن الحساب او صاحب هيئة ونجوم ، وقد سموا خريطة العالم (جغرافيا) اي رسم قطع الارض بدون الف لام التعريف . وبقيت الكلمة مصطلحاً على رسم قطع الارض فقط[٢٦] .

وقد اجريت تعديلات على خرائط (المامونية) قام بها ابو عبد الله محمد بن جابر بن سنان البتاني توفي سنة ٩٢٩ م وابن يونس ابو الحسن الشيخ الامام علي بن سعيد بن عبد الرحمن بن احمد بن يونس توفي عام ١٠٠٧ م وقد تمت التعديلات على الصورة المامونية بناء على ارصاد الاثنين ومشاهداتهما وحسابهما الفلكي اي امتحان المواقع . وقد امر المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٥٣ هـ / ٩٣٦ م برسم الخارطة .

فكلاهما جغرافي معروف وقد عاصر احدهما الاخر وعاشا في كنف بلاط واحد ووضع كلاهما للعزيز بالله (الفاطمي) ، اثراً علمياً ، فابو الحسن وضع كتابه (المسالك والممالك) الذي نسبه الى العزيز في اول سني خلافته ٣٨٥ هـ / ٩٧٥ م فسمي الكتاب (العزيزي) بعد ان قضى دور نضوجه العلمي على عهد المعز بالله نفسه . اما ابن يونس فقد وضع له ايضاً زيجه المعروف بالزيج الحاكمي ، وكلاهما احيط بنفس الظروف التي اهلتهما لوضع خريطة العالم (جغرافيا) على غرار الخريطة المامونية[٢٧] ومن يتصفح صورة جغرافيا التي استندت على زيج بن يونس ويقارنها بالصورة المامونية للخوارزمي يجد الفرق في الشكل بسيطاً لدرجة بحيث لا يشعر بها الا من هو مختص[٢٨] (انظر الخارطة رقم ٤) .

وقد قام البتاني بامتحان ماجاء في الصورة المامونية من مواقع استناداً الى ارصاده وصحح كثيراً من اغلاطها . والفرق بين زيج محمد بن موسى والبتاني هو ان البتاني بدا بخط الصفر للاطوال اعتباراً من جزائر السعادة (السعادات) وبذا زاد على ما جاء في زيج الاول عشر درجات . ومع ذلك يقال ان الخوارزمي والعلماء الذين معه كان لهم قصب السبق وحق الفخر لانهم اظهروا العالم على صورة قريبة من الواقع القائم الان وبكل احكام وتحقيق من ناحية صحة المواضع وقرب الشكل العام الى الخرائط الصحيحة مما سهل على الباحثين بعدهم مهمة التعديل مثل ابن يونس والبتاني .



انظر الشكل رقم (٤)

■ ثانياً ـ الادريسي :

وهو ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريسي (المشهور بالشريف الادريسي) (٤٩٣ هـ ـ ٥٦٠ هـ / ١١٠٠ ـ ١١٦٤ م) من عظماء الجغرافيين الذين بذلوا جهوداً كبيرة في رسم الخرائط ، اذ انه قضى شطراً من حياته في اعداد اول خريطة عالمية صحيحة مبنية على الاصول العلمية والحقائق الفنية الثانية التي لا تختلف كثيراً عما هو معروف في عهدنا الحاضر .

وهي الخارطة التي ظهرت في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، ففي هذه الخارطة تقسيم لخط نصف النهار وخط الاستواء وضبط درجات اطوال البلدان وعروضها بالدقة نفسها التي نراها اليوم .

وقد استقدم رجار الثاني ملك صقلية النورماني الادريسي ليتعرف بواسطته على جغرافية بلاده واحوال العالم فطلب منه تاليف كتاب شامل في وصف مملكته وسائر الافاق المعروفة في ذلك العهد ، وقبل اشتغاله بتاليف هذا الكتاب(٢٩) سنة ٥٤٨ هـ ـ ١١٥٤ م صنع كرة من الفضة الضخمة الحجم تمثل الارض بما عليها وهي اول كرة ارضية عرفت في التاريخ على هذا الشكل وقد امر ان يفرغ له من الفضة الخالصة دائرة مفصلة عظيمة الجرم ضخمة الجسم في وزن اربعمائة رطل في كل رطل / منها / مائة درهم واثنا عشر درهماً ، فلما كملت امر الفعلة ان ينقشوا فيها صور الاقاليم السبعة ببلادها واقطارها وسيفها وريفها وخلجانها وبحارها ومجاري مياهها ومواقع انهارها وعامرها وغامرها ومابين كل بلد منها وبين غيرها .

جعل الادريسي للكتاب (٧٠ رسماً) نقلها عن كرته المذكورة فوسعها واضاف اليها اسماء جديدة لكثير من المدن والمواضع الاخرى ، وكتاب (جغرافية الادريسي) هذا من اجمل وانفس ما وضعه العرب في تخطيط البلدان وهو مزين بالخرائط الملونة توجد نسخة منه في مكتبة المجمع العلمي العراقي ، وقد جمع مللر اجزاء الخرائط التي وضعها الادريسي وطبعها بالالمانية على شكل خارطة مكبرة للعالم واعادها الى الاصل العربي محققة ومحررة الاستاذان محمد بهجة الاثري والدكتور جواد علي ، وطبعت مي العراق في مطابع مديرية المساحة العامة(٣٠) .

ويفهم من افتتاحية الادريسي في كتابه ، ومن كلام الصفدي (توفي عام ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٣ م) ان الادريسي قام بثلاثة اعمال مهمة : اولهما أنموذج فريد من نوعه للكرة السماوية وهو عبارة عن قرص من الفضة مرسوم عليه صورة العالم ، وثانيهما خارطة مرسومة على الورق ، وثالثها كتاب خاص مبينة فيه الاسماء الجغرافية(٣١) وقد ادخل الادريسي تجديداً على خارطته بتقسيمه الاقاليم السبعة للمعمورة المعهودة كل اقليم الى عشرة اقسام راسية هي التي يتفرغ لوصفها في كتابه الواحد تلو الاخر مبتدئاً من الغرب ومتجهاً نحو الشرق ، وكل نصف لقسم من هذه الاقسام يرتبط بخارطة بحيث اذا ضمت هذه الخارطات السبعون الصغيرة الى بعضها البعض لتكون من ذلك خارطة عامة لكل العالم على شكل مستطيل ، الامر الذي يستحيل فعله مع (اطلس الاسلام) ويبدو جلياً ان العيب الاساسي لمثل هذا المنهج هو في ان وصف قطرما ، ياتي موزعاً بين عدد من القطع الصغيرة المبعثرة هنا وهناك بحيث يتطلب جمعها مجهوداً ملحوظاً كما هو الحال في المجهود الذي بذله المرحوم الدكتور ابراهيم شوكة(٣٢) .

واهم الاقسام بالطبع هي تلك التي افردها لافريقيا الشمالية واسبانيا وصقليا ونواحي ايطاليا الاخرى لانها تعتمد بل كل شيء وذلك خلافاً للاقسام الاخرى على الملاحظة الشخصية للمؤلف ، كذلك قُيم وضعه لاوربا الغربية (فرنسا والمانيا واسكتلندة وايرلندة وسواحل بحر الشمال) عن المقدرة والمهارة التي اقتضتها الظروف العلمية لذلك العهد(٣٣) .

لقد برهنت دراسة الادريسي ، ببداية القرن العشرين على ان تحليل متن كتابه لا يمكن ان يتم الا بتحليل مماثل لخارطته جنباً الى جنب مع المتن غير ان هذا لم يصبح ميسوراً بصورة قاطعة الا في العشرينات من هذا القرن فقط وذلك بعد ان نشر ميلر جميع المادة الكارتوغرافية في المخطوطات ، بيد ان مسالة

العلاقة بين متن الادريسي وخارطاته ليست من السهولة بالدرجة التي تصورها افتتاحيته[٣٤].

وقد قام الادريسي بنقش المعلومات من بعد جهد دام خمس عشرة سنة بصورة خريطة على منضدة فضية وفرغ الاثنان من العمل في شهر كانون الثاني سنة ١١٥٤ م، وذلك في مدينة بالرمو. وتعد هذه الخريطة من اغزر خرائط العالم القديمة مادة وخاصة عن المدن المعروفة لدينا اليوم.

ونجد في الخريطة ان الشمال في اسفلها والجنوب في اعلاها كما هو شان باقي الخرائط العربية (انظر الخارطة / ٥) ويستحسن في هذه الحالة قلب الخريطة عاليها سافلها لملاحظة اجزائها المهمة من الارض والبحار.

ويظهر من الخارطة ان المحيط الهندي وبحر قزوين واوربا والبحر المتوسط والبحر الاسود والبحر العربي والخليج العربي كلها في مواضع مناسبة، وينبغي التنبيه بان الخرائط العربية تبدأ من الجهة اليمنى في الزاوية العليا ثم تنتهي في الزاوية السفلى من اليسار.

وتقع افريقيا في خريطة الادريسي في القسم الايمن العلوي وفي اسفلها (اي في الجانب الايمن السفلي) تقع اوربا وكل القسم الايسر من الخريطة تحتله قارة اسيا (هذا مع العلم بان تقسيم العالم كقارات لم يعرف على عهد الادريسي) ولم يصنف الادريسي ولا غيره من جغرافيي العرب، العالم الى قارات بل قسموه اقاليم واقساماً وبلاداً.

وان الاقليم الواحد او احياناً القطر الواحد يقع ضمن العديد من القطع فمثلاً تقع الجزيرة العربية او ديار العرب كما يسميها البلدانيون العرب، ضمن ست قطع: قطعتان او جزءان - من الاقاليم الاول وهما الخامس والسادس وقطعتان من الاقاليم



انظر الشكل رقم (٥)

صورة الارض - للشريف الادريسي المتوفي « ٦٥٠ هـ - ١٢٦٤ م »

الثاني ، وهما الخامس والسادس ايضاً وقطعتان من الاقليم الثالث وهما الخامس والسادس كذلك ، وكما هو معلوم بان الادريسي يفرد لكل قطعة من الخريطة او جزء من اقليم فضلاً عن ما هو موجود في قطعة الخريطة ويزيد عليها ما عنّ له من معلومات وتفاصيل ويورد اسماء كثيرة بالاضافة الى ماهو موجود على قطع الخريطة[٣٥] .

ومن الذين عاشوا في هذا القرن السابع واستفاد من خرائط الادريسي القزويني زكريا بن محمد (٦٠٠ هـ - ٦٨٢ هـ / ١٢٠٣ - ١٢٨٣ م) الذي خلف كتابين كبيرين هما (اثار البلاد واخبار العباد) و (عجائب المخلوقات) ، وقد شهد عهد المستعصم اخر الخلفاء العباسيين واحتلال بغداد من قبل المغول ، وقد وضع العديد من الخرائط .

هوامش البحث ومصادره

(١) د . ابراهيم شوكة ، خرائط جغرافية العرب الاول ، مجلة الاستاذ ، كلية التربية / جامعة بغداد م ١٠ ، ١٩٦٢ ، ص٤٠ .
(٢) محمد سليمان عبد الله الاشقر ، زبدة التفسير للقرآن الكريم ، الكويت ، ١٩٨٥ ، ص٧٩٤ ، تفسير للايتين ١٥ و ١٦ من سورة التكوير .
(٣) ابن قتيبة الدينوري ، الانواء في مواسم العرب ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد الدكن ، الهند ، ١٩٥٦ ، ص٢ - ٣ .
(٤) ابن النديم ، الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، ص٩٧ ، ص ١٦٥ .
ذكر منهم (الاصمعي ابن محلم وقطرب وابن الاعرابي والمبرد وابن قتيبة والزجاج وابن دريد والوهبي والمرثدي ووكيع وابن عمار ومحمد بن حبيب وابي غاليا وابن خرداذبه) والبلخي والاخفش وغيرهم) .
(٥) فيض عبد الله النجم ، ملامح من الاصالة العربية في علوم الفضاء ، بحث قدم الى ندوة مركز احياء التراث ، بغداد ، ١٩٨٧ .
(٦) د . ابراهيم شوكة ، خرائط جغرافية العرب ، ص٤١ .
(٧) اغناطيوس كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ط٢ ، ص٩١ .
(٨) المصدر نفسه ، ص٩٩ - ١٠٠ .
(٩) ابن النديم ، الفهرست ، ص٢٧٣ .
(١٠) كراتشكوفسكي / تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ص ١١١ .
(١١) عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص٢٩٧
(١٢) ابن النديم ، ص٢٥٥ .
(١٣) د . ابراهيم شوكة ، خرائط جغرافية العرب الاولى ص ٥١ .
(١٤) ابن النديم ، الفهرست ، ص٢٧٨ .
(١٥) انظر الفهرست ، ص٢٧٩ - و ص ٣٣٤ .
(١٦) د . شوكة ، خرائط جغرافية العرب الاولى ص ٤٢ .
(١٧) د . ابراهيم شوكة ، جزيرة العرب في نزهة المشتاق للشريف الادريسي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، م ٢١ ، ١٩٧١ ، ص١٠ - ١٣ .
(١٨) د . ابراهيم شوكة ، تفكير العرب الجغرافي وعلاقة اليونان به ، مجلة الاستاذ ، المجلد التاسع ١٩٦١ ، ص٥ - ٥ .
(١٩) د . صبري فارس الهيتي ، المدارس العربية - الاسلامية في رسم الخرائط ، مناهجها واسلوبها واصالتها ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، العدد (١٨) ايلول ١٩٨٦ ، ص١١ .
(٢٠) كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ص٨٦ .
(٢١) د . عبد العال الشامي ، جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط الجغرافية ، بحوث المؤتمر الجغرافي الاسلامي الاول ، الرياض ، ١٩٧٩ ، ج ٢ ، ص٣١ .
(٢٢) من الباحثين الذين اخطاوا وحسبوا ان الخوارزمي قد نقل من بطليموس : رولنسن في كتابه تراث الاسلام وفان بارتولد وطوقان و د . نيقولا زيادة (الرحالة العرب) ، انظر د . ابراهيم شوكة ، مجلة الاستاذ ، العدد ٩ ، ١٩٦٢ ، ص٨ - ١٠ .
(٢٣) د . شوكة ، خرائط جغرافية العرب الاولى ، ص١٥ .
(٢٤) المصدر نفسه ، ص١٣ .
(٢٥) فيليب حتي ، تاريخ العرب ، ج ١ ، ص٥٦ .
(٢٦) شوكة ، مجلة الاستاذ ، العدد (١٠) ، ص٤٧ .
(٢٧) المقريزي ، الخطط المقريزية ، مطبعة الساحل ، بيروت ، م٢ ، ص٢٦٧ .
(٢٨) د . شوكة ، خرائط حغرافية العرب الاولى ، ص٤٨ .
(٢٩) الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق او جغرافية الادريسي .
(٣٠) احمد سوسة ، العراق في الخوارط القديمة ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المعارف ، ١٩٥٩ ، ص٢٤٦ .
(٣١) كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ص ٢٨٣ .
(٣٢) د . ابراهيم شوكة ، جزيرة العرب في نزهة المشتاق للشريف الادريسي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد (٢١) ، ١٩٧١ .
(٣٣) د . ابراهيم شوكة ، تحقيق سوريا ولبنان وفلسطين والاردن من نزهة المشتاق ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد (٣٠) ، ١٩٧٩ .
(٣٤) المصدر نفسه ، ص٢٨٨ - ٢٨٩ .
(٣٥) د . ابراهيم شوكة ، جزيرة العرب في نزهة المشتاق ، ص٦ - ٧ .

تخطيط المدن
عند العرب

أ . د . حيدر عبد الرزاق كمونه
جامعة بغداد - مركز التخطيط الحضري والاقليمي
للدراسات العليا

■ المقدمة

للعرب نصيب بارز وكبير في تخطيط مدنهم التي استقروا فيها منذ الفترة التي سبقت الاسلام . الا ان هذا الدور شهد قمة عظمته بعد انتشار الاسلام وتوجه العرب المسلمين الى العراق وبلاد الشام وشمال افريقيا لتحريرها من السيطرة الفارسية والرومانية وتجلي الفكر العربي السليم المتكيف مع بيئته الصحراوية القاسية والمنطلق من مبادئه الانسانية والمنبثق من الحضارة العربية ، وحذرهم من تربص الاعداء بهم واستعدادهم للدفاع عن مدنهم مراكز سيادتهم ومواقع نشر دينهم الجديد . فتجلى في كيفية اختيار مواضع تلك المدن ومواقعها وفي التخطيط لاستعمالات الارض فيها . وكذلك في كيفية التنسيق في توزيع مرافق الخدمات الدينية والاجتماعية والسياسية والتجارية والسكنية في داخلها مع مراعاة مشاعر الناس وروابطهم القبلية وساحاول القاء الضوء على السمات العامة لهذه الافكار التخطيطية الاصيلة التي اثرت في امم ودول كثيرة في العالم .

■ المبحث الاول
انجاز العرب التخطيطي قبل الاسلام

نشات بعض الدويلات العربيه التي ازدهرت في الجزيرة العربية سواء جنوبها أو وسطها او شمالها يكن لمواقع العديد من المدن الاثر في أعطائها الاهمية . لكونها تقع في طريق القوافل المتجهة نحو الاراضي التي تسيطر عليها الامبراطوريتان الفارسية والبيزنطية . لكن الانسان العربي اضطر الى تحصين تلك المدن لصد الغزوات والضغوط التي وجهت اليها ومن هذه المدن :

• الحيرة :

الحيرة اقدم مدينة عربية في العراق . وتقع في جنوب مدينة الكوفة الحالية على بعد ١٤ كم . وقد اتخذت الحيرة عاصمة مملكة عربية وقفت عدة قرون حاجزاً بين دولتين كبيرتين هما الروم في الغرب والاكاسرة في الشرق واستمرت منذ القرن الثاني الميلادي حتى السابع وكانت في ثلاثة قرون منها عاصمة للخميين[1] .

واشتهرت هذه المدينة بعماراتها وقصورها والتي منها قصر الخورنق وقصر السدير ، والعذيب والصنبر والقصر الابيض والزوراء وابن مازن وغيرها . والتي كانت تدل على الابهة . كما كانت المدينة مشتهرة باسواقها الواسعة وبلغ فن الريازة الحيرية درجة كبيرة في الاتقان والابداع . فبيوتها كانت مخططة تخطيطاً

متناسباً مع استخداماتها الهادفة الى توفير الراحة . حتى ان الخليفة العباسي المتوكل حاكاها في بناء قصره كما ذكر ذلك المسعودي[٢]

وقد استخدم اللبن والاجر والمرمر والجص والقرميد في بناء الحيرة . كما تفنن الحيريون في نقش عماراتهم وزخرفتها بالرسوم وبطلاء سقوفها بالفسيفساء والذهب . وقد حررها العرب صلحاً . وبقيت مدة يسكنها المسلمون حتى بنيت الكوفة وحلت محلها . وهذا ما يؤكد صحة توارث المدن للمواضع الجيدة والخطيرة .

* **البتراء :**

تقع البتراء في وادي موسى شرقي الاردن على طريق القوافل . على رابية قاحلة يبلغ ارتفاعها ٣ الاف قدم . وكانت قاعدة للانباط وظلت كذلك نحو ٤٠٠ سنة . وقد بلغت قمة غناها ومجدها في القرن الاول الميلادي .

بنيت البتراء باستخدام الحجر مادة بناء اساسية فيها وخاصة في تشييد المعابد والقصور والمدافن .

وقد كانت معظم الابنية المهمة منحوته في سطح جبل له واجهات شاهقة يبلغ ارتفاع بعضها حوالي ١٢٠ قدماً . وهي محفورة في الحجارة الجبلية وذات الوان زاهية . ويلاحظ فيها ظاهرة تستحق العناية الا وهي المبنى المحفور في جبل الخزينة . والذي يعد اروع ابنية المدينة . وبعد الخزانة تظهر فسحة وسطية طويلة تفصل بين سطحي جبلين تطل عليها واجهات الابنية المنحوته فيها[٣] . وفي هذا اثبات لما للابداع العربي في مجال تخطيط المدن وتصميمها من اثر واضح . بقي خالداً لعهود طويلة .

* **الحضر :**

تقع الحضر على بعد ١١٠ كم جنوب غربي الموصل . وقد كانت هذه المدينة في مطلع القرن للاول الميلادي عاصمة لمملكة عربية . وكانت تتمتع باستقلالها . وظلت مزدهرة الى القرن الثالث الميلادي .

وكانت تتمتع هذه المدينة باهمية عسكرية وسياسية ودينية حتى ان مكانتها الدينية لدى القبائل العربية جعلت الاخيرة تسرع لنجدتها في اوقات الشدة دفاعاً عن معابدها . وان اضخم مبانيها هو معبدها الكبير الذي كان يتوسطها تماماً[٤] .

وتتميز هذه المدينة بوجود الاسوار والقصور والمعابد والابراج . وكانت مدورة ومحاطة بسورين . الاول خارجي واطيء مشيد من اللبن وقطره (٣ سم) . والثاني داخلي يبعد عنه بمسافة ٥٠٠ متر . وله اربعة ابواب ويحيط به خندق . ويتكون السور من جدارين عرض الاول ٣ م والثاني ٥ ر ٢ م والمسافة بينهما ١٢ م عند البوابة الشمالية .

وكانت ابواب مدينة الحضر تمتاز بقوتها ومناعتها . وقد صممت بطريقة ماهرة تمكنها من صدّ أي هجوم يداهمها . فالداخل الى المدينة يعبر الخندق ثم يدخل في باب في بدايه مسلك مواز للسور الداخلي من الخارج . وبعدها ينعطف به هذا المسلك الى جهة اليمين فينفذ في ذلك السور ماراً خلال باب كبير وبين كل برجين كبيرين تسعة ابراج صغيرة[٥] . وهكذا يتضح مدى الاستحكامات العسكرية التي زودت بها هذه المدينة لكونها كانت تقع في موقع خطير على طريق الفاتحين والتجار وبالقرب من التخوم المعادية .

* **تدمر :**

نشات هذه المدينة في اواسط بادية الشام في القرن الاول الميلادي بين دولتين متعاديتين هي الدولة الفرثية والرومانية .

ولقد اتصف بناؤها بكونه قد صمم على وفق طراز هندسي دقيق ونقلت اليها احجار الكرانيت المستخدمة في البناء من مصر . وكان يحرث بشارع المدينة نحو ٧٥٠ عموداً من حجر الكلس الابيض والوردي . ويبلغ ارتفاع كل عمود ٥٥ قدماً . وكان في السور قوس النصر الضخم الذي وصفوه بجانب هيكل (اله الشمس) . وعند الشارع لمسافة كيلو متر شمالاً كانت هناك ابراج عالية تظهر فيها معالم العظمة والابهة[٦] .

* **مدن اليمن :**

ظهرت في اليمن مدن عديدة كانت مراكز للاستقرار الحضري وذلك بسبب الظروف الملائمة التي كانت متوفرة في هذا البلد العربي ومنها الظروف المناخية . والتفاعل مع البيئة الطبيعية . ولذا ظهرت طلائع المدن واصبحت دلائل التحضر في خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد . عندما اتخذت الدولة المعينية عاصمة لها في مدينة معين . وهذه المدينة تقع في شرقي اليمن في وسط سهل فسيح يمتد على شكل حوض هو حوض الجوف[٧] .

ومعين مدينة مستطيلة الشكل تبلغ مساحتها نحو ١٠٠ الف متر مربع . وكانت هذه المدينة مسورة بسور عال كانت به مزاغل لتصويب السهام والدراقبة . وذلك للوقاية من الغزوات التي كانت تتعرض لها من الجماعات البدوية أو الاقوام الاجنبية المعادية[٨] .

وظهرت في اليمن مدن اخرى في المدة نفسها منها مدينة مارب عاصمة الدولة السبئية وريدان عاصمة الدولة الحميرية ، وقد ازدهرت هذه المدن ونشطت فيها حركة العمران وقامت المعابد والقصور وخانات التجار .

وهكذا يظهر اثر العرب في بناء وتخطيط المدن في الفترة التي سبقت انتشار الديانة الاسلامية . مما يثبت عمق هذه الحضارة واصالتها ، والتي تمثلت في التخطيط وطريقة البناء وتشييد الاسوار وغيرها .

■ المبحث الثاني

الاسس التي اتبعها العرب في التخطيط لانشاء المدن

لقد اتبع مخططو العرب اسساً علمية عديدة عند قيامهم للبحث عن اماكن لاقامة المدن عليها . فكانوا يختارون لهذه المدن مواضع محددة على وفق ضوابط عديدة من اهمها :

١ - العوامل الطبيعية :

تعد دراسة الموضع الذي تنشأ عليه المدينة وما يحيط به من عوامل طبيعية متعددة من الخطوات الضرورية التي يجب الاحاطة بها عند الشروع في التخطيط لانشاء اية مدينة .

وكان العرب اذا ارادوا بناء مدينة ارتادوا الاماكن المختلفة . واجروا التحريات الطبوغرافية والتعبوية لمعرفة مدى صلاحها للسكن ، كما فعلوا ذلك عندما بنوا البصرة والكوفة وبغداد وسامراء وغيرها(٩) .

وذلك لان « ما يجب مراعاته في اوضاع المدن وما يحدث غفل عن تلك المراعاة ، ولما كانت المدن تبنى للقرار والمأوى . وجب ان يراعى فيها دفع المضار بالحماية من طوارقها ، وجلب المنافع وتسهيل المرافق(١٠) .

كما ان العرب المسلمين اختاروا مواضع معينة للمدن الساحلية فاذا لم تكن في موضع جبلي احتاجت الى ظهير بشري وفور العدد يكون صريخاً للمدينة متى طوقها طارق من العدو ، والسبب في ذلك ان المدينة اذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبائل اهل العصبيات ، ولا موضعها متوعر من الجبل في غرة للبيات وسهل طروقها في الاساطيل البحرية على عدوها وتحيفه لها . لما يامن عن حكم المقاتلة(١١) .

وهذا سعد بن ابي وقاص نراه يكتب الى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بعد ما خرج من معركة القادسية منتصراً يستأذنه ويستشيره في ايجاد سكن للمسلمين فيحدد له الخليفة الشروط التي يجب توفرها فيه ، اذ كتب، له قائلاً : « ان العرب لا يصلح لها من البلدان الاما صلح للشاة والبعير فلا تجعل بيني وبينهم بحرا وعليك بالريف »(١٢) .

وكان المسلمون يحرصون ان تكون المدينة على نهر او بازائها عيون عذبة ثره . فان وجود الماء قريباً من المدينة يسهل على السكان الحصول عليه بوفرة وهذا ضروري لان وجوده يعد مرفقة عظيمة عامة(١٣) . ولذا قامت البصرة سنة ١٤ هـ . في تلك البقعة التي يصب فيها نهر دجلة والفرات مياههما في البحر . وكان من الضروري على الفاتحين العرب احتلال المنطقة التي تتلاقى فيها الطرق العامة المرتفعة التي تشرف بوجه خاص على كل من يفر من ناحية البحر(١٤) . والذي يتميز باهميته لوقوعه على نهر الفرات والكوفة ويشكل حلقة وصل بين اهل البادية وسكان القرى الساكنين في منطقة الحيرة . المعروف ان الحجاج عندما اراد ان يبني مدينة واسط قال لرجل ممن يثق بعقله . امض، واتبع لي موضعاً في كرش من الارض ابني فيه مدينة وليكن على نهر جار(١٥) . وقد اختير فعلا لمدينة واسط موضع كثير الخيرات وافر الغلات يشقه نهر دجلة وكانت المدينة في فضاء من الارض صحيحة الهواء عذبة الماء(١٦) . وكانت تجري من نهر دجلة انهار كثيرة في اسفل مدينة واسط تصب كلها في البطيحة وبعضها في بعض واذا انفصل نهر دجلة عن واسط انقسم الى سبعة انهر عظام تحمل السفن منها نهر ساسي ونهر الغراف ونهر دقله ونهر جعفر ونهر ميسان ونهر موفري ونهر الهامة ثم تجتمع هذه الانهر وما ينضاف اليها من الفرات كلها قرب مطارة وهي قرية من قرى البصرة(١٧) .

وهكذا نلاحظ ان قدماء المسلمين كانوا يستفيدون من الارض التي تقع في ذنائب الجداول عند مصباتها في الانهار حيث تكثر المياه وينبت القصب والبردي فيتخذونها مناطق لصيد الطيور فالانبار التي كانت تقع على ضفة نهر الفرات اليسرى جنوب الصقلاوية الحالية ، كانت لها مكانة سامية في العهد العربي اذ اتخذها الخليفة العباسي الاول عبد الله السفاح في سنة ١٣٢ هـ عاصمة لمملكته . كما ان ابا جعفر المنصور انشأ مدينته المدورة في سنة ١٤٥ هـ على الضفة اليمنى من نهر دجلة في الزاوية المتكونة بين مجرى الصراة ومجرى دجلة شمالاً .

وكان مما يراعيه المسلمون ايضاً من المرافق في اختيار مدنهم (طيب المراعي لسائمتهم . اذ ان صاحب كل قرار لا بد له من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب ولابد لها من المرعى . فاذا كان قريباً طيباً) كان ذلك ارفق بحالهم ، لما يعانون من المشقة في بعده ومما يراعى ايضاً المزارع ، فان الزروع هي الاقوات فاذا كانت مزارع البلد بالقرب منها . كان ذلك اسهل في اتخاذه واقرب في تحصيله ومن ذلك الشجر للحطب والبناء ؟ فان الحطب مما تعم البلوى في اتخاذه لوقود النيران للاصطلاء والطبخ والخشب ايضاً ضروري لسقفهم (للبناء)(١٨) .

٢ - العوامل العسكرية :

لقد كانت المعسكرات التي اوجدتها الجيوش الاسلامية . طلائع المدن العربية الاسلامية في الاقطار التي فتحتها . فعندما اسس المسلمون المستوطنات اصبحت قواعد عسكرية وظائفها الاساسية ايواء المقاتلين وعوائلهم ، ومراكز ادارية للمناطق التي سيطرت عليها الجيوش في تلك الاقطار وواسطة لارسال الاوامر العسكرية والنجدات من قاعدتهم الاساسية في شبه الجزيرة العربية الى المناطق المفتوحة كالعراق ومصر وتونس وغيرهم . اضافة الى انهم اتخذوا منها خطاً مفتوحاً يؤمن انسحابهم في حالة تعرضهم للخطر ليحتموا بها عندما يضايقهم العدو(١٩) .

لذلك فقد تأثرت بهذا الهدف كل من مواقع المدن وبنيتها الداخلية التي روعي فيها ان تكون منسجمة مع روح الاسلام

واساليب الحياة العربية الاسلامية البسيطة . ويتجلى ذلك في امر الخليفة عمر بن الخطاب (رض) الى عتبة بن غزوان.

كذلك تتضح مراعاة العامل العسكري في تخطيط المدن في كتابات الخليفة عمر (رض) الى جميع القادة المسلمين ، اذ كان يشترط عليهم عندما يريدون ان يبنوا مدينة الايفصل ماء بينه وبينهم . وكذلك في كتابته الى عمرو بن العاص التي ذكر فيها له (اني لا احب ان تنزل بالمسلمين منزلا يحول بيني وبينهم في شتاء ولا صيف فلا تجعلوا بيني وبينكم ماء فمتى اردت ان اركب اليكم راحلتي حتى اقدم اليكم قدمت)[٢٠] . وعندما اسس المسلمون الكوفة في الجانب الغربي من الفرات على بضعة اميال الى الجهة الشمالية الشرقية من مدينة الحيرة . كان السبب في تاسيسها ان تكون قاعدة عسكرية للقسم الاوسط من العراق او دار هجرة وعاصمة للمسلمين بدل المدائن . اما موضعها فيمكن حسبانه بصورة عامة ثغراً من ثغور البادية وممراً لتبادل البضائع والسلع بين الفرس من جهة واصحاب الابل والعرب من جهة اخرى[٢١] .

وقد لخص القائد سعد بن ابي وقاص هذه الجوانب في رسالته الى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بعد ما فرغ من اختطاطها فكتب اليه : نزلت الكوفة منزلا بين الحيرة والفرات برياً وبحرياً وخيرت المسلمين بالمدائن فمن اعجبه المقام تركته فيها كالمسلمة . فبقى اقوام من الاقفاء واكثرهم بنو عبس .

وكما كانت العوامل العسكرية من ابرز الامور التي دفعت بالحجاج الى بناء مدينته الحصينة واسط . اذ عندما تولى ادارة العراق قامت عدة ثورات عليه انضم اليها معظم اهل الكوفة والبصرة فاضطر الحجاج لان يستنجد بالجند الشامي للقضاء على هذه الثورات . وكان الحجاج في اثناء ذلك ينتقل في اقامته بين الكوفة والبصرة حسب ما يتطلبه الموقف العسكري انذاك .

فرأى من حسن الادارة بناء مدينة حصينة تكون معسكراً لجنده الشامي لكي يعتمد عليهم في قمع الثورات التي تقوم عليه في المستقبل وذلك لعدم امكانه الاعتماد على اهل الكوفة والبصرة وبسبب تمردهم المستمر عليه فرأى ان يبني مدينة منيعة في منطقة حصينة تكون قريبة من البصرة والكوفة لكي يكون باستطاعته ان يخمد اي ثورة تقوم في احداهما بسهولة ومما يدل على ان الهدف من بنائه مدينة واسط كان عسكرياً هو مناعة المدينة وعدم استطاعة احد دخولها الا من الابواب لانه احاطها بخندق وسورين . كما انه جعل على كل باب من ابواب المدينة حرساً[٢٢] .

ولم يكن انشاء المنصور لمدينة بغداد يبعد عن هذا الغرض فهو عندما تفقد موضع بغداد القديم فوجده منطقة صالحة من الناحية العسكرية قال : هذا موضع معسكر صالح[٢٣] . وذلك لكونه موقعاً يتمتع بميزة تعبوية جيدة اذ كان ابو جعفر المنصور لما اراد بناء مدينة بغداد . بعث رواداً يرتادون موضعاً يتخذه سكناً لنفسه وجنده ويبني به مدينة فقيل له : ارى يا أمير المؤمنين ان تبني على شاطيء دجلة حيث تجلب اليها الميرة والامتعة من البر والبحر . وتأتيها المادة من دجلة والفرات وتحمل اليها طرائف الهند والصين وتأتيها ميرة ارمينية واذربيجان وديار بكر وربيعة . لا يحمل الجند الكثير الامثل هذا الموضع .

وعندما بنى المنصور بغداد لم تكن تلك المدينة الاحصناً جباراً فيه جميع مرافق المقاومة عند الحصار واسباب العيش والمصابرة . فكانت الغاية من بناء السور في تلك العصور الحماية من العدو والحفظ والصيانة من الغرق اوكلاهما معاً[٢٤] .

وهكذا نرى العرب المحررين اختطوا مدنهم على اطراف الصحراء كالبصرة والكوفة في العراق والفسطاط في مصر والقيروان في تونس لان هذه المدن اشبه بلواء من الوية الجيش او قاعدة من قواعد الجند خلال حملاتهم الحربية اثناء الفتوح فهي بهذا تشبه في مواقعها المنافذ او الثغور المؤدية الى صحرائهم فهي كجبل طارق وسنغافورة اليوم بالنسبة الى الدول البحرية[٢٥] .

٣ - العوامل السياسية والادارية :

بسبب كون العرب في ايام الراشدين جنوداً محاربين . تحت السلاح كان محظوراً عليهم سكنى المدن القديمة كالمدائن في العراق والاسكندرية في مصر . فأمر الخلفاء قادتهم بان ينزلوا العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى لكي لا يصبحوا اقلية بين السكان الاصليين مما يجعلهم يتعرضون الى اعدائهم .

لذلك انشأ العرب مدينتي البصرة والكوفة لان الخليفة عمر ابن الخطاب (رض) اراد المحافظة على نقاء اندماء العربية وصيانة اللغة العربية من المؤثرات الاعجمية[٢٦] وان يحتفظ العرب بطابعهم العسكري . ليكونوا حامية عسكرية مستعدة للقتال في كل وقت كما كان الخليفة عمر يدرك ان ايمان العرب وصفاتهم الخلقية والنفسية ، كانت من عوامل انتصارهم على الفرس والروم رغم قلة عدد الجند العرب بالنسبة لاعدائهم ولذلك اراد لهم ان يحافظوا على صفاتهم تلك . وهناك العديد من المدن الاسلامية التي كان لها الاثر المهم في الحياة السياسية ومنها الكوفة التي اتخذها الخليفة الرابع علي (رض) ، عاصمة للدولة الاسلامية عندما انتقل اليها عام ٣٦ هـ . وبعد قيام الدولة الاموية انتقلت العاصمة الى الشام وكان عمالهم يحكمون العراق واحدهم الحجاج الذي بنى مدينة واسط عاصمة له تتوسط المسافة بين الكوفة والبصرة . وفي ضوء ذلك ايضاً قام العباسيون بنقل العاصمة بعد توليهم السلطة من دمشق الى بغداد . ولاسباب سياسية ايضاً اضطر المنصور الى تاسيس الجانب الشرقي (الرصافة) اذ كان يرى ضرورة جعل مقر ولي العهد وجيشه الخراساني مفصولاً عن مقر الخلافة ليكون مستعداً اذا اقتضت

الحال لقمع كل نزاع ينشب بين هذا الجانب وجنده العرب في حاميات المدينة المدورة(٢٧) .

٤ - العوامل الدينية :

لقد شجعت الديانة الاسلامية الحياة الحضرية والاستقرار البشري والتآلف بين الناس . لذلك اكد المسلمون على اللقاءات في المساجد الجامعة ومنها صلاة الجمعة التي تتم في تلك المساجد لما فيها من منافع عديدة دينية واجتماعية يضاف الى ذلك ان تلك المساجد تعد مراكز سياسية وثقافية وادراية .

فالاسلام دين المدنية وقد بنيت كثير من اسسه لتنسجم مع حاجات المجتمع الحضري وقد كان العامل الديني وما زال يعد من العوامل المهمة التي ادت الى بناء المدن وتطويرها في الوطن العربي والاسلامي .

وبحكم ما توفره الوظيفة الدينية التي تقوم بها المدن من حاجات وخدمات لسكانها . ادى ذلك الى ازدياد حجومها وازدهارها ويمكن ان نورد امثلة عديدة من تلك المدن كالمدينة المنورة ومكة المكرمة وكربلاء والنجف واحياء مهمة من بغداد في العراق هي اشبه بالمدن الكاملة كالاعظمية والكاظمية اضافة الى العديد من المدن الاخرى .

المبحث الثالث
اثر العرب في اختيار المواقع

لقد برع العرب في فهم خطورة الموقع . واهتموا عند بنائهم مدنهم في الاحاطة بامور كثيرة عند اختيارهم لتلك المواقع . ويمكن ان ندلك على ذلك من دراسته لكيفية قيامهم باختيار موقع مدينة بغداد في ايام المنصور سنة ١٤٥ هـ - ٧٦٢ م(٢٨) . التي بناها على الضفة اليمنى من نهر دجلة في الزاوية المتكونة بين مجرى الصراة ومجرى دجلة شمالاً .

فعندما اراد المنصور ان يختار موقعاً لعاصمته بعث رواداً يطلبون له موضعاً فاستشاروا عدداً من الحكماء ومنهم صاحب بغداد الذي اخبر المنصور بميزات موقع بغداد . اذ قال له « وانت يا أمير المؤمنين » . عندما تنزل في بغداد فانك تصير بين اربعة طساسيج (نواحي او قرى او منطقة زراعية) طوسجان في الجانب الغربي وطسوجان في الجانب الشرقي . فاللذان في الغربي قطر بل وبادوريا . واللذان في الشرقي نهر بوق وكلواذى . فانت تكون بين نخل وقرب الماء فان اجدب طسوج وتاخرت عمارته كان الآخر عامراً . وانت يا امير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة من الغرب وفي الفرات تجيئك طرائف الشام ومصر وتلك البلدان . وتجيئك الميرة من الروم وامد والجزيرة ودياربكر وربيعة والموصل في دجلة . وانت بين القناطر لم يصل اليك عدوك وانت بين دجلة والفرات لا يجيئك احد من المشرق والمغرب الا احتاج الى العبور ، وانت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله وانت قريب من البر والبحر والجبل(٢٩) .

■ المبحث الرابع
التخطيط لاستعمالات الارض في المدن العربية

يعد تخطيط المدن العربية من اهم الظواهر الحضارية والفنية عند العرب التي بدأت مع خروج العرب من الجزيرة العربية وشروعهم بتحضير الامصار .

وقد اهتم العرب بالتخطيط لاستعمالات الارض داخل المدينة وذلك لانهم لم يهدفوا من انشاء المدن الجديدة ، الى الاهداف العسكرية وحسب وانما اريد لها ان تكون موطناً لعوائل المجاهدين ودار هجرة للعرب المسلمين ومراكز ادارية للاقاليم المحددة وكذلك نقاط اشعاع للعلم والمعرفة .

ومراكز ادارية للاقاليم المحررة وكذلك نقاط اشعاع للعلم والمعرفة(٣٠) . ومراكز للنشاط الاقتصادي الحضاري .

وقد اتسم التخطيط العربي بسمات مشتركة في جميع المدن التي شيدت في الفترة الاسلامية ومنها :

١ - الاهتمام ببناء المسجد الجامع :

وذلك لان المسجد يعد اهم ابنية المدن العربية الاسلامية الاولى . لذا اهتم القادة بتعيين موضعه والاشراف على تخطيطه وتولوا ذلك بانفسهم . ولم تكن وظيفة المسجد الجامع مقتصرة على كونه مكاناً لاداء الصلوات الخمس ، بل كانت مركزاً للادارة ولعقد الاجتماعات واقامة مجالس القضاء . اي انه كان مركزاً للحياة الدينية والسياسية والثقافية والتعليمية والاجتماعية . ونظراً لتلك الاهمية ، عد اساس التنظيم لعمران المدينة ، ومن حوله يخطط لسائر النشاطات وهو لذلك احتل المركز الرئيس في المدينة . وبعد ذلك يتم تخطيط سائر النشاطات والاحياء السكنية(٣١) .

ففي البصرة حدث هذا التقليد عند بنائها . وشيدت الكوفة على غرار البصرة اذ كان المسجد الجامع ودار الامارة اول ابنيتها . فقد اسس المسجد في وسطها بحيث تفرعت منه الطرق والشوارع كما اقيمت دار سعد بن أبي وقاص في نهاية احد هذه الطرق وكانت تبعد عن المسجد مسافة ٢٠٠ ذراع(٣٢) . ثم اتبع الشيء نفسه في تخطيط المدينة الفسطاط حيث بني الجامع اولًا ثم دار امارتها المعروفة بدار الرمل .

وفي بغداد شيد المنصور جامعاً في وسط الرحبة الاولى العظمى للمدينة سمي بجامع المنصور . وابتنى الى جانب الجامع قصر الذهب المشهور بذي القبة الخضراء التي قلد بها خضراء الحجاج في واسط وجعل الدواوين الحكومية حول الرحبة(٣٣) .

٢ - أسواق المدن وشوارعها :

اهتم العرب المسلمون عند تخطيط المدن بتحديد مواضع الاسواق فيها بحيث جعلوها قريبة من المناطق السكنية وحول المسجد الجامع ، وذلك لكون الاسواق هي الاماكن التي يتم فيها اللقاء بين تجار الجملة والمفرد وذوي الحرف والمستهلكين حيث تعقد بينهم المعاملات التجارية .

وكانت الاسواق تقسم الى عدة مناطق ثانوية يختص كل منها بعرض بضاعة او منتوج معين .

وقد عرفت المدن العربية الاسواق المنظمة في عصورها الاولى ، وكان للحسبة دورها في تنظيم الأسواق . وحين اتسعت الحياة في المدن العربية اصبح لاسواقها نظم واضحة ولكل منها محتسب يقابل وظيفة والي المدينة[٣٤] .

وكانت الاسواق منتظمة ويحدد في كل موضع منها ما يمارس فيه من حرفة او يعرض من بضاعة . وهناك سلع لا تعرض الا خارج المدن اما لطبيعتها او لظروف اصحابها . وكان المحتسب يراقب هذا الجانب فهو يمنع القصابين من الذبح على ابواب دكاكينهم وعليهم ان يذبحوا في المذبح ، وكذلك يمنع جلابي الحطب والتبن واحمال الحلفاء والشوك ونحوهم من دخول السوق ويوقفهم في العراص مع تجار الخضروات والفاكهة حيث كانت دكاكينهم في تلك العراص[٣٥] .

وقد كانت الاسواق العربية مناطق تسويق خاصة للمشاة بها لكل ضروب البضائع . وتعد ابتكاراً حضارياً عملياً ومشوقاً حتى ان مخططي المدن المعاصرين يحاولون ادخالها في المنطقة التجارية للمدينة العربية الحديثة[٣٦] .

ولذا كانت الاسواق مظللة بالسقائف لحماية السابلة من المطر والشمس ففي الكوفة حدد الموضع الذي تقوم فيه الاسواق . الا ان تلك الاسواق كانت في بادىء امرها ارضاً فضاء لابناء فيها ولا سقوف سوى ظلال من الحصير كان يضعها الباعة لتظلهم في الاماكن التي يختارونها للبيع والشراء[٣٧] .

ويذكر المؤرخون ان مدينة البصرة كانت منذ سنة ٢٥٧ هـ . ذات تجارة مزدهرة واسعة وغنى عظيم فقد كانت في سنة ٤٣٧ هـ مدينة ذات ثلاثة اسواق يقام فيها السوق في كل يوم ثلاث مرات في ثلاث جهات ففي الصباح يجري التبادل في سوق خزاعة وفي الظهر في سوق عثمان وفي المغرب في سوق القداحين[٣٨] .

اما في بغداد فقد امر المنصور ان تجعل الاسواق في طاقات المدينة ازاء كل باب سوق فلم تزل كذلك حتى امر ان تبنى في ناحية الكرخ على هيأة صفوف لكل سوق صفه[٣٩] .

وكان في الحي التجاري للمدينة العربية عدة منشآت تجارية منها : القياس وهي مبان كبيرة تخصص اما للوظيفة التجارية او الصناعية . وهي عبارة عن مبنى يقع داخل السوق يضم في داخله عدة حوانيت للتجارة يبلغ عددها حوالي ثلاثين حانوتاً في داخل كل منها مصطبة مقعد . ويلحق بكل قيسارية مرافق تضم حوضاً وحماماً وثلاثة مراحيض وبئر للماء ومخزن للسقاء[٤٠] .

كما كانت توجد الخانات التي تقوم بعدة وظائف منها التخزين والبيع والماوى للتجار الغرباء ، واماكن للصيرفة وكذلك لايواء حيوانات التجار حيث يخصص للمتاجر والاصطبلات الطابق الارضي ويخصص الطابق العلوي حجرات للنزلاء ولذا كانت تسميتها الصحيحة المنازل بدلا من الخانات لكون الاخيرة تسمية فارسية غير عربية .

اما شوارع المدن العربية ، فقد كان في كل مدينة شارعها الاعظم الذي تبلغ سعته اضعاف شوارعها الاخرى ثم تاتي بعد ذلك السكة وهي اوسع من الزقاق ثم الزقاق .

وقد امتازت المدينة العربية بضيق شوارعها والتي جاءت بهذا الشكل استجابة للظروف المناخية الحادة ولشدة اشعة الشمس وخاصة في فصل الصيف ولذا كان ضيق الشوارع سبباً في زيادة مساحة الظل في الطرق . كما ان لالتواء الطرق وضيقها فائدة عسكرية لانها تعين العرب على ابادة الاعداء اذا سولت لهم انفسهم مهاجمة هذه المدن .

مضاف الى ما سبق ان الشوارع في المدينة العربية لم تكن مصدر الضوء والهواء بالنسبة للمنازل على نحو ما هو متبع في العصر الحاضر . وذلك لاعتماد المنازل في تهويتها واضاءتها على الفسحة الموجودة في داخل المنازل حيث يوجد (الحوش) غير المسقف .

ولما كانت الشوارع تستعمل مسالك للناس وممرات للحيوانات اخذ المسلمون ذلك بنظر الاعتبار اضافة الى الجوانب المذكورة اعلاه عند التخطيط لانشاء مدينتي البصرة والكوفة وامر الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ان يكون عرض الشارع الاعظم في كل منها ستين ذراعاً (٣٠ متراً) وهو وسط المدينة الذي يسمى في البصرة بالمربد وعرض ماسواه من الشوارع عشرين ذراعاً وعرض كل زقاق سبعة اذرع وفي وسط كل خطة رحبة فسيحة لمرابط خيولهم وقبور موتاهم كما امرهم ان يتلاصقوا في المنازل[٤١] .

اما في سامراء فكان عرض الشارع الرئيسي ٢٠٠ ذراع ، والشوارع العرضانية بعرض ١٠٠ ذراع . اما الفرعية فكان عرضها يتراوح بين ٥٠ - ٧٠ ذراعاً[٤٢] .

٣ - الاهتمام بتخطيط المناطق السكنية :

اذا كانت الاحياء السكنية تقسم على اساس قبلي . كما حدث في مدينتي البصرة والكوفة . فكان لكل قبيلة حي ومسجد ومقبرة حتى اصبحت هذه الاحياء وكأنها مدينة او مدن صغيرة . اذ كانت الكوفة مثلاً مقسمة الى سبع مناطق عسكرية (الاسباع) نسبة الى النقاط السبع لحشد مقاتلة القبائل وعلى وفق القيادات والتعبئة عن النفير والخروج للجهاد في المواسم ، ثم قيام رؤوس الاسباع بتوزيع الغنائم والاحطيات بعد العودة[٤٣] .

وفي الفسطاط عندما تنافس الناس في المواضع ولي عمرو

بن العاص على اخطط معاويه بن حديج وشريك بن شمي وعمر بن مزم وجبريل بن باشرة المعافري فكانوا هم الذين نزلوا القبائل وفصلوا بينهم ، وهكذا في سائر المدن . ان السبب في مراعاة المبدأ القبلي في تخطيط المناطق السكنية في داخل المدن التي تبناها العرب يرجع الى الحكمة التي مؤداها ، مراعاة تحقيق الانسجام والتكاثف بين القبائل ومنعاً للتنافر او التنافس ووقوع المصادمات في مثل تلك الظروف الحربية الحرجة .

كما كان للعرب مقاصد معينة عند تشييد المنازل ، وبخاصة اختيار مواضعها وطرز بنائها من ذلك قولهم : جميع خصال الدار المستحسنة ان تكون على طريق نافذة وماؤها يخرج منها وليس عليها مشترف وحدودها لها وتكون بين الماء والسوق ويصلح فناؤها احط الرجال وبل الطين ووقوف الدواب ، وان كان لها بابان فذاك امثل ، وينبغي ان يكون ايضاً في طرف البلد لان في الاطراف منازل القادمين على تحقيق كل الصفات المطلوبة [٤٤].

٤ - الاهتمام بتحصين المدن :

بما ان العرب قاموا بتحديد المناطق التي دخلوها في العراق ومصر وشمال افريقيا وغيرها . . ونشروا فيها الدين الاسلامي . عملوا على تحصين مدنهم وجعلها قادرة على رد اي هجوم يوجه نحوها من الاعداء المجاورين لها والمتربصين بها .

فقاموا بتخطيط المدينة على وفق خطة عسكرية محكمة تهتم بتحصينها ومنحها قوة تعبوية للدفاع عن نفسها . ومن تلك الاجراءات احاطة مدنهم بالاسوار وبخنادق احياناً ، كما كانت الاسوار تحصن بابراج للمراقبة عليها شرفات مدورة لغرض الاستطلاع والدفاع عن المدينة ، واعطاء الانذار الى الجيش المرابط في الداخل للتهيؤ للدفاع عنها .

ويمكن ان نستوضح هذا الامر بشكل واضح من دراسة العديد من المدن العربية . فقد كانت واسط معسكراً منيعاً (لا يدخل الا من طريق الابواب) ، فقد عمل الحجاج على احاطة مدينته بخندق وسورين بينهما فصيل يسكنه الجنود للدفاع عن المدينة . وجعل عند كل باب من ابواب المدينة حرساً فاذا كان الغروب رجّع من كان خارج المدينة وخرج من كان بالمدينة من اهل السواد . فكان لا يسمح بدخول المدينة الابموافقة[٤٥] .

يتضح لنا من ذلك ان تلك الاجراءات الامنية المشددة التي اتخذها الحجاج في مدينته تشبه الاجراءات التي تتخذها الدول في الوقت الحاضر في المعسكرات لصيانتها من التخريب وتسريب الاسرار العسكرية الى الاعداء .

اما المدن الاسلامية الأولى البصرة والكوفة والفسطاط ، فقد انشئت لكي تكون قواعد عسكرية هجومية تقيم فيها اسر المقاتلين واهلوهم ويستقر بها الجند بعد اوبتهم من الفتوح . فلم ير المسلمون والحالة هذه حاجة الى تسويرها . غير انها سورت فيما بعد فعند تولي المنصور الخلافة وبنائه بغداد ارتأى تحصين البصرة والكوفة . فبنى للبصرة سوراً لها يطيف بها وخندقاً عليها من دور السور ذكره المؤرخون على انه سور عظيم يحيط بالمدينة ما عدا الجزء المطل على شط العرب[٤٦] .

كما ان الفسطاط لم تسور هي الاخرى ، الا بعد ان بنيت القاهرة ايام الفاطميين سنة ٣٥٨ هـ . حيث اقيم حول خطط المدينة سور جديد .

وكان سور مدينة سامراء عبارة عن جدار ثنائي ، يتكون من بينها فصيل ضيق ، وكان هذا السور لصد الحيوانات الضارية عن مداهمة المدينة .

اما مدينة بغداد فكانت تتميز باستحكامات متينة عدت مثلاً للتخطيط العسكري المحكم اذ كانت تتكون من خندق عميق يدور حول المدينة من الخارج وتحده من الداخل مسناة ضخمة بنيت « بالاجر والصاروج متقنة محكمة عالية » وكان يلي المسناة فصيل عرضه مئة ذراع (٥٠ متراً) . وكان هذا الفصيل الخارجي الذي يحاذي سور المسناة ويدور معه بين المداخل الرئيسية الاربعة خالياً من الدور والابنية لفسح مجال للرقابة والدفاع ومنع كل نار تلقى بالسهام اوغيرها من التعلق بالمباني .

وكان يلي هذا الفصيل السور الرئيس للمدينة والذي يسمى (بالسور الاعظم) . وكان قد انشيء باللبن العظام وله ابراج عظام وعليه الشرفات المدورة ، وكان عدد الابراج بين باب الكوفة وباب البصرة ٢٩ برجاً في حين كان عددها بين كل باب من الابواب الاربعة الاخرى ٢٨ برجاً وكان يلي هذا السور فصيل ثان آخر هو الفصيل الداخلي وكان عرضه ٣٠٠ ذراع (١٥٠ متر) وكان ينتهي بسور ثالث هو اشبه بحاجز داخلي منه بسور دفاعي متين وكان هذا الحاجز يفصل الرحبة العظمى التي كان يتوسطها القصر والجامع عند منطقة الاسوار ، وكان في الفصيل الثاني الشوارع والسكك والدروب والدور[٤٧] .

اما مداخل المدينة فهي ابوابها الاربعة ، التي كان كل واحد منها نظير الاخر في تصميمه . فاذا دخل الداخل مدينة المنصور من احد ابوابها الاربعة يعبر اولا الخندق العميق خارج المسناة ، وكان قد اجري فيه الماء من القناة تاخذ المياه من نهر كرخايا . ثم يدخل من باب دهليز ٨٠ ذراعاً وهو معقود بالاجر والجص . وبعد ان يجتاز هذا الدهليز يخرج من الباب الثاني ويدخل رحبة مربعة مفروشة بالصخر وفي كل من جانبي هذه الرحبة باب يؤدي الى الفصيل الخارجي وهو الفصيل الواقع بين سور المسناة والسور الاعظم . وبعد ان يخرج من هذه الرحبة يخترق السور الاعظم في دهليز اخر عليه بابان من الحديد عظيمان : باب في اوله وثان في اخره لا يغلق كل باب ولا يفتحه الاجماعة رجال فاذا اجتاز المرء دهليز السور الاعظم سار في رحبة الى طاقات معقودة بالآجر والجص وعددها ٥٣ طاقاً كل منها نظير لصاحبه يتوسطها طريق عرضه ٨ امتار فيها كوى رومية يدخل منها الشمس والضوء ولا يدخل منها المطر . وفيها منازل الغلمان وكانت الطاقات على مثال واحد ، فاذا خرج من الطاقات سار الى الرحبة الاخرى ثم الى دهليز عظيم وازج معقود بالاجر والجص عليه باب جديد فيخرج من

الباب الى الرحبة العظمى . وكان في الطاقات غرف (بيوت عالية) كانت للرابطة كما كانت هناك اسواق المدينة .

وكان على كل باب من ابواب المدينة التي على السور الاعظم قبة معقودة عظيمة مذهبة وحولها مجالس مرتفعات يجلس فيها فيشرف على كل ما يعمل فيه ويصعد الى هذه القبات على عقود مبنية بعضها باللبن العظام وقد عملت ازاجاً بعضها اعلى من بعض فداخل الازاج با لرابطة ، والحرس على ظهورها[٤٨] .

الخلاصة :

هذه بعض اللمسات العامة لبراعة المفكرين والمخططين لمدننا العربية في مجال تخطيط المدن . والتي خلدت حضارتها وجعلتها نبراساً يقتدى به وفي الوقت نفسه جعلتها عرضة للضغوط الاجنبية والمطامع الاستعمارية . التي اثرت في شق صفوفها مستهدفة النيل من تلك الحضارة . ولكن هيهات ان يتحقق لهم ذلك لان اصالة الحضارة هي بمثابة الجذور التي تتعمق وتغور في الارض لتثبت تاريخها وتنمي عطاءها على مر الزمن .

■ الهوامش والمصادر ■

(١) - لويس ماسنيون . خطط الكوفة وشرح خريطتها ، ترجمة تقي محمد المصعبي ، مطبعة الغري ، النجف ، ١٩٧٩ ، ص ٢٨ .

(٢) - المسعودي ، مروج الذهب ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ١٢٦ .

(٣) - شريف يوسف ، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور ، دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨٢ ، ص ٢٠٨

(٤) - فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى ، الحضر مدينة الشمس ، وزارة الاعلام ، بغداد ١٩٧٤ ، ص ١٧ .

(٥) - د . طه باقر وفؤاد سفر ، المرشد الى موطن الاثار والحضارة ، السلسلة الثانية بغداد ، ١٩٦٢ ، ص ٣٤ .

(٦) - شريف يوسف ، تاريخ فن العمارة ، ص ٢١١ .

(٧) - د . محمد متولي ، مراكز الاستقرار في العالم الاسلامي ، انحصر اليمني ، بحوث المؤتمر الاسلامي الاول ، الرياض ، ١٩٧٩ ، ص ٩ .

(٨) - محمد توفيق ، معين ، المعهد العلمي الفرنسي ، القاهرة .

(٩) - البلاذري . فتوح البلدان ، المطبعة المصرية ، الازهر ، ١٩٣٢ ، ص ٣٤١ .

(١٠) - ابن خلدون ، المقدمة ، مكتبة المدرسة ودار الكتب ، بيروت ١٩٦١ ، ص ٦١٩ .

(١١) - المصدر نفسه ص ٦٢١

(١٢) - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، بيروت ، ١٩٥٧ ، ص ٤٩١ .

(١٣) - د . عبد العال عبد المنعم الشامي ، جغرافية المدن عند العرب ، مجلة عالم الفكر المجلد التاسع ، ١٩٧٨ ، ص ١٣٠

(١٤) - دائرة المعارف الاسلامية ، تهران ، ص ٤٧٨ .

(١٥) - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ص ٣٤٨ .

(١٦) - د . صالح احمد العلي ، منطقة واسط ، مجلة سومر ، مجلد ٢٦ ، ١٩٧٠ ، ص ٢٤٢ .

(١٧) - د . احمد سوسة ، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية ، مطبعة المعرفة ، بغداد ، ١٩٤٨ ، ص ٤٣٨ ، ٤٤٢ .

(١٨) - ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٧٨ .

(١٩) - د . عبد الرزاق عباس ، نشأة المدن العراقية ، المطبعة الفنية الحديثة ، ١٩٧٣ .

(٢٠) - نكسن ابراهيم حسن ، تاريخ عمرو بن العاص ، مطبعة المعارف ، القاهرة ، ١٩٢٦ ، ص ١٢١ .

(٢١) - لويس مانسيون ، ص ٦

(٢٢) - د . عبد القادر المعاضيدي ، واسط في العصر الاموي ٨١ هـ ن ١٣٢ هـ مطبعة المربد ، ١٩٧٦ ، ص ١١ .

(٢٣) - اسلم بن سهل الرزاز بخش ، تاريخ واسط ، تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص ٤٥ .

(٢٤) - الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٣٩ ، ص ٣٢٤ .

(٢٥) - د . مصطفى جواد (وجماعته) بغداد ، مؤسسة رمزي للطباعة ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص ٥١ ، ٤٩ .

(٢٦) - ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٢٦ .

(٢٧) - رمزية الاطرقجي ، بناء بغداد في عهد ابي جعفر المنصور ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٩٦٧ ، ص ١٧ .

(٢٨) - د . مصطفى جواد ، مصدر السابق ص ٦٤ .

(٢٩) - د . صبري الهيتي ، تخطيط مدينة بغداد عبر العصور التاريخية ، دراسة في تخطيط الحضري ، المورد ، العدد الرابع ، ١٩٧٩ ، ص ٩ .

(٣٠) - د . عيسى سلمان (واخرون) ، العمارات العربية الاسلامية في العراق دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٤٤ .

(٣١) - السيد محمود عبد العزيز سالم ، التخطيط ومظاهر العمران في العصور الوسطى ، مجلة العدد ٩ ، ١٩٥٧ ، ص ٥٤ .

(٣٢) - ياقوت الحموي : مصدر سابق ص ٤٩١

(٣٣) - د . مصطفى جواد و د . احمد سوسة ، مصدر سابق ، ص ٤٨ .

(٣٤) - يحيى بن عمر ، احكام السوق ، تحقيق حسن حسين عبد الوهاب ، تونس ، ١٩٧٥ .

(٣٥) - د . عبد العال الشامي ، جغرافية المدن عند العرب ، ص ١٥٤ .

(٣٦) - سابا جورج شبر ، العلم وتنظيم المدن العربية ، الكويت ، ١٩٦١ ، ص ٣٢ .

(٣٧) - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٤١١ .

(٣٨) - ناصر خسرو علوي ، سفر نامة ، ترجمة علي الخشاب ، ١٩٤٥ .

(٣٩) - د . صالح العلي ، منطقة واسط ، ص ٣٧ - ٣٨ .

(٤٠) - الشامي ، مصدر سابق ، ص ١٥٤ .

(٤١) - جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط ٢ ، ص ٤٢٥ .

(٤٢) - د . ناجي معروف ، تخطيط سامراء ، ص ١٠٨ .

(٤٣) - ماسينون ، مصدر سابق ص ٩ .

(٤٤) - الغزولي ، مطالع البدور في منازل السرور ، ص ٨ .

(٤٥) - (بخش) اسلم بن سهل الرزازه ، تاريخ واسط ، تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٧ ، ص ٤٣ .

(٤٦) - د . صالح احمد العلي ، خطة البصرة ، مجلة سومر ، ١٩٥٢ ، ص ٢ - ٨

(٤٧) - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، القاهرة ، ١٩٣١ ، ص ٧١ - ٧٧ .

(٤٨) - د . مصطفى جواد ، د . احمد سوسة ، المصدر السابق ، ص ٤٩ - ٥٠ .

علم الحيوان في العراق

في القرن السابع الهجري

عزيز العلي العزّي

مراجعة

أ . د . ازهر الحبوبي

مقدمة

من الحقائق المسلم بها اليوم ان تدوين العلوم في العراق والتأليف فيها سبقا القرن السابع الهجري بزمن طويل ، واستمرا بعده في القرون التالية . وهذا القول يصدق على علم الحيوان مثلما يصدق على العلوم الاخرى . ولكن ما هو علم الحيوان ؟ انه « علم باحث عن خواص انواع الحيوانات وعجائبها ومنافعها ومضارها . وموضوعه جنس الحيوان البري والبحري والماشي والزاحف والطائر وغير ذلك . والغرض منه التداوي والانتفاع بالحيوانات والاحتماء عن مضارها ، والوقوف على عجائب احوالها وغرائب افعالها »[1] .

دونت المصنفات الاولى في علم الحيوان منذ اواخر القرن الثاني واوائل القرن الثالث الهجريين ، وكانت مصنفات لغوية تطرقت الى اسماء الحيوانات واوصافها ، خاصة حيوانات الجزيرة العربية . ومن هذه المصنفات على سبيل المثال :

« كتاب الحيوان » لابي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ = ٨٢٤ م) .

« كتاب الوحوش » للاصمعي (٢٠٩ هـ) ؛

« كتاب الوحوش » لابن السكيت (٢٤٤ هـ = ٨٥٨ م) ؛

« كتاب الحيوان » للجاحظ (٢٥٥ هـ = ٨٦٩ م) ، وهو كتاب كبير يغلب عليه الادب والفلسفة والجدل والكلام . وهناك مصنفات اخرى كثيرة لا مجال للاشارة اليها في هذه المقدمة .

وقد تزامنت مع تلك المصنفات او أعقبتها بقليل مصنفات مترجمة عن اليونانية والسريانية . منها على سبيل المثال ايضاً :

« الحيوان » لارسطو ، ترجمة يوحنا بن البطريق (٢٠٠ هـ = ٨١٥م)[٢] ؛
ونقل هذا الكتاب من السريانية ابن زرعة (٤٤٨ هـ = ١٠٥٦ م)[٣] ؛
« جوامع كتاب ارسطوطاليس في معرفة طبائع الحيوان » ترجمة اسحاق بن حنين (٢٩٨ هـ = ٩١٠ م)[٤] ؛
وترجم الحسن بن الهيثم (٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م) كتاب الحيوان لارسطوطاليس ايضاً . ويذكر سزگن انه تلخيص لذلك الكتاب[٥] .
وفسره ابو الفرج عبدالله بن الطيب الجاثليق العراقي (٤٣٥ هـ = ١٠٤٣ م)[٦] .
بعد ذلك اخذت المؤلفات والمختصرات في علم الحيوان بالظهور . وهذه كانت مصنفات في علم الحيوان الصرف او في المفردات حيث تطرقت الى الحيوان باعتباره من ضمن تلك المفردات ، او كانت مصنفات موسوعية كان الحيوان احد مواضيعها . من تلك المصنفات :
« كتاب في الحيوان الناطق » وكتاب « الفرق بين الحيوان الناطق وغير الناطق » ، كتبهما قسطا بن لوقا (٣٠٠ هـ = ٩١٢ م)[٧] .
« مروج الذهب ومعادن الجوهر » لعلي بن الحسين المسعودي (٣٤٦ هـ = ٩٥٧ م) .
« كتاب الحيوان » ، كتبه احمد بن محمد بن ابي الاشعث (٣٦٠ هـ = ٩٧١ م)[٨] ، وقد اختصره فيما بعد عبداللطيف البغدادي (٦٢٩ هـ = ١٢٣١ م)[٩] ؛
« رسائل اخوان الصفا » (نحو ٣٦٣ هـ = ٩٧٤ م)[١٠] .
« طبائع الحيوان وخواصها ومنافع اعضائها » كتبه عبيد الله بن جبريل بن بختيشوع (٤٥٣ هـ = ١٠٦١ م)[١١] .

استمر التصنيف في علوم الحياة (النبات والحيوان) خلال القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) والعلوم الاخرى داخل العراق وخارجه . والذي يعنينا في هذا البحث ما صنفه العراقيون في علم الحيوان خلال ذلك القرن .

هناك ثلاثة مصنفين عراقيين من القرن السابع ، لابد ان يقف عندهم من يبغي الكتابة في تاريخ العلوم ويستعرض ما كتبوه في علم الحيوان . واولئك الثلاثة هم :

ياقوت الحموي (٦٢٦ هـ = ١٢٢٩ م) .
عبداللطيف البغدادي (٦٢٩ هـ = ١٢٣٢ م) .
زكريا القزويني (٦٨٢ هـ = ١٢٨٣ م) .

فلنستعرض الان حياة كل منهم بايجاز ، وما صنفه في علم الحيوان .

ياقوت الحموي

هو ابو عبدالله ، شهاب الدين ، ياقوت بن عبدالله الحموي . ولد نحو عام ٥٧٥ هـ (١١٧٩ م) لأبوين يونانيين في بلدة روم بآسيا الصغرى[١٢] . اسر من بلاده صغيراً ، وابتاعه تاجر من بغداد اسمه عسكر بن ابي نصر ابراهيم الحموي ، ولعله لقب بالحموي نسبة اليه . ولما كبر ياقوت جعله مولاه في جملة كتاب تجارته ، وفي تلك الاثناء شدا شيئاً من النحو واللغة . ثم شغله مولاه بالاسفار في تجارته ، وبعد ذلك اعتقه سنة ٥٩٦ هـ . وبعد عتقه ظل كثير السفر والترحال ، فسافر الى الشام والموصل واربل وخراسان ومرو ونسا وخوارزم . ومن خوارزم نجا بجلده هارباً من جحافل التتر الذين خربوها عام ٦١٦ هـ ، فوصل الى الموصل ، ومنها شد الرحال الى سنجار ثم حلب حيث توفاه الله غريباً منقطعاً في الخان عام ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م)[١٣] .

لم يكن ياقوت عالماً من علماء الحيوان ولا ادعى هو ذلك لنفسه ، بل جغرافياً كاتباً اديباً من الطراز الاول . ولعل مؤلفاته « ارشاد الاديب الى معرفة الاديب » المعروف بمعجم الادباء ، و « معجم الشعراء » ، و « معجم البلدان » ، و« المشترك وضعاً والمختلف صقعاً » و « المبدأ والمآل في التاريخ » ، و « المقتضب في النسب » ، خير شهود على ذلك .

والذي يعنينا في هذا البحث كتابه الجغرافي « معجم البلدان » الذي يقع في خمسة مجلدات كبار مرتباً على حروف المعجم . نشر هذا المعجم المستشرق الالماني فستنفلد Ferdinand Wüstenfeld في لايبزك بستة مجلدات خلال الاعوام ١٨٦٦ - ١٨٧٣ م . ونشر باربييه دي مينار Barbier de Meynard

معجماً في جغرافية وتاريخ وآداب فارس والاقطار المجاورة لها ، في باريس عام ١٨٧١ م ، وقد اخذ مادة كتابه هذا من معجم البلدان(١٤) . اما في البلاد العربية فان آخر نشر لمعجم البلدان هو الذي قامت به دار صادر في بيروت سنة ١٩٧٧ .

ويرى سارتون ان معجم البلدان واحد من اهم كتب الادب العربي والثقافة العربية . فما يحويه هذا المعجم الفريد لا يقتصر على الجغرافية فحسب ، بل يضم معلومات وافرة في الانثروبولوجيا الوصفية والتاريخ الطبيعي(١٥) وهو على حق فيما يراه ، فان هذا المعجم يضم اضافة الى ما ذكره تراجم رجال الادب والعلماء والفقهاء وغيرهم في البلدان المذكورة بين دفتيه .

لم يكن ياقوت من علماء الحيوان - كما سلف القول - لكن كلامه في معجم البلدان على حيوان ونبات عدد كبير من البلدان والانهار والبحار ، موجزاً تارة ومفصلًا تارة اخرى ، يؤهل معجمه هذا لان يكون مرجعاً مهماً من مراجع القرن السابع الهجري في الجغرافية الحيوانية والنباتية وفي التاريخ الطبيعي : اي وصف الحيوان وطباعه وتكاثره وبيئته ونحو ذلك من امور ، دون التطرق الى تشريحه ووظائف جسمه وتطوره الجنيني ووراثته . وان تقويم هذه الناحية في هذا المعجم لا يكون تقويماً علمياً سليماً الا بدراسة نصوص منه متعلقة بالحيوان لذلك فانني سأتناول في الفقرات الآتية نصوصاً منه اخترتها على سبيل المثال لتكون خير شاهد على تقويم سارتون وإياي هذا المعجم الفريد . وسوف اشرح بعضها واعلق على بعضها الاخر في حدود ما يسمح به هذا البحث .

قال خالد بن صفوان مادحاً البصرة « يغدو قانصنا ، فيجيء هذا بالشبوط والشيم ويجيء هذا بالظبي والظليم »(١٦) .

قلت : الشبوط Barbus grypus سمك مألوف في انهار العراق ، وفي موسم الفيضان يدخل الاهوار ، وبعد انحسار الفيضان يعود الى النهر . وهو سمك ذو جسم شبه اسطواني يتراوح طوله بين ٥٠ - ٦٠ سم وفي بعض الحالات يصل الى متر واحد ، ومغطى بحراشف كبيرة ، ويكون نشط السباحة . ينضج جنسياً في السنة الرابعة من عمره ، ويضع بيضه في الشواطيء الرملية خلال شهري نيسان ومايس . وهو سمك نهري محض من الفصيلة الشبوطية(١٧) .

اما الشيم فانواع من السمك البحري من فصيلة الشيم او الحمام ، معظمها صغير الجسم لا يتجاوز طوله ٤٠ سم ، وان كان بعض انواعه يصل طوله الى متر واحد . منه في العراق والخليج العربي : الزبيدي Gnathanodon speciosus ويعرف ايضاً بحمام ربيبة ، والشيم Selar crumenophthalmus الذي يصل طوله الى ٣٥ سم ، وانواع اخرى(١٨) .

واما الظبي فانواع من اللبائن من فصيلة البقر والضان ، اصغر وارشق اجساماً من البقر . منها الريم او الغزال الابيض Gazella marica الذي يستوطن جزيرة العرب ، والغزال العربي او الاعفر G. arabica وهو قصير العنق تعلو بياضه حمرة ، وهو اضعف الظباء عدواً . ومنها الادم G. dorcas وهو ظبي طويل العنق والقوائم ، ابيض البطن اسمر الظهر ، ويعرف في العراق بالعفري . وانواع اخرى(١٩) .

واما الظليم فهو ذكر النعام . والنعام Struthio camelus طائر كبير من فصيلة النعام ، وهو النوع الوحيد في هذه الفصيلة . يبلغ ارتفاع الذكور حتى سمت الرأس نحو مترين ونصف المتر ، وتكون الاناث اصغر قليلًا من الذكور ، وجناحا النعام قصيران لا يمكنان هذا الطائر من الطيران ، لذلك فانه استعاض بالجري السريع المتعرج عن الطيران . والنعام من طيور العراق والجزيرة العربية حتى عهد قريب ، ومن طيور افريقيا(٢٠) .

وقال ياقوت عند كلامه على تنيس « .. جزيرة في بحر مصر .. ولتنيس موسم يكون فيه من انواع الطيور .. مئة ونيف وثلاثون نوعاً وهي : السلوى .. الزرزور .. الخضير .. العقاب ، الحداء ، الرخمة .. ويصل الى تنيس طير كثير لا يعرف اسمه ، صغار وكبار . ويعرف بها من السمك تسعة وسبعون صنفاً وهي : البوري .. الشموس .. الانكليس .. حوت الحجر .. اللباء .. البسلور .. »(٢١) .

ان ايراد ياقوت لهذا العدد الكبير من انواع الطير والسمك لدليل على اهتمامه بالجغرافية الحيوانية وهجرة الحيوان . وما ذكره يصلح لان يكون اساساً متيناً لمن اراد ان يدرس انواع الطيور المهاجرة اليوم الى مصر ، ويحصي اعدادها ويقارنه بما ذكره ياقوت ، ليعلم ان كانت كلها تصل اليوم الى تنيس ام ان بعضها انقرض خلال القرون السبعة التي مضت على ما قاله ياقوت . اما التعريف بما ذكره ياقوت من طيور وسمك فغير ممكن في حدود هذا البحث ، لانه يضيق عن التعريف بها او حتى ببعضها .

وقال في معرض كلامه على طبرستان « .. وقال علي بن الربّان الطبري(٢٢) .. كان في طبرستان طائر يسمونه ككم ، يظهر في ايام الربيع .. فاذا ظهر تبعه جنس من العصافير موشاة الريش ، فيخدمه كل يوم واحد منها نهاره اجمع ، يجيئه بالغذاء ويزقه به ؛ فاذا كان في آخر النهار وثب على ذلك العصفور فاكله . حتى اذا اصبح وصاح جاءه آخر من تلك العصافير فكان معه على ما ذكرنا ، فاذا امسى اكله . فلايزال على هذا مدة ايام الربيع ، فاذا زال الربيع فقد هو وسائر اشكاله وكذلك ايضاً ذلك الجنس من العصافير ، فلا يرى شيء من الجميع الى قابل في ذلك الوقت ، وهو طائر في قدر الفاختة وذنبه مثل ذنب الببغاء وفي منسره تعقيف . هكذا وجدته وحققته »(٢٣) .

الككم او الوقواق انواع واجناس من الطيور القواطع من الفصيلة الوقواقية ، طويلة الاجنحة والاذناب ، ولاقدامها اربع اصابع : اثنتان تتجهان الى الامام واثنتان الى الخلف ، ومناقيرها صغيرة مستدقة مقوسة الى الاسفل . تتطفل بعض انواع الوقواق على اعشاش غيرها من انواع الطير فتضع الانثى بيضها في عش

طائر من نوع آخر وترمي ببيضه خارج العش او تحمله بعيداً عن العش حيث تلتهمه . اما انثى النوع الآخر فتحضن بيض الوقواق من غير ان تلتفت لاختلافه عن بيضها ، حتى يفقس . فاذا فقس زقّه ذلك النوع – وهو عادة من العصافير – حتى يبلغ اشده ويطير مغادراً العش .

وفي العراق نوعان من الواقواق : الاول هو الوقواق الاوربي Cuculus Canorus ، وهو رمادي مزرق يشبه الباشق لذلك فان الطيور الاخرى تخشاه . وهو من القواطع الخريفية والربيعية في شمالي العراق . والثاني هو الوقواق الارقط او طائر الكبر Clamator glandarius ، وهو بني اللون مرقط ، ذو قنزعة ظاهرة مستدقة من الخلف . وهو اكبر قليلاً من الفاختة ، يكثر في البساتين والغابات حيث يتطفل على اعشاش طيور فصيلة الغربان . والوقواق الارقط من القواطع الربيعية والخريفية ايضاً ، ويفرخ في شمالي العراق وقد يفرخ في وسطه(٢٤) .

ان ما ذكره ياقوت بشأن الوقواق صحيح في مجمله سوى ما ذكره من انه يأكل العصفور الذي يخدمه ، فهو لا يفعل ذلك لانه من آكلات الحشرات لا من مفترسات الطيور الاخرى .

وعند كلامه على عجائب نهر النيل قال ياقوت « ... ومن عجائب النيل السمكة الرعادة ، وهي سمكة لطيفة مسيَّرة (اي مخططة) من مسها بيده او بعود يتصل بيده اليها او بشبكة هي فيها اعترته رعدة وانتفاض مادامت في يده او في شبكته .. ومن عجائبه التمساح ، ولايوجد في بلد من البلدان الا في النيل ، ويقال انه ايضاً بنهر السند الا انه ليس في عظم المصري .. وذنب التمساح حاد طويل وهو يضرب به فربما قتل من تناله ضربته ، وربما جرّ بذنبه الثور من الشريعة حتى يلجج به في البحر (يقصد النهر) فيأكله . ويبيض مثل بيض الاوز ، فاذا فقس عن فراخه كان الواحد كالجرذون في جسمه وخلقته ، ثم يعظم حتى يصير عشرة اذرع واكثر .. وربما دخل لحم ما يأكله بين اسنانه فيتأذى به ، فيخرج من الماء الى البر ويفتح فاه فيجيئه طائر مثل الطيطوى فيسقط على حنكه فيلتقط بمنقاره ذلك اللحم باسره ، فيكون ذلك اللحم طعاماً لذلك الطائر وراحة باكله اياه للتمساح . ولايزال هذا الطائر حارساً له . مادام ينقي اسنانه ، فاذا رأى انساناً او صياداً يريده رفرف عليه وزعق ليؤذنه بذلك ويحذره حتى يلقي نفسه في الماء ، الى ان يستوفي جميع ما في اسنانه ، فاذا احس التمساح بانه لم يبق في اسنانه شيء يؤذيه اطبق فمه على ذلك الطائر لياكله . فلذلك خلق الله في رأس ذلك الطائر عظماً احدّ من الابرة ، فيقيمه في وسط رأسه فيضرب حنك التمساح .. »(٢٥) .

الرعادة او الفَتْرة Malapterus electricus سمكة ملساء طولها اربعة اقدام من الفصيلة السلّورية ، اي فصيلة الجزي ، تعيش في نهر النيل والانهار والبحيرات الافريقية الاخرى . تتألف بطارياتها المولدة للكهرباء من غدد تقع تحت جلدها مباشرة .. وهي تطلق هذا التيار اذا ما مسّها حيوان او انسان دفاعاً عن نفسها او شلّاً لفريستها او قتلاً لها ان كانت الفريسة صغيرة الجسم(٢٦) .

اما التمساح فهو من الزواحف ، يتميز بجسمه الطويل ذي الجلد الصلب المتقرن ، وراسه الضخم الطويل ذي الفكين القويين المسننين ، وذيله القوي الطويل ، واطرافه القصيرة . والتماسيح اربعة وعشرون نوعاً ، اكبرها تمساح مصبات الانهار Crocodylus Porosus الذي يجاوز طوله ستة امتار ، وينتشر من البنغال الى جنوب الصين وشمال استراليا . اما تمساح النيل الذي ذكره ياقوت فهو C. niloticus وهو قصير الخطم ، يفترس الانسان والحيوانات الاخرى ، ويمتد وجوده الى الانهار الافريقية الاخرى . واما تمساح نهر السند فهو التمساح الهندي Gavialis gangeticus الذي يكون طويل الخطم ، ويكثر في انهار الهند وبرما(٢٧) .

واما الطائر الذي ذكره ياقوت فهو في الحقيقة نوعان لا نوع واحد . احدهما طائر التمساح Pluvianus aegyptius الذي يعرف بالقطقاط والزقزاق من الفصيلة الزقزاقية من الخواضّ وهو يشاهد دائماً فوق تمساح النيل حيث يلتقط من بين اسنانه ومن فوق جسمه العلق والدود وبقايا الطعام . وعند اقتراب خطر منهما فانه يطلق صيحة تحذير للتمساح ويطير . وهو اليوم نادر في مصر لكنه يكثر في السودان ومنابع النيل وثانيهما هو القطقاط ذو الشوكتين او ابو ظفر Hoplopterus Spinosus من الفصيلة نفسها . ويتميز بوجود شوكة معقوفة في كل من جناحيه (لا في رأسه كما قال ياقوت) ، وبطول ساقيه نسبياً . وهو من الاوابد في مصر والعراق حيث يتغذى بالحشرات والدود والنواعم ونحوها(٢٨) .

ان الامثلة المختارة السابقة لتدل على عمق ثقافة ياقوت الحموي وسعة اطلاعه ، وعلى استقصائه في ذكر حيوان كل بلد ونباته رغم بعض شطحاته واخطائه ، وهي شطحات واخطاء مقبولة اذا ما وزناها بموازين عصره . وبذلك نستطيع اعتباره حلقة مهمة في تلك السلسلة المباركة من العلماء الذين شادوا صرح العلوم الطبيعية في تراثنا العلمي العربي .

عبداللطيف البغدادي

هو ابو محمد ، موفق الدين ، عبداللطيف بن يوسف بن محمد ابن علي البغدادي ، يعرف بابن اللبّاد وابن نقطة . من فلاسفة الاسلام واحد العلماء المكثرين من التصنيف في الحكمة والطب والعلوم الطبيعية والتاريخ والبلدان والادب . وهو موصلي الاصل ، ولد ببغداد سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) ونشأ بها وتلقى تعليمه فيها . هاجر من بغداد الى الموصل شاباً مكتمل الشباب ، فاقام بها سنة واحدة ثم غادرها الى الشام ومصر وفلسطين ، ثم عاد الى الشام وفلسطين ودخل بلاد الروم والحجاز وغيرهما ، وحظي عند

الملوك والامراء . وفي نهاية المطاف عاد الى بغداد في خلافة المستنصر بالله بعد غيبة دامت خمساً واربعين سنة ، حيث توفي بها عام ٦٢٩ هـ (١٢٣١ م)[٢٩] .

وذكر سارتون ان مصنفاته زادت على ستين ومئة مصنف ما بين مؤلف ومختصر ورسالة ومقالة[٣٠] . منها اختصار كتاب الحيوان للجاحظ ، واختصار كتاب الحيوان لابن ابي الاشعث ، واختصار كتاب الحيوان لجالينوس ، والمدهش في اخبار الحيوان المتوج بصفات نبينا محمد ﷺ ، ومقالتان في الحواس ورسالة للاسكندر في الفصل ورسالة في المرض المسمى ديابيطس ، والثلاث الاخيرة درسها وحققها ونشرها د . بول غليونجي و د . سعيد عبده[٣١] ، وكتاب السماع ، ومصنفات اخرى .

وكان البغدادي قد الف مؤلفاً ضخماً في ثلاثة عشر فصلاً عنوانه « اخبار مصر » لم يصل الينا منه شيء لكنه - لحسن حظه وحظنا - كان قد استخلص منه ما استند فيه الى ملاحظاته الشخصية غير ما روي له ، وجمع ما استخلصه في كتاب مختصر سماه « الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر » ، وهو كتابه الذي عرف به واشتهر وهو موضوع هذا البحث .

قسم البغدادي كتاب الافادة والاعتبار الى مقالتين ، الاولى منهما في ستة فصول والثانية في ثلاثة فصول . ففي الفصل الاول من المقالة الاولى تكلم في خواص مصر العامة لها ، وفي الفصل الثاني فيما تختص به من النبات ، وفي الثالث فيما تختص به من الحيوان (وهو من مواضيع هذا الجزء من هذا البحث) ، وفي الرابع في اقتناص ما شوهد من آثارها القديمة ، وفي الخامس فيما شوهد بها من غرائب الابنية والسفن ، وفي السادس في غرائب اطعمتها . اما المقالة الثانية فكان فصلها الاول في النيل وزياداته واعطاء علل ذلك وقوانينه ، والثاني في حوادث سنة سبع وتسعين وخمس مئة والثالث في حوادث سنة ثمان وتسعين وخمس مئة (وهو من مواضيع هذا البحث ايضاً) .

كتب عبداللطيف البغدادي كتاب الافادة والاعتبار بالقاهرة عام ست مئة ورفعه الى الخليفة العباسي الناصر لدين الله . ولغته فيه لغة سهلة مرسلة ، خالية من التقعر والسجع والمحسنات البديعية ، لغة يفهمها القارىء اليوم كما فهمها القارىء بالامس ، فكانما هي لغة عالم طبيعي من علمائنا العرب المعاصرين . ويرى سارتون ان الفصل المتعلق بنبات مصر يعتبر فصلاً متميزاً ومهماً من بين فصول الكتاب[٣٢] .

ان المخطوط الاصلي لكتاب الافادة والاعتبار محفوظ في المكتبة البودلية Bodelian Library باوكسفورد . وقد استنسخه جوزيف وايت سنة ١٧٨٢ ونشره في توبنگن Tubingen بالمانيا سنة ١٧٨٩ بتحقيق باولس Jr . H . E . G . Paulus وكان ادوارد پوكوك Edward Pococke Jr قد ترجم بعضه الى اللاتينية فاكمل جوزيف وايت الترجمة ونشره بالعربية واللاتينية في كتاب واحد باوكسفورد عام ١٨٠٠ . وترجمه فال S.F. Gunther Wahl الى الالمانية ونشره في هاله عام ١٧٩٠ ، وهي ترجمة غير مرضية على حد رأي سارتون . وترجمه الى الفرنسية سلفستر دي ساسي Silvestre di Sacy وعلق عليه بملاحظات مطولة ، ونشره في باريس سنة ١٨١٠ . وهي ترجمة مهمة وتعتبر افضل الترجمات[٣٣] . اما ترجمته الى الانكليزية فلم تتم الا عام ١٩٦٤ حين ترجمه زند وجون وفيديان ، ونشروه بعنوان « المفتاح الشرقي The Eastern Key » ؛ وهي ترجمة لاتخلو من مآخذ واخطاء[٣٤] .

وهناك دراسات لعبداللطيف البغدادي ومصنفاته ، قام بها كل من فستنفلد عامي ١٨٤٠ و ١٨٥٦ ، ولكلير L . Leclerc عامي ١٨٧٦ و ١٨٩٨ ، وزوتر H. Suter عام ١٩٠٠ ، وغيرهم ، لايتسع المجال في هذا البحث لغير الاشارة اليها . ويرى سارتون ان مصنفات عبداللطيف البغدادي لاتزال بحاجة ماسة الى دراسة منهجية وتحقيق علمي[٣٥] .

ومع ان ما ذكره البغدادي من الحيوان في كتابه الافادة والاعتبار كان متعلقاً بحيوان مصر ، فان ذلك لاينفي ان ما انجزه يعتبر انجازاً عراقياً رغم غيابه عن العراق خمسة واربعين عاماً . فهو عراقي المولد والنشأة والثقافة والوفاة . وفوق ذلك ، فان العبرة في الكتابة والتاليف تكون بالمنهج ، وقد كان البغدادي علمي المنهج في مصنفاته ، ومنها كتاب الافادة والاعتبار .

فلنتصفح الآن بعضاً مما ذكره البغدادي من الحيوان في الفصل الثالث من المقالة الاولى من كتاب الافادة والاعتبار .

قال عبداللطيف البغدادي « ... ومن ذلك الاسقَنقور ، ويكون بالصعيد وباسوان كثيراً ... وهو صنف من الورل ، بل هو ورل الا انه قصير الذنب . والورل والتمساح والحرذون والاسقنقور وسميكة صيدا ، لها كلها شكل واحد ، وانما تختلف بالصغر والكبر . والتمساح اعظمها ، وسميكة صيدا اصغرها تكون بقدر الاصبع .. والجميع يبيض بيضاً .. والسقنقور يكون بشطوط النيل ، ومعيشته في البحر (يعني النهر) السمك الصغار ، وفي البر العظاء ونحوه ، ويسترط غذاه استراطاً .. واناثه تبيض فوق العشرين بيضة وتدفنها في الرمل فيكمل كونها بحرارة الشمس . فعلى هذا انما هو نوع برأسه .. ويفارق الورل بماواه ، فان الورل جبلي والسقنقور بري مائي لانه يدخل في ماء النيل . ثم ان ظهر الورل خشن صلب ، وظهر السقنقور لين ناعم . ولون الورل اغبر اصفر ، ولون السقنقور مدبج بصفرة وسواد .. »[٣٦] .

— الاسقنقور او السقنقور حيوان من الزواحف ثم من الفصيلة الورلية التي تكون انواعها كبيرة الجسم عادة ، طويلة العنق والذيل ، مغطاة الاجسام بحراشف صغيرة ، والسنتها ذات شعبتين كالسنة الحيات . منها السقنقور او ورل النيل Varanus

niloticus الذي يزيد طوله على متر ونصف المتر، مبقع بصفرة وسواد. وهو يشبه تمساحاً صغيراً لكنه لين الجلد، سريع الحركة، وذنبه خال من العقد. وورل النيل حذر، يكثر عند شواطىء النيل والانهار الافريقية الاخرى، وكثيراً ما يرى مطارداً فرائسه عند الشاطىء وفي الحقول المروية[٣٧]. وقد اصاب البغدادي حين قال انه صنف من الورل وانه نوع برأسه، اي نوع قائم بذاته. فالسقنقور والورل الصحراوي من جنس واحد هو الجنس Varanus. واسم هذا الجنس مأخوذ من الاسم العربي « ورل ».

اما التمساح فقد مضى الكلام عليه عند الكلام على ياقوت الحموي. واما الجرذون فنوع آخر من الزواحف البرية من فصيلة الحرانين التي تضم نحو مئتي نوع، تكون اطرافها اعتيادية والسنتها قصيرة ثخينة.

واشهر انواع هذه الفصيلة الضب المألوف في صحارى الجزيرة العربية. ومنها الجرذون الذي ذكره البغدادي، واكثر انواعه شيوعاً في مصر هو Agama Stellio حيث يعرف هناك بالسحلية، وفي جزيرة العرب بالحُبَيْنة[٣٨].

واما سميكة صيدا، فان المعلوف يرى نقلاً عن دي ساسي انها قد تكون النوع المعروف علمياً بالاسم Callionymus dracunculus[٣٩] وهي سمكة صغيرة رقيقة فضية تكون في المياه العذبة وفي البحر قرب الساحل. والذي يبدو لي ان استنتاج دي ساسي فيه نظر، لان الحيوانات التي ذكرها البغدادي في كلامه اعلاه كلها من الزواحف، بدليل انه قال فيها « لها كلها شكل واحد، وانما تختلف بالصغر والكبر ». فما الذي جعله يحشر سمكة صغيرة بين تلك الزواحف؟ والذي اراه ان سميكة صيدا نوع صغير من الزواحف يشبه الحرذون والورل، لكن اي نوع هو؟ هذا ما لا استطيع الجزم به.

ان كلام البغدادي على هذه الانواع من الزواحف كلام صحيح في مجمله، ولا يختلف كثيراً عن كلام اي باحث عصري في علم الحيوان لو اراد وصف تلك الانواع وصفاً عاماً غير مفصل.

وقال البغدادي يصف فرس النهر « .. وهو بالجاموس اشبه منه بالفرس لكنه ليس له قرن. وفي صوته صَهْلة تشبه صهيل الفرس بل البغل. وهو عظيم الهامة هَرِيت الاشداق حديد الانياب عريض الكلكل منتفخ الجوف قصير الارجل، شديد الوثب قوي الدفع مهيب الصورة مخوف الغائلة. وخبرني من اصطادها مرات وشقها وكشف عن اعضائها الباطنة والظاهرة انها خنزير كبير، وان اعضاءها الباطنة والظاهرة لا تغادر من صورة الخنزير شيئاً الا في عظم الخلقة .. وكانت واحدة ببحر دمياط قد ضربت على المراكب تغرقها .. وضربت اخرى بجهة اخرى الجواميس والبقر وبني آدم، تقتلهم وتفسد الحرث والنسل. واعمل الناس في قتلها كل حيلة، من نصب الحبائل الوثيقة وحشد الرجال باصناف السلاح وغير ذلك، فلم يجد شيئاً. فاستدعي نفر من المريس - صنف من السودان زعموا انهم يحسنون صيدها وانها كثيرة عندهم - ومعهم مزاريق فتوجهوا نحوها فقتلوها في اقرب وقت وباهون سعي. واتوا بها الى القاهرة فشاهدتها، فوجدت جلدها اسود اجرد ثخيناً جداً، وطولها من رأسها الى ذنبها عشر خطوات معتدلات. وهي في غلظ الجاموس نحو ثلاث مرات، وكذلك رقبتها وراسها. وفي مقدم فيها اثنا عشر نابا، ستة من فوق وستة من اسفل، المتطرفة منها نصف ذراع زائد، والمتوسطة انقص بقليل. وبعد الانياب اربعة صفوف من الاسنان على خطوط مستقيمة في طول الفم، في كل صف عشر كامثال بيض الدجاج المصطف، صفان في الاعلى وصفان في الاسفل على مقابلتهما؛ واذا فغر فوها وسع شاة كبيرة. وذنبها في طول نصف ذراع زائد، اصله غليظ وطرفه كالاصبع اجرد كانه عظم، شبيه بذنب الورل. وارجلها قصار طولها نحو ذراع وثلث، ولها شبيه بخف البعير الا انه مشقق الاطراف باربعة اقسام، وارجلها في غاية الغلظ .. وبالجملة هي اطول واغلظ من الفيل الا ان ارجلها اقصر من ارجل الفيل بكثير، ولكن في غلظها او اغلظ منها »[٤٠].

فرس النهر او فرس البحر كما دعاه البغدادي، حيوان لبون من رتبة الظلفيات التي تضم جنسين يضم كل واحد منهما بدوره نوعاً واحداً فقط. وهو حيوان افريقي محض لا يوجد خارج افريقيا واول هذين النوعين فرس النهر Hippopotamus amphibius ويعرف ايضاً بفرس النيل، لانه يستوطن النيل والانهار الافريقية الاخرى. وهو النوع الذي تكلم عليه البغدادي واغنانا بوصفه اياه عن وصفه في هذا التعليق. غير انني ساورد بعض التفصيلات الضرورية الاخرى بشأنه. فهو وان كان من الظلفيات فانه غير مجتر. يبلغ طول رأسه وجذعه نحو اربعة امتار ونصف المتر، وعلوه عند الكتف متراً ونصف المتر، ووزنه بين ثلاثة اطنان واربعة اطنان ونصف. يغطي جلده شعر قصير متفرق يبدو معه وكانه عار، لذلك قال فيه البغدادي « فوجدت جلدها اسود اجرد ثخيناً جداً » يخرج فرس النهر ليلاً للبحث عن طعامه من النبات واوراقه، وقد يتلف المزروعات في بحثه عن طعامه. ومع انه ينشط ليلاً فانه ضعيف البصر لكنه جيد الشم - اما نهاره فيقضيه مغموساً بالماء، وقد يسبح فيه فهو سباح ماهر[٤١].

اما النوع الثاني فهو فرس النهر القزم Choriopsis liberiensis الذي يستوطن انهار وبطائح ليبريا وساحل العاج وسيراليون في غربي افريقيا. وهو اصغر كثيراً من فرس النيل[٤٢]. ولا اراني بحاجة الى الكلام عليه لان البغدادي لم يذكره.

وقال يصف السلحفاة البحرية « .. ومن ذلك الترسة او اللجاة وهي سلحفاة عظيمة وزنها نحو اربعة قناطير، الا ان جفنتها - اعني عظم ظهرها - كالترس له افاريز خارجة عن جسمها نحو الشبر. ورأيتها بالاسكندرية يقطع لحمها ويباع

الملوك والامراء . وفي نهاية المطاف عاد الى بغداد في خلافة المستنصر بالله بعد غيبة دامت خمساً واربعين سنة ، حيث توفي بها عام ٦٢٩ هـ (١٢٣١ م)[٢٩] .

وذكر سارتون ان مصنفاته زادت على ستين ومئة مصنف ما بين مؤلف ومختصر ورسالة ومقالة[٣٠] . منها اختصار كتاب الحيوان للجاحظ ، واختصار كتاب الحيوان لابن ابي الاشعث ، واختصار كتاب الحيوان لجالينوس ، والمدهش في اخبار الحيوان المتوج بصفات نبينا محمد ﷺ ، ومقالتان في الحواس ورسالة للاسكندر في الفصل ورسالة في المرض المسمى ديابيطس ، والثلاث الاخيرة درسها وحققها ونشرها د . بول غليونجي و د . سعيد عبده[٣١] ، وكتاب السماع ، ومصنفات اخرى .

وكان البغدادي قد الف مؤلفاً ضخماً في ثلاثة عشر فصلاً عنوانه « اخبار مصر » لم يصل الينا منه شيء لكنه ـ لحسن حظه وحظنا ـ كان قد استخلص منه ما استند فيه الى ملاحظاته الشخصية غير ما روي له ، وجمع ما استخلصه في كتاب مختصر سماه « الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر » ، وهو كتابه الذي عرف به واشتهر وهو موضوع هذا البحث .

قسم البغدادي كتاب الافادة والاعتبار الى مقالتين ، الاولى منهما في ستة فصول والثانية في ثلاثة فصول . ففي الفصل الاول من المقالة الاولى تكلم في خواص مصر العامة لها ، وفي الفصل الثاني فيما تختص به من النبات ، وفي الثالث فيما تختص به من الحيوان (وهو من مواضيع هذا الجزء من هذا البحث) ، وفي الرابع في اقتناص ما شوهد من آثارها القديمة ، وفي الخامس فيما شوهد بها من غرائب الابنية والسفن ، وفي السادس في غرائب اطعمتها . اما المقالة الثانية فكان فصلها الاول في النيل وزياداته واعطاء علل ذلك وقوانينه ، والثاني في حوادث سنة سبع وتسعين وخمس مئة والثالث في حوادث سنة ثمان وتسعين وخمس مئة (وهو من مواضيع هذا البحث ايضاً) .

كتب عبداللطيف البغدادي كتاب الافادة والاعتبار بالقاهرة عام ست مئة ورفعه الى الخليفة العباسي الناصر لدين الله . ولغته فيه لغة سهلة مرسلة ، خالية من التقعر والسجع والمحسنات البديعية ، لغة يفهمها القاريء اليوم كما فهمها القاريء بالامس ، فكانما هي لغة عالم طبيعي من علمائنا العرب المعاصرين . ويرى سارتون ان الفصل المتعلق بنبات مصر يعتبر فصلاً متميزاً ومهماً من بين فصول الكتاب[٣٢] .

ان المخطوط الاصلي لكتاب الافادة والاعتبار محفوظ في المكتبة البودلية Bodelian Library باوكسفورد . وقد استنسخه جوزيف وايت سنة ١٧٨٢ ونشره في توبنگن Tubingen بالمانيا سنة ١٧٨٩ بتحقيق باولس Jr . H . E . G . Paulus وكان ادوارد پوكوك Edward Pococke Jr قد ترجم بعضه الى اللاتينية فاكمل جوزيف وايت الترجمة ونشره بالعربية واللاتينية في كتاب واحد باوكسفورد عام ١٨٠٠ . وترجمه فال S . F . Gunther Wahl الى الالمانية ونشره في هاله عام ١٧٩٠ ، وهي ترجمة غير مرضية على حد رأي سارتون . وترجمه الى الفرنسية سلفستر دي ساسي Silvestre di Sacy وعلق عليه بملاحظات مطولة ، ونشره في باريس سنة ١٨١٠ . وهي ترجمة مهمة وتعتبر افضل الترجمات[٣٣] . اما ترجمته الى الانكليزية فلم تتم الا عام ١٩٦٤ حين ترجمه زند وجون وفيديان ، ونشروه بعنوان « المفتاح الشرقي The Eastern Key » ؛ وهي ترجمة لاتخلو من مآخذ واخطاء[٣٤] .

وهناك دراسات لعبداللطيف البغدادي ومصنفاته ، قام بها كل من فستنفلد عامي ١٨٤٠ و ١٨٥٦ ، ولكلير L . Leclerc عامي ١٨٧٦ و ١٨٩٨ ، وزوتر H . Suter عام ١٩٠٠ ، وغيرهم ، لايتسع المجال في هذا البحث لغير الاشارة اليها . ويرى سارتون ان مصنفات عبداللطيف البغدادي لاتزال بحاجة ماسة الى دراسة منهجية وتحقيق علمي[٣٥] .

ومع ان ما ذكره البغدادي من الحيوان في كتابه الافادة والاعتبار كان متعلقاً بحيوان مصر ، فان ذلك لاينفي ان ما انجزه يعتبر انجازاً عراقياً رغم غيابه عن العراق خمسة واربعين عاماً ، فهو عراقي المولد والنشأة والثقافة والوفاة . وفوق ذلك ، فان العبرة في الكتابة والتأليف تكون بالمنهج ، وقد كان البغدادي علمي المنهج في مصنفاته ، ومنها كتاب الافادة والاعتبار .

فلنتصفح الآن بعضاً مما ذكره البغدادي من الحيوان في الفصل الثالث من المقالة الاولى من كتاب الافادة والاعتبار .

قال عبداللطيف البغدادي « .. ومن ذلك الاسْقَنْقُور ، ويكون بالصعيد وباسوان كثيراً .. وهو صنف من الورل ، بل هو ورل الا انه قصير الذنب . والورل والتمساح والحرذون والاسقنقور وسميكة صيدا ، لها كلها شكل واحد ، وانما تختلف بالصغر والكبر . والتمساح اعظمها ، وسميكة صيدا اصغرها تكون بقدر الاصبع .. والجميع يبيض بيضاً .. والسقنقور يكون بشطوط النيل ، ومعيشته في البحر (يعني النهر) السمك الصغار ، وفي البر العظاء ونحوه ، ويسترط غذاء استراطاً .. واناثه تبيض فوق العشرين بيضة وتدفنها في الرمل فيكمل كونها بحرارة الشمس . فعلى هذا انما هو نوع برأسه .. ويفارق الورل بماواه ، فان الورل جبلي والسقنقور بري مائي لانه يدخل في ماء النيل . ثم ان ظهر الورل خشن صلب ، وظهر السقنقور لين ناعم . ولون الورل اغبر اصفر ، ولون السقنقور مدبج بصفرة وسواد .. »[٣٦] .

الاسقنقور او السقنقور حيوان من الزواحف ثم من الفصيلة الورلية التي تكون انواعها كبيرة الجسم عادة ، طويلة العنق والذيل ، مغطاة الاجسام بحراشف صغيرة ، والسنتها ذات شعبتين كالسنة الحيات . منها السقنقور او ورل النيل Varanus

الاسفل»[٤٨].

ان النصوص المختارة اعلاه من كتاب الافادة والاعتبار تظهر لنا بما لا يقبل الشك ان عبداللطيف البغدادي كان دقيق الملاحظة فيما اورده فيه من معلومات استند فيها الى ما رآه رأي العين والى من وثق بهم من الرواة، وانه كان حراً مستقلاً في تفكيره وارائه. فاذا خالفت ملاحظاته ومشاهداته ما قرأه بشانها في الكتب، فانه كان ياخذ بما لاحظه ورآه ويقدمه على ما جاء في تلك الكتب ولايعتد بما قاله مؤلفوها اياً كان مبلغهم من العلم، من غير ان يسفه اراءهم او يرميهم بالجهل او ينتقص من اقدارهم. وهذه هي الطريقة العلمية الحديثة في دراسة العلوم الطبيعية والعلوم الاخرى. واذا اتفقت مع بعض ما جاء في تلك الكتب احياناً وخالفتها احيانا اخرى، فانه كان يقر بذلك وقد يعلله. وهذا منتهى الامانة العلمية التي يجب ان يتصف بها العلماء في كل زمان ومكان.

زكريا القزويني

هو ابو يحيى، عماد الدين، زكريا بن محمد بن محمود القزويني الانصاري، عربي ينتهي بنسبه الى الصحابي الجليل انس بن مالك الانصاري رضي الله عنه. وقد صرح هو بذلك النسب في ديباجة كتابه «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات»[٤٩]. وزاد حاجي خليفة في نسبته فنسبه الى الكوفة ايضاً حيث قال «الكوفي القزويني»[٥٠]، ولعله عاش في الكوفة، ردحاً من الزمن فنسب اليها ايضاً.

ولد بقزوين نحو سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م)، وقيل سنة ٦٠٥ هـ (١٢٠٨ م)، ونشأ بها وتلقى علومه فيها. وفي شبابه غادرها متوجهاً الى بغداد، ومن بغداد توجه الى دمشق فلبث فيها مدة من الزمن لقي فيها الفيلسوف والصوفي المشهور محيي الدين بن عربي نحو عام ٦٣٠ هـ (١٢٣٣ م). ثم غادر دمشق الى الموصل حيث التقى هناك ضياء الدين بن الاثير. ومن المحتمل انه زار سنجار ايضاً. ومن الذين التقاهم اللغوي والجغرافي الاندلسي ابن سعيد الغرناطي الذي توجه الى المشرق عام ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م)، لكننا لا نعلم اين التقاه ومتى كان ذلك. وقام بسياحة ايضاً في بلاد فارس وزار بلدة جَنابة[٥١]. ثم ولي قضاء الحلة سنة ٦٥٠ هـ فقضاء واسط سنة ٦٥٢ هـ ايام المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس ببغداد[٥٢].

وبعد سقوط الدولة العباسية عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) اعتزل الحياة العامة وانصرف للتاليف. لكنه اتصل بعطا ملك الجويني وحاكم العراق ايام المغول، واليه رفع كتابه عجائب المخلوقات. توفي القزويني بواسط سنة ٦٨٢ هـ [١٢٨٣ م] وحمل الى بغداد ودفن فيها[٥٣].

كان القزويني موسوعياً في ثقافته ومصنفاته، لذلك لقب ببلينياس العصور الوسطى اوبلينياس المسلم، وهو لقب اطلق على المسعودي ايضاً[٥٤]. فقد كان جغرافياً ونباتياً وفلكياً ومن علماء الحيوان والارض والمعادن واجناس البشر. ونظراً لعمق ثقافته الموسوعية فقد نجح في جمع حقائق العلوم المعروفة في عصره والتاليف فيمابينها في مصنفات عالية القيمة. وتكمن القيمة الحقيقية له في انه استطاع ان يجعل من التاليف في الكونيات نوعاً من الكتابة الادبية ذات المستوى الرفيع[٥٥].

ويرى رونان ان القزويني كان اول من علل تكون قوس قزح تعليلاً علمياً صحيحاً. ويذكر ايضاً انه عمل ارصاداً فلكية في مرصد مراغة، وانه كان ذا أثر واضح في عمل الزيج الايلخاني[٥٦].

وكان تأثيره فيمن جاء بعده من علماء الكونيات والجغرافيين العرب كبيراً. فقد استفاد من كتابيه «آثار البلاد واخبار العباد» و «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» عدد لا يحصى من اولئك العلماء. منهم على سبيل المثال: شمس الدين الدمشقي (٧٢٧ هـ - ١٣٢٧ م) في كتابه «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر»؛ وحمد الله المستوفي القزويني (نحو ٧٥٠ هـ - ١٣٤٩ م) في كتابه «نزهة القلوب» وكمال الدين الدميري (٨٠٨ هـ - ١٤٠٥) في كتابه «حياة الحيوان الكبرى»؛ وابن الوردي (٨٦١ هـ - ١٤٥٧ م)[٥٧] في كتابه «خريدة العجائب وفريدة الغرائب»، وغيرهم. وكان آخرهم محمد بن سعيد السفاقسي (بعد ١٢٣٣ هـ - ١٨١٨ م)[٥٨].

صنف القزويني عدداً من المصنفات، منها «الدر المنضود في عجائب الوجود» ولعل هذا الكتاب هو «عجائب البلدان» نفسه، الذي ذكره حاجي خليفة والباباني البغدادي[٥٩]، ومنها «خطط مصر»؛ ومنها «آثار البلاد واخبار العباد»؛ ومنها «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» وهو من مواضيع هذا البحث.

يعد كتاب عجائب المخلوقات اول عرض منظم للكونيات في المصنفات الاسلامية، وقد حظي بشعبية كبيرة لدى العالم الاسلامي كله، يشهد لها العدد الكبير من مخطوطاته العربية وترجماته الفارسية والتركية، وتنقيحاته العديدة[٦٠]. وقد مر هذا الكتاب باربعة اطوار تختلف عن بعضها. ويرى علوان نقلاً عن فستنفلد ورسكا ان الطور الاول كان نحو سنة ٦٦١ هـ عندما كتب القزويني كتاباً ضخما بعنوان «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» ثم اختصره القزويني في الطور الثاني ليكون سهل التداول، وهو المختصر المطبوع على هامش «حياة الحيوان الكبرى» للدميري بعنوان «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات»، والمتداول بين القراء في زماننا هذا. اما الطور الثالث فقد ضاع نصه العربي، لكن توجد منه ترجمات فارسية

تحتوي على جزءين غير موجودين في نسخ الطورين الاول والثاني ، وهما الجزء السابع عن اجناس البشر والجزء الثامن عن الصنائع . واما الطور الرابع فلم يصلنا منه سوى مخطوط واحد ناقص الاخر ، عنوانه « تحفة الكائنات » او « مرآة الكائنات » ؛ ويغلب على الظن ان كاتباً مجهولاً كتب ذلك المخطوط واراد ان يتوسع فيما كتبه القزويني(٦١) ونسخة هذا المخطوط متأخرة تعود للقرن الثامن عشر الميلادي ، وهي التي اعتمدها فستنفلد في نشره الكتاب(٦٢) .

لكنني اخالف ما ذهب اليه فستنفلد وركسا بشأن الطور الاول من عجائب المخلوقات الذي حدداه بسنة ٦٦١ هـ ، والطور الثاني الذي لم يحددا تاريخ كتابته . فنسخة الكتاب المطبوعة على هامش «حياة الحيوان الكبرى » والطبعات الاخرى المتداولة اليوم كتبت سنة ٦٦١ هـ تحديداً ، لا قبل تلك السنة ولا بعدها . وهذا التحديد لم يرد في ديباجة الكتاب ولا في خاتمته ، بل ذكره القزويني عرضاً عند كلامه على منازل الشمس حيث قال « .. والآن في وقتنا هذا وهو احدى وستون وست مئة .. »(٦٣) . فهذا النص يدل على ان القزويني اما ان يكون قد كتب كتابه الضخم قبل سنة ٦٦١ هـ ثم اختصره تلك السنة ، او انه كتبه بعد سنة ٦٦١ هـ ، خلافاً لما ذهب اليه فستنفلد وركسا .

اما منهاج القزويني في هذا الكتاب ، فانه قد قسمه الى شرح ومقالتين . فقد شرح عنوان الكتاب باربع مقدمات . اما المقالتان فالاولى في العلويات وقد قسمها الى ثلاثة عشر فصلاً (او نظراً كما يسميها) ، تكلم فيها على الافلاك والقمر والسيارات والثوابت والمجرة والشهور والمواسم والايام . والثانية في السفليات ، اي في الارض وما عليها من هواء وماء وتراب ومعادن ونبات وحيوان وانسان . ومن الملاحظ انه لم يصنف النبات والحيوان حسب التصنيف الطبيعي المعروف اليوم والذي يعتمد على تشابه انواع كل مجموعة معينة بصفات خاصة مشتركة ، بل صنفهما حسب حجومهما او بيئاتهما . فقد صنف النبات مثلاً الى اشجار ونجوم ، وجمع حيوان الماء في مجموعة واحدة ، وادخل ضمن مجموعة الطيور حيواناً لبوناً هو الخفاش ، وحشرة هي اليراعة . ولا غرابة فيما فعل ، فقد كانت تلك الطريقة في التصنيف هي المتبعة يومذاك . اما ترتيب الانواع ضمن المجموعة الواحدة فكان ترتيباً الفبائياً ، وهو ترتيب معمول به اليوم تيسيراً لدراسة انواع الحيوان والنبات فحسب ، لا لبيان قراباتها الطبيعية واصولها المشتركة وقد اعتاد القزويني ان يُتبع اسم الحيوان العربي باسمه الفارسي ، كلامه على صفات الحيوان وطباعه وبيئته يذكر القزويني استعمالاته في الطب وخواصه العلاجية ، وبذلك جاء كتابه علمياً وعملياً في الوقت نفسه .

وقد ضم هذا الكتاب معلومات وحقائق علمية ثابتة حتى اليوم ، لكنه اشتمل بالمثل على عجائب وغرائب يدخل معظمها في باب الخرافات والاساطير . وكانما فطن القزويني الى ذلك فقال معتذراً ومبرراً ما فعله « ... وقد ذكرت فيه اسباباً تأباها طباع الغبي الغافل ولا تنكرها نفس الذكي العاقل . فانها وان كانت بعيدة عن العادات المعهودة والمشاهدات المألوفة ، لكن لا يستعظم شيء مع قدرة الخالق وجبلّة المخلوق .. فان احببت ان تكون منها على ثقة فشمر لتجربتها واياك ان تفتر ... »(٦٤) .

اما مصادره فقد ذكرت دائرة المعارف الاسلامية ان طبعة فستنفلد تضم نيفاً وعشرين مصدراً رجع اليها القزويني في كتاب عجائب المخلوقات(٦٥) . وهذا العدد اقل بكثير مما هو موجود في الطبعة العربية المتداولة اليوم . فقد احصيت ما لايقل عن خمسة وستين مصدراً رجع اليها القزويني واقتبس منها . وكان اكثر اقتباسه عن ابن سينا ، يليه ارسطو ، ثم ابن وحشية ، ثم بليناس ، ثم الجاحظ ثم بطليموس وغيرهم ، اضافة الى المصادر غير المنسوبة وهي كثيرة جداً ، والى مشاهداته الشخصية ومشافهاته ، والى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف(٦٦) .

ولا غرابة في ذلك ، فالنسخة التي اعتمدها فستنفلد نسخة متأخرة بعيدة عن الاصل ، سدّ الخروم التي فيها من مقتطفات اخرى بطريقة اعتباطية ، ولعل عدد المصادر المذكورة فيها لا يزيد على ما ذكره .

واما مختصرات عجائب المخلوقات ، فاولها الكتاب الذي كتبه القزويني نفسه عام ٦٦١ هـ ، وهو الكتاب المطبوع المتداول اليوم . وهناك مختصر بعنوان « الدرر المنتقاة من عجائب المخلوقات » لايعرف من عمله(٦٧) . ومختصر آخر مجهول المؤلف ، عنوانه « عجائب المخلوقات الصغرى » . ومختارات بعنوان « الملتقط من عجائب المخلوقات وحياة الحيوان » اختارها محمد بن عبدالكريم الصفوي سنة ٨٩٦ هـ(٦٨) . وهناك « اختصار عجائب المخلوقات » كتبه ابو محمد حسن بن سليمان(٦٩) .

وقد تُرجم عجائب المخلوقات الى عدد من اللغات الشرقية والغربية فقد ترجم جلال الدين حمزة الآذري الاسفراييني (ت ٨٦٦ هـ) المقالة الثانية منه باختصار الى الفارسية شعراً وسمى ترجمته « عجائب الدنيا » . وترجمه الى التركية كل من بيجان يازجي اوغلو سنة ٨٥٧ هـ بعنوان « عجائب المخلوقات » ، والمولى الفنائي سنة ٩٦٥ هـ عندما كان قاضياً في بلاد بوسنة ، وسروري المتوفى سنة ٩٦٩ هـ (١٥٦١ م) ، وايوب بن خليل سنة ٩٧٧ هـ بعنوان « تذكرة العجائب وترجمة الغرائب »(٧٠) ، وترجم الكتاب ايضاً الى اللغة الجاغتية(٧١) .

وهناك مختصر للقسم الخاص بالجغرافية من عجائب المخلوقات، صنعه عبدالرشيد بن نوري الباكوي، وترجمه الى اللاتينية دي گين ثم الى الفرنسية ونشره سنة ١٧٨٩ م(٧٢).

وترجم دي شيه الى الفرنسية الفصول المتعلقة بالمعادن والنبات والانسان ونشرها في بداية القرن التاسع عشر(٧٣). وترجم آيديلر القسم المتعلق بالفلك الى الالمانية، ونشره بالعربية والالمانية عام ١٨٠٩ م. وترجم المقالة الاولى منه الى الالمانية هيرمان ايته مع تعليقات بقلم فلايشر، ونشره في لايبزك سنة ١٨٦٨ م.

وترجم رسكا الى الالمانية القسم الخاص بالاحجار ونشره في هايدلبرك سنة ١٨٩٦ م(٧٤). وهناك عدد آخر من الترجمات لايتسع المجال لذكرها جميعاً في حدود هذا البحث.

اما الدراسات المتعلقة بعجائب المخلوقات، فاقدمها تلك التي صنعها فستنفلد حين نشر الكتاب بالعربية في گوتنگن بالمانيا عامي ١٨٤٨ - ١٨٤٩ م، وهي دراسة عليها مآخذ كثيرة لان المخطوطة التي اعتمدها متأخرة وبعيدة عن الاصل، كما سبق بيانه. ونشر فوك دراسة بالعربية واللاتينية باسماء الشهور السريانية ومعانيها في لايبزك سنة ١٨٥٩ م. وهناك سلسلة من الدراسات بالالمانية تتعلق بالنبات ووصف العين والهوام قام بها فيدمان ونشرها في هاله عامي ١٩١٢ و ١٩١٨(٧٥). ويرى سارتون ان الحاجة لاتزال ماسة الى ترجمات ودراسات بالانكليزية لكتاب عجائب المخلوقات.

واما الدراسات العربية لكتاب عجائب المخلوقات، فلا اعلم غير دراسة واحدة قام بها عزيز العلي العزي (كاتب هذا البحث) ونشرها في مجلة «المورد» ببغداد سنة ١٩٧٧ م، وعنوانها «عجائب المخلوقات للقزويني: دراسة في تراثنا العلمي». وهي دراسة تتعلق بكل ما ذكره القزويني من حيوان في كتابه. وقد رتّبت فيها انواع الحيوان في مجاميعها الطبيعية المأخوذ بها اليوم في علم التصنيف الحديث، وذكرت اسماؤها العلمية باللاتينية ومعلومات موجزة في طباعها وبيئاتها الخ..، وبيان ما يتفق والعلم الحديث مما ذكره القزويني وما يخالفه(٧٦). ولعل هناك دراسات اخرى بالعربية لم اذكرها هنا لانني لم اطلع عليها.

اما طبعاته بالعربية، فاقدمها طبعة فستنفلد في لايبزك عام ١٨٤٨ م، كما سلف القول. ثم طبع في القاهرة عام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) على هامش «حياة الحيوان الكبرى» للدميري. وتوالت بعد ذلك طبعاته، وكلها طبعات تجارية سقيمة ملأى بالاخطاء والتصحيف. وهناك طبعة حديثة مستقلة من عجائب المخلوقات نشرت في بيروت ١٩٧٨ م يدعى ناشرها انها طبعة قدم لها وحققها فاروق سعد. وقد وجدت فيها كل شيء الا التحقيق. فهي لا تعدو كونها صورة طبق الاصل من طبعة حجازي على هامش حياة الحيوان الكبرى بالقاهرة ١٣٦٧ هـ، بتصحيفاتها واخطائها الطباعية واللغوية، ولا تتميز على طبعة حجازي الا بورقها الابيض وغلافها الملون(٧٧). وقد نبهت في دراسة خاصة الى اخطاء تلك الطبعة في اسماء الحيوان والنبات والاعلام واللغة، وبينت اوهامها الجغرافية والتاريخية، واشرت الى الصواب الذي يجب ان يذكر بدلاً من تلك الاخطاء والاوهام(٧٨).

وفي الصفحات الآتية نصوص مختارة من عجائب المخلوقات تتعلق كلها بالحيوان، فلنستعرض هذه النصوص وما فيها.

قال زكريا القزويني في معرض كلامه على حيوان الماء «حيوان الماء على قسمين: منه ما ليس له رئة كانواع السمك فانه لا يعيش الا في الماء، ومنه ما له رئة كالضفدع فانه يجمع بين الماء والهواء. فاما التي لاتعيش الا في الماء فلا حاجة لها الى استنشاق الهواء، لان الباري تعالى لما خلقها في الماء جعل حياتها منه وجعلها على طبيعة الماء، وركب ابدانها تركيباً بحيث يصل اليها برد الماء وروح الحرارة الغريزية التي في بدنها وينوب عن استنشاق الهواء، فلذلك تراها لاصوت لها لفقد الرئة التي لاحاجة بها اليها.. وجعل لبعضها اجنحة واذناباً تسبح بها في الماء كما يطير الطير في الهواء»(٧٩).

ان كلام القزويني هذا صحيح في جملته، وبالطبع فان وجود غاز الاوكسجين وذوبانه في الماء لم يكونا معروفين في تلك الايام، لذلك عبر عنه بقوله «برد الماء».

وختم القزويني كلامه على حيوان الماء بقوله «وجعل بعضها أكلاً وبعضها ماكولاً، وجعل نسل الماكول اكثر لبقاء اشخاصها. فسبحانه ما اعظم شانه»(٨٠).

ان مقولة القزويني هذه تشير رغم اختصارها الى ما يعرف اليوم في علم البيئة بهرم الاعداء. وخلاصة هذا المفهوم ان اعداد الكائنات الحية ونسب توزيعها في البيئة لو مثلت هندسياً فانها ستكون بشكل هرم، في قاعدته الكائنات الحية الماكولة والكثيرة العدد، وفي قمته الكائنات الآكلة الاقل عدداً، وبين القاعدة والقمة تقع كائنات آكلة لما تحتها في الهرم لكنها بدورها ماكولة لما فوقها في الهرم نفسه. وهذا المفهوم مفهوم حديث جداً في علم البيئة.

وفي النظر (الفصل) الثالث في الحيوان قال مشيراً الى اختلاف انواع الحيوان باختلاف بيئاتها «.. وقال بعض المفسرين: من اراد ان يعرف معنى قوله تعالى: ويخلق مالاتعلمون، فليوقد ناراً في وسط غيضة بالليل ثم لينظر ما يغشى تلك النار من انواع الحيوان، فانه يرى صوراً عجيبة واشكالاً غريبة لم يكن يظن ان الله تعالى خلق شيئاً منها في العالم. على ان الذي يغشى تلك النار يختلف باختلاف المواضع من الغياض والجبال والبحار والصحارى، فان سكان كل بقعة

تخالف سكان غيرها . ومايعلم جنود ربك الا هو »[٨١] .

وعندما تكلم على الهوام والحشرات قال « ومن الناس من يقول : اي فائدة في هذه الهوام مع كثرة ضررها ؟ ولم يدر ان الله تعالى يراعي المصالح الكلية كارسال المطر ، فانه فيه مصالح البلاد والعباد وان كان فيه خراب بيت العجوز .. والذي يحقق ذلك انا نرى الذباب والديدان والخنافس في دكان القصاب والدباس اكثر مما نرى في دكان البزاز والحداد . فاقتضت الحكمة الالهية صرف العفونات اليها ليصفو الهواء منها ونسلم من الوباء ... »[٨٢] .

ان كلام القزويني في هذا النص يشير اشارة واضحة الى ادراكه واستيعابه دور الرميات واثرها في تنظيف البيئة بالتهامها النباتات الميتة والحيوانات النافقة ، وبالتالي حمايتها من التلوث . ولولا ذلك لتراكمت تلك النباتات الميتة والحيوانات النافقة الى حد يلوث البيئة تلوثاً يجعلها غير صالحة لحياة الاحياء فيها .

ان النصوص السابقة تتعلق ببعض المفاهيم الاساسية في علم الاحياء . فلننظر الآن في نصوص اخرى تتعلق بكل حيوان على حدة .

قال القزويني عند كلامه على حيوان الماء « سرطان البحر : هو حيوان عجيب الشكل كأنه خمس حيات برأس واحد .. »[٨٣]

ان وصف القزويني ينطبق على حيوان بحري من شعبة شوكية الجلد يعرف بنجم البحر الثعباني . وهذه الشعبة تضم انواعاً كثيرة جداً ، تعيش كلها في البحار والمحيطات مستقرة على رمال القاع وصخوره ، ولاتغادر اماكنها الا بحثاً عن طعامها وهو المحار عادة . وانواع هذه الشعبة ذات تناظر شعاعي ، اي ان الجسم مؤلف من قرص وسطي مقسم الى خمسة اقسام متساوية يخرج منها خمسة اذرع او عشرة . وبذلك يكون الحيوان نجمي الشكل . وتتوسط القرص من اسفله فتحة الفم التي يدخل منها الماء والغذاء ويخرج منها الغذاء غير المهضوم . تبلغ انواع نجم البحر الثعباني نحو ثمان مئة والف نوع ، منها في سواحل البحر المتوسط الجنس Ophioderma الذي يضم عدة انواع . واذرع نجم البحر الثعباني طويلة ثعبانية الشكل يستخدمها للانتقال السريع من مكان الى آخر . واذا هاجمه حيوان فانه يتخلص بارادته من احدى اذرعه ليلهى بها الحيوان المهاجم ، لتنمو له بعد ذلك ذراع جديدة[٨٤] .

وفي كلامه على الهوام والحشرات ذكر البعوض فقال « حيوان في غاية الصغر .. ولها خرطوم ادق شيء يمكن ان يقال ، ومع دقته مجوف حتى يجري فيه الدم الرقيق ، وخلق في راس ذلك الخرطوم قوة يضرب بها جلد الفيل والجاموس ينفذ فيهما .. والفيل والجاموس يهربان من البعوض في الماء ... »[٨٥] .

البعوض حشرات صغيرة من رتبة ذوات الجناحين التي تتميز بان لانواعها زوجاً واحداً من الاجنحة هو الزوج الامامي ، ومن فصيلة البعوض التي تضم اكثر من ست مئة والف نوع ، والتي تتميز بان اجزاء الفم فيها تحورت الى خرطوم ثاقب ماص . تنشط ذكور البعوض نهاراً وتتغذى برحيق الازهار والعصارات النباتية عادة ، في حين تنشط الاناث ليلًا لتتغذى بما تمتصه من دماء الانسان واللبائن الاخرى والطيور . وبعض انواع البعوض ينقل امراضاً بشرية ، اشهرها بعوض الملاريا وهو انواع عديدة تتبع كلها الجنس Anopheles ، والبعوض المصري Aedes aegypti الذي ينقل مرض الحمى الصفراء ، وانواع كثيرة اخرى لايتسع المجال لذكرها جميعاً .

وذكر القزويني العلق فقال « عَلَق : حيوان اسود اللون بقدر الاصبع الخنصر ، يوجد في المياه .. يستعمل في المعالجات ، فان الاطباء اذا ارادوا اخراج الدم من موضع مخصوص اخذوا هذا الحيوان في قطعة طين وقربوه من العضو ، فانه يتشبث به ويمتص الدم منه واذا ارادوا سقوطه رشوا عليه ماء الملح فانه يسقط في الحال . وربما يكون العلق في الماء يشربه الحيوان ، فيتشبث العلق بحلقه .. »[٨٦] .

ذكر القزويني العلق عند كلامه على حيوان الماء . والعلق المقصود هنا هو العلق الطبي Hirudo medicinalis ، وهو من شعبة الديدان الحَلقَيّة ثم من صنف العلقيات الذي يضم نحو ثلاث مئة نوع ذوات اجسام مسطحة ومبقعة عادة ، ومحجم امامي صغير يحيط بالفم وآخر خلفي كبير يتشبث به الحيوان بأي جسم صلب ليستقر عليه . تعيش معظم انواع العلق في المياه العذبة ، وبعضها في البحار والاماكن الرطبة . وتكون مفترسة او رمية او متطفلة على الفقريات واللافقريات حيث تمتص دماءها وسوائلها الجسمية . والعلق الطبي دودة لايجاوز طولها عشرة سانتمترات ، يتألف جسمها من اربع وثلاثين حلقة ، وتعيش في المياه العذبة الرائقة حيث تكون نشطة وسريعة السباحة . يتشبث العلق الطبي باجسام الحيوانات عند ورودها الماء ويمتص منها الدم بكميات كبيرة قد تكفيه شهوراً[٨٧] .

وتكلم على حيوان البحر المتوسط فقال « ومنها سمكة تعرف بالخطاف . قال ابو حامد : ولها جناحان على ظهرها اسودان ، وانها تخرج من الماء وتطير في الهواء وتعود الى البحر »[٨٨] .

الخطاف من الاسماك العظمية ثم من رتبة السمك الطيار الذي يتميز بأن زعنفته الظهرية تقع فوق زعنفتيه الشرجية ، وان زعنفتيه الكتفيتين كبيرتان ومرتفعتا الموقع . تعيش انواع السمك الطيار كلها في البحار الدافئة حيث تقفز من الماء الى الهواء لتطير فيه مسافة قصيرة ثم تعود الى الماء . ومعظم انواع السمك الطيار صغيرة الاجسام لايجاوز طولها خمسة وثلاثين سانتمتراً . والسمك الطيار اجناس متعددة ، منها الجنس Exocoetus الذي يعيش في جميع البحار الاستوائية والمعتدلة[٨٩] . علماً ان

الخطاف ايضاً انواع من الطيور تعرف بالسنونو او السند وهند .

وذكر الحرباء فقال « حرباء : هو حيوان اعظم من العظاية .. يدور مع الشمس ووجهه لها كيفما دارت حتى تغرب . ويكون رمادي اللون ثم يصفّر ، واذا اثرت فيه حرارة الشمس احمرّ . وقيل يختلف لونه باختلاف ساعات النهار .. »(٩٠) .

الحرباء Chameleo Chamaeleon) حيوان من الزواحف ثم من رتبة العظايا ، لايزيد طوله على خمسة عشر سانتمتراً . جسمه مضغوط الجنبين ، وراسه مثلث الشكل على جانبيه عينان كبيرتان تتحرك كل منهما مستقلة عن الاخرى . ولسانه ذو طرف طويل جداً مغطى بمادة مخاطية ، فاذا رأى ذبابة او حشرة صغيرة اطلقه بسرعة خاطفة ثم اعاده الى فمه وقد لصقت به الذبابة او الحشرة فياكلها . اما اصابع الحرباء وذيلها فانها مهياة كلها للامساك بفروع الشجر والتشبث بها(٩١) . وما ذكره القزويني في تلون الحرباء صحيح كله .

وفي معرض كلامه على الطير ذكر الغواص فقال « غواص : طائر .. يوجد بالبصرة على طرف الانهار ، يغوص في الماء منكوساً بقوة شديدة ويلبث تحت الماء الى ان يرى شيئاً من السمك فياخذه ويصعد به . والعجب للبثه تحت الماء والماء لا يغلبه مع خفة بدنه ... »(٩٢) .

الغواص طائر مائي من فصيلة الغواص ، يعرف في البصرة بالغواص وفي مصر بالغطاس . وطيور هذه الفصيلة لا تبارح الماء الا قليلاً ، وغذاؤها السمك والدود والحشرات . وهي تشبه البط في مظهرها العام لكن اذنابها قصيرة جداً . وارجلها اقرب الى مؤخرة الجسم ، لذلك يصعب عليها السير على الارض الا منتصبة القامة . منها في العراق جنس الغواص Podiceps الذي يضم ثلاثة انواع . والظاهر ان كلام القزويني كان على اصغرها الذي وصفه بخفة البدن ، وهو الغواص الصغير P . Ruficollis الذي لا يجاوز طوله خمسة وعشرين سانتمتراً . وهو النوع الوحيد المسجل من البصرة وما حولها(٩٣) .

ونختتم هذه النصوص المختارة بما قاله القزويني في النمر . قال « نمر : حيوان ذو قهر وقوة وسطوة صادقة ووثبات شديدة وهو اعدى عدو للحيوانات لا تردعه سطوة احد .. وهو ذو وشي والوان حسنة . وخلقه في غاية الضيق لا يتأنب البتة .. والنمر يتعرض لكل شيء حالة جوعه وشبعه ، بخلاف الاسد فانه لا يتعرض الا في حالة الجوع .. »(٩٤) .

النمر Panthera Pardus حيوان لبون من رتبة الضواري ثم من الفصيلة السنورية . يصل طول جسمه وذيله الى مترين ، وفراؤه مرقط رقطاً سوداً تجتمع حلقاً . ومنه ضرب اسود لاتشوب سواده شائبة ، وهو ليس نوعاً قائماً بذاته . يوجد النمر في افريقيا وفي آسيا من فلسطين غرباً حتى الصين ومنشوريا شرقاً والهند وجاوة جنوباً . وكان موجوداً في المناطق النائية الجبلية في شمالي العراق حتى خمسينات هذا القرن ، ولعله انقرض اليوم هناك . وما ذكره القزويني صحيح في جملته ، فهو شرس لا يربى ولا يستانس البتة ، ويهاجم اي حيوان يستطيع افتراسه خاصة الكلاب(٩٥) .

ان النصوص السابقة المختارة من كتاب « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » خير شاهد على موسوعية القزويني وعمق ثقافته . ولو اخترنا نصوصاً اخرى مما قاله في النبات والمعادن والاحجار والانهار والبحار والفلك والانواء ، لكانت شواهد اخرى على موسوعيته ، لكن طبيعة هذا البحث لاتسمح بغير النصوص المتعلقة بالحيوان . وقد كتب كل تلك النصوص بلغة واضحة واسلوب مرسل لاسجع فيه .

واری ان من واجبنا ان نفخر بياقوت الحموي وعبداللطيف البغدادي وزكريا القزويني فخرنا بعلمائنا الآخرين الذين سبقوهم او جاءوا من بعدهم ، وان نترجم هذا الفخر الى عمل ملموس فننشر بعض اثارهم العلمية محققة تحقيقاً علمياً دقيقاً . فهذا بعض من حقوقهم علينا نحن الذين خلفناهم ، فعسى ان نكون خير خلف لخير سلف .

الهوامش والمصادر

(١) طاش كبري زاده ، احمد بن مصطفى : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم (١ - ٣) . تحقيق كامل كامل بكري وعبد الوهاب ابو النور . دار الكتب الحديثة - القاهرة ، د . ت / ١ : ٣٣١ . علم الحيوان الان : علم يعني بالاضافة الى ماذكره المصدر يعنى جزء منه بتشريح وفسلجة وبيئة وخواص الحيوانات وكذلك نظريات نشوئها وتطورها وتناسلها » [المراجع]

(٢) ابن النديم ، محمد بن اسحاق : الفهرست . تحقيق رضا تجدد . طهران ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م / ٣١٢ .

حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله : كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون (١ - ٢) . اوفسيت د . ت . عن طبعة استانبول - ١٩٤١ م / ١ : ٦٩٥ .

وانظر ايضاً : Sezgin Fuat : Geschichte Der Arabischen Schriftums . Brill . Leiden , 1970 /3 : 350 .

(٣) ابن النديم : ٣٢٣ .

(4) Sezgin 3 : 351 .

(5) Ibid .

(٦) ابن ابي اصيبعة ، احمد بن القاسم : عيون الانباء في طبقات الاطباء (١ - ٣) . دار الفكر ، بيروت ، ١٩٥٦ - ١٩٥٧ / ٢ : ٢٣٧ . الباباني البغدادي ، اسماعيل باشا : هدية العارفين ، اسماء المؤلفين وآثار المصنفين (١ - ٢) . اوفسيت عن ط . استانبول - ١٩٥١ و ١٩٥٥م / ١ : ٤٥٠ - ٤٥١ . وانظر : Sezgin 3 : 351 .

(٧) ابن ابي اصيبعة ١ : ٢٤٤ .

(٨) الزركلي ، خير الدين : الاعلام (١ - ٨) . دار العلم للملايين - بيروت ،

١٩٧٩ م / ١ : ٢٠٩ .

كحالة ، عمر رضا ، معجم المؤلفين (١ - ١٥) . مكتبة المثنى - بغداد ، ودار احياء التراث العربي - بيروت ، د . ت / ٢ : ١٤٨ .

وانظر : Brockelmann , Carl : Geschichte Der Arabischen Litteratur . Brill , Leiden , 1937 – 1949 / 1 : 237 .

وانظر ايضاً : Sezgin 3 : 302 .

(٩) حاجي خليفة ١ : ٦٩٦ ؛ البابانى البغدادي : ٦١٦ .

(١٠) رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء (١ - ٤) . دار صادر - بيروت ، د . ت / الرسالتان السابعة والثامنة .

وانظر : Ronan , Colin A . : The Cambridag I ustraied History of the World's Science . Book Club Associates , London , 1983 / 234 .

(١١) ابن ابي اصيبعة ٢ : ٧٨ ؛ الزركلي ٤ : ١٩٢ ؛ كحالة ٦ : ٢٣٨ .

وانظر : Brockelmann : Supplement 1 : 885 – 886 .

(12) Sarton , George : Introduction to the History of Science . Robert E . Krieger (Pub) , Huntington , New York , 1975 / 2 (2) : 642 – 643 .

(١٣) انظر ترجمته في ابن خلكان ، احمد بن محمد بن ابي بكر : وفيات الاعيان انباء الزمان (١ - ٨) . تحقيق احسان عباس . دار الثقافة - بيروت ، ١٩٧٢ / ١ : ٢١٩ ؛ ابن شاكر الكتبي ، محمد : فوات الوفيات (١ - ٥) . تحقيق احسان عباس . دار صادر - بيروت ، ١٩٧٣ - ١٩٧٤ / ١ : ١٥ - ١٦ ؛ ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي : شذرات الذهب في اخبار من ذهب (١ - ٨) . المكتب التجاري - بيروت ، د . ت . / ٥ : ١٢١ - ١٢٢ ؛ الزركلي ٨ : ١٣١ ؛ كحالة ١٣ : ١٧٨ - ١٨٠ .

(14) Sarton

(15) Ibid

(١٦) الحموي ، ياقوت : معجم البلدان (١ - ٥) . دار صادر - بيروت ، ١٩٧٧ / ١ : ٤٣٨ .

(١٧) الجزي ، عزيز العلي : عجائب المخلوقات للقزويني ، دراسة في تراثنا العلمي . المورد ٦ (٤) : ٣١ - ٩١ . بغداد ١٩٧٧ ؛ الدهام ، نجم قمر - اسماك العراق والخليج العربي (١ - ٣) . مركز دراسات الخليج العربي - البصرة ، ١٩٧٧ - ١٩٨٤ / ١ : ٣٥١ - ٣٥٢ .

(١٨) الدهام ٢ : ١٤٨ - ١٩٣ .

(١٩) العزي ، عزيز العلي : اللبائن في حياة الحيوان للدميري ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ١٩٨٩ م / ظبي .

(٢٠) العزي ، عزيز العلي : الطير في حياة الحيوان للدميري . دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ١٩٨٦ م / نعام .

وانظر : Meinertzhagen , R . : Birds of Arabia , Oliver and Boyd , London , 1954 / 573 – 575 .

(٢١) الحموي ٢ : ٥١ - ٥٤ .

(٢٢) هو علي بن سهل بن الربان الطبري ، مؤلف كتاب « فردوس الحكمة » في الطب . اسلم على يد المعتصم . وتوفي سنة ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) . والربان لقب سرياني يعني الاستاذ ، اطلق على ابيه الفلكي (الزركلي ٤ : ٢٨٨ ، وقد ذكره باسم علي بن زين الطبري ؛ وهذا وهم من الزركلي رحمه الله) .

(٢٣) الحموي ٤ : ١٣ - ١٦ .

(٢٤) العزي ١٩٨٦ : ٢١٣ - ٢١٧ ، اللوس ، بشير : الطيور العراقية (١ - ٣) . بغداد ، ١٩٦٠ - ١٩٦٢ / ٣ : ٢٠٩ - ٢١٣ .

وانظر . Meinertzhagen : 306 – 307 .

(٢٥) الحموي ٥ : ٣٣٤ - ٣٣٩ .

(26) Berril , N . J . : Electric Fishes . In : The Illustrated Library of the Natural Sciences (1 – 4) . Simon and Schuster , New York , 1958 / 3 : 910 – 921 .

(٢٧) العزي ١٩٧٧ : ٥٦ - ٥٧ .

(٢٨) م . ن : ٦٧ ؛ العزي ١٩٨٦ : ٦٣ - ٦٥ .

وانظر : Meinertzhagen : 488 .

(٢٩) انظر ترجمته ومصنفاته عند ابن ابي اصيبعة ٣ : ٣٣٠ - ٣٥٠ ؛ ابن خلكان ٦ : ٧٦ - ٧٧ ؛ ابن شاكر الكتبي ٢ : ٣٨٥ - ٣٨٦ ؛ حاجي خليفة ١ : ٦٩٦ ؛ ابن العماد الحنبلي ٥ : ١٣٢ ؛ البابانى البغدادي ١ : ٦١٤ - ٦١٦ ؛ الزركلي ٤ : ٦١ ؛ كحالة ٦ : ١٥ - ١٦ ؛ السامرائي ، كمال : مختصر تاريخ الطب العربي (١ - ٢) . دائرة الشؤون الثقافية العامة - بغداد ، ١٩٨٤ - ١٩٨٥ / ٢ : ١٠٢ - ١١١ .

(30) Sarton 2 (2) : 599 – 600 .

(٣١) سلسلة التراث العربي ١٨ . وزارة الاعلام - الكويت ، ١٩٧٢ م .

(32) Sarton .

(٣٣) غليونجي وعبده : ٤٢ - ٤٤ .

(٣٤) م . ن .

(35 (sarton .

(36) White , Joseph (editor) : Abdollatiphi Historiae Aegypti Compendium . Arabic et Latine . Oxonii , 1800 / 74 – 76 .

وهو كتاب الافادة والاعتبار لعبد اللطيف البغدادي .

(٣٧) العزي ١٩٧٧ : ٦٠ .

(٣٨) المعلوف ، امين : معجم الحيوان . هدية المقتطف السنوية - القاهرة ، ١٩٣٢ م .

وانظر : Cambridge Natural History (1– 10) : Harmers , S . F . and Shiply , A . E . (editors) . Macmillan , London , 1895 – 1910 , 8 : 515 – 521 .

(٣٩) م . ن : ٨٧ .

(٤٠) البغدادي : ٧٦ - ٨٢ .

(41) Walker , Ernestp . , et al : Mammals of the world (1 – 2) . The Johns Hopkins Press , Baltimore , 1964 – 1968 / 2 : 1367 – 1369 .

(42) Ibid : 1370 .

(٤٣) البغدادي : ٨٤ .

(44) Cambridge Natural History8 : 378 – 388 ; Storer , T . I . and Usinger , R . L . : General Zoology . Mcgraw Hill and Kogakusha , Tokyo , 1965 / 60 – 603 .

(٤٥) البغدادي : ٨٦ .

(٤٦) ابن البيطار ، عبد الله بن احمد : الجامع لمفردات الادوية والاغذية (١ - ٤) . اوفسيت عن ط . بولاق - القاهرة ، ١٢٩١ هـ / ٢ : ٩٥ .

(٤٧) م . ن ٣ : ١٠٤ .

(٤٨) البغدادي : ٢٧٠ - ٢٧٦ ، يوجد بعض الامور يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار وهي جوهرية مثل اختلاف الجهاز الهضمي للانسان والحيوانات المجترة كالابقار والاغنام والماعز وكذلك وجود وسادة لحمية قوية في الفك السفلي لهذه الحيوانات في حين توجد اسنان في الفك العلوي والسفلي للانسان . ومما يؤكد

ماذهب اليه البغدادي والعلي في كون عظم الفك السفلي عظماً واحداً هو الحركة المتوازنة الواحدة في حالة الحركة والمضغ والكلام [المراجع] .

(٤٩) القزويني ، زكريا بن محمد: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات دار الافاق الجديدة - بيروت ، ١٩٧٨ / ٢٦ .

(٥٠) حاجي خليفة ٢ : ١١٢٧ .

(٥١) جَنَّابة : بلدة صغيرة من سواحل فارس ، بينها وبين الخليج العربي نحو ثلاثة اميال (الحموي ٢ : ١٦٥ - ١٦٦) .

(52) The Enydopaedia of Islam 4 : 865 – 867 . Brill , Leiden , 1978 .

(٥٣) سركيس ، يوسف اليان : معجم المطبوعات العربية والمعربة . مطبعة سركيس - القاهرة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م / ١٥٠٧ .

وانظر الزركلي ٣ : ٤٦ ؛ كحالة ٤ : ١٨٣ .

(54) Sarton 2 (2) : 868 – 870 .

(55) Encyc . Islam .

(56) Ronan : 233 .

(٥٧) انفردت دائرة المعارف الاسلامية (٤ : ٨٦٥ - ٨٦٧) بتحديد تاريخ وفاة ابن الوردي بعام ٨٦١ هـ ، في حين اجمعت المصادر الاخرى على ان وفاته كانت عام ٧٤٩ هـ . (حاجي خليفة ١ : ٧٠١ ؛ الباباني البغدادي ١ : ٧٨٩ - ٧٩٠ ؛ الزركلي ٥ : ٦٧) . فاما ان تكون دائرة المعارف الاسلامية قد اخطأت في تاريخ وفاته ، او ان هناك مؤلفاً آخر يعرف بابن الوردي ايضاً ، لم اعثر على ترجمة له فيما تيسر لي من مصادر .

(58) Encyc . Islam .

(٥٩) حاجي خليفة ٢ : ١١٢٧ ؛ الباباني البغدادي ١ : ٣٧٣ .

(60) Encyc . Islam .

(٦١) علوان ، محمد باقر : كتب عجائب المخلوقات في الادب العربي . المورد ٣ (٢) : ٢٣٥ - ٢٤٢ . وزارة الاعلام - بغداد ، ١٩٧٤ م .

(62) Sarton .

(٦٣) القزويني : ٥٧ .

(٦٤) م . ن : ٢٩ .

(65) Encyc . Islam .

(٦٦) العزي : مصادر القزويني في كتابه عجائب المخلوقات (دراسة غير منشورة) .

(٦٧) حاجي خليفة ٢ : ١٢٢٨ .

(68) Brockelmann 2 : 172 -- 173 .

انظر ترجمة الصفدي عند حاجي خليفة ١ : ٦٩٦ - ٦٩٧ ؛ كحالة ١٠ : ١٨٨ .

(٦٩) لم اعثر على ترجمة له فيما اطلعت عليه من مصادر .

(٧٠) انظر ترجمات الكتاب عند حاجي خليفة ٢ : ١٢٢٧ .

(71) Satorn .

(٧٢) مييلي ، الدو : العلم عند العرب واثره في تطور العلم العالمي . نقله الى العربية عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى . دار القلم - القاهرة ، ١٩٦٢ م / ٣٠٠ . وقد ذكره الباباني البغدادي (١ : ٥٦٨) باسمه الكامل وهو عبد الرشيد بن صالح بن نوري الباكوي ، له « تلخيص الاثار في عجائب الاقطار » ، ولم يذكر تاريخ وفاته .

(73) Encyc . Islam .

(74) Sarton . ; Encyc . islam

(75) sarton .

(٧٦) العزي ١٩٧٧ : ٣١ - ٩١ .

(٧٧) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات (ط ٣) . دار الافاق الجديدة - بيروت ، ١٩٧٨ م .

(٧٨) العزي : ملاحظات على الطبعة البيروتية من عجائب المخلوقات للقزويني . المورد ٩ (٣) : ٣٤٣ - ٣٥٦ . بغداد ، ١٩٨٠ م .

(٧٩) القزويني : ١٨٢ - ١٨٣ . (٨٠) م . ن ، هذه الجملة في الحقيقة تعني في يومنا هذا التوازن الطبيعي الموجود .. والتوازن او Homeostasis تعني محاولة البقاء ، او التوازن داخل الجسم او القدرة على التوازن او الثبات كما في حالة اجتماعية معينة او مجتمع .. ومن هذا فإن قدرة الكائنات الحية على التناسل والبقاء تعتمد فعالياتها على درجة فقدانها أو هلاكاتها .. وعلى هذا الاساس فان الوصف الذي جاء هنا دقيقاً وعلمياً وان تفسيره العلمي المعروف لدينا في الوقت الحاضر . [المراجع] .

(٨١) م . ن : ٣٣٩ ، ٤١١ .

(٨٢) م . ن : ٤٦٦ - ٤٦٧ . إن وجود مثل هذه الكائنات مهمة ايضاً للتوازن الطبيعي ... فلكل حشرة دور مهم .. ويوجد في الوقت الحاضر توجهاً لاستخدام مثل هذه الحشرات للقضاء على بعض الاوبئة او الحشرات الاخرى بطريقة المكافحة تسمى (المكافحة البايولوجية او الحيوية) وهي جزء من الحفاظ على البيئة خوفاً من استخدام المبيدات الحشرية الملوثة .. وقد تطورت هذه الطريقة بشكل فعال ويعتقد بان دورها سيكون اكثر اهمية خلال القرن القادم : [المراجع] .

(٨٣) م . ن : ١٨٨ .

(84) Storer and Usinger : 398 – 399 .

(٨٥) القزويني : ٤٦٩ - ٤٧٠ .

(٨٦) م . ن : ١٩٢ .

(87) Storer and Usinger : 440 – 442 .

(٨٨) القزويني : ١٧٩ .

اما ابو حامد ، فهو محمد بن عبد الرحمن بن سليمان الغرناطي الاندلسي : رحالة اندلسي مشهور ، قضى سنوات في بغداد ، وتوفي بدمشق سنة ٥٦٥ هـ (١١٦٩ م) . وذكر كحالة (١٠ : ١٣٥) انه توفي في حدود سنة ٥٥٨ هـ . من آثاره « المغرب في بعض عجائب المغرب » الذي رفعه الى الوزير يحيى بن هبيرة ، ويعرف هذا الكتاب ايضاً باسم « نخبة الاذهان في بعض عجائب البلدان » .

(89) Storer and Uisnger : 572 .

(٩٠) القزويني : ٤٧١ .

(91) Storer and Uisnger : 605 .

(٩٢) القزويني : ٤٥٨ - ٤٥٩ .

(٩٣) اللوس ١ : ٨٧ - ٩١ ؛ العزي ١٩٨٦ : ١٨٤ - ١٨٥ .

(٩٤) القزويني : ٤٣٨ .

(95) . Hatt , Robert T . The Mammals of Iraq . Misc . Pub . Mus . Zool . , University of Michigan , No . 106 , Ann Arbor , 1959 / 48 – 49 ; walker , et al 2 : 1279 .

(الأصوات النفسية) في العربية

د ـ علي زوين

كلية التربية ـ جامعة القادسية

■ التعريف بالنَّفَسيّة :

النفسية من الاصطلاحات اللغوية المحدثة المرتبطة بالمستوى الصوتي في التحليل اللغوي . وهي ترجمة للكلمة الانكليزية (ASPIRATION) . وقد تستخدم كلمة (الهوائية) أو (الهائية) مرادفة لها من حيث المدلول . ويرجع استخدام مصطلح (النفسية) في العربية منعاً للبس الذي تتضمنه كلمة (الهوائية) لانصرافها الى المعنى الذي أراده الخليل وأطلقه على أصوات المد الثلاثة في العربية (الألف والواو والياء) لأنه جعلهن (جوفاً)[١] لخروجهن من الجَوْف وهوائية لخروجهن مع النفس من غير عائق يعوق مجراها .

أما (الهائية) فالظاهر أنها لا تفيد المعنى المطلوب ولا تقيده بالمدلول المقصود لانصراف مضمونها الى صوت الهاء وهو ترجيح بلا مرجّح ، لان الصويت الذي يعقب بعض الاصوات قد يشبه الهاء إلّا أنه ليس هاءً وإنما هو نفخ أو شبيه بالنفخ ، ويكون من النفس الممتد مع الاصوات الانفجارية بعد فتح الانسداد في المخرج لتمكين الانفجاري المجهور من استكمال صفقية (الانفجار والجهر) ، على أنّ (النفسية) لا تقتصر على الأصوات الانفجارية المجهورة حسب بل تشتمل أيضاً علىٰ عدد من الاصوات الانفجارية المهموسة ، ولذلك كله يفضل استخدام مصطلح (النفسية) بدلًا من (الهوائية) أو (الهائية) وإن كان الرمز المشير الى هذه الظاهرة عند بعض اللغويين[٢] هو وضع الصوت (h) عقب الصوت النفسي . ولا يصح من حيث إرادة الترجمة أن نجعل (h) هذه هاءً وإنما هي مشيرة الى ظاهرة صوتية تشبه الهاء حينًا وتختلف عنها حينًا آخر الى ما يشبه النفخ . والنفسية في المفهوم اللغوي الحديث : « إحداث صوت يشبه الهاء مصاحباً لصوت آخر »[٣] . وتنشأ هذه الظاهرة الصوتية نتيجة لاقتراب الوترين الصوتيين وزيادة دفع الهواء الخارج عبر تجويف الفم وتضييق مجراه فينطلق الصوت بقوة مصحوبة بتيار نفسي . ويمثل للأصوات النفسية في اللغة الانكليزية ـ غالبًا ـ بأصوات (t) و (p) و (k) إذا وقعت في أول الكلمة ، نحو : (tin) و (pin) و (kin) . وهذه الأصوات انفجارية مهموسة ، وشرط نفسيتها ألا تقع بعد الصوت (s) في نحو : (Stin) و (Spin) و (Skin) . والإشارة المستخدمة عند الغربيين الى كون الصوت نفسيًا هي هكذا ('t) أو('p) ـ مثلا ـ ... الخ[٤] .

وفي العربية أمثلة ونظائر لأصوات نفسية ، منها : الباء والجيم والدال والطاء والقاف ، إذا جيء بها ساكنة أو موقوفًا عليها نحو : (اذهبْ) و (اخرجْ) ... الخ .

الاصوات النَّفَسيّة عند اللغويين العرب المتقدمين :

تنبّه اللغويون العرب الى أن بعض الأصوات في العربية يعقبها نفس أو نفخ أو شبه نفخ إذا كانت ساكنة أو موقوفاً عليها . خصوا بالذكر منها اصواتا اصطلحوا عليها بـ(حروف القلقلة) وقد تسمى بـ(اللقلقة)[٥] .

وظاهر العبارة يفيد أن القلقلة من الحركة ، وكان هذه الأصوات تقلقلت أي تحركت عن مواضعها حين إرادة النطق بها ساكنة .

وذكر ابن الجزري[٦] أن المتاخرين من اللغويين ظنوا أن القلقلة حركة ، ونقل قول الخليل أن القلقلة شدة الصياح والقلقلة شدة الصوت ، فانهم بعبارته أن القلقلة عنده شدة الصوت . وليس الأمر كما ذكر ابن الجزري فقد ورد عند بعض المتقدمين ما يفيد أن القلقلة تحرك الاصوات عن مواضعها كما سنلاحظ ، وليس أدل على ذلك من عبارة المبرد يصف حروف القلقلة بأنها « تسمع في الوقف عندها نبرة بعدها » لأنها « ضغطت عن مواضعها » وعبارة ابن جني واصفاً إياها بأنها « تحَفَّز في الوقف وتضغط عن مواضعها » ؛ فالنبرة والحفز والضغط أسباب للحركة .

والمتعارف عند جمهور اللغويين أن أصوات القلقلة خمسة وهي : الباء والجيم والدال والطاء والقاف . يجمعها قولك (قطب جد) . ووصفت هذه الأصوات بأنها شديدة (أي انفجارية) مجهورة[٧] . واستبعدت الهمزة على الرغم من أن اللغويين وصفوها بأنها شديدة مجهورة لما ذكروه من التخفيف العارض لها « حالة السكون ففارقت أخواتها ولما يعتريها من الإعلال » . ولم يمنع هذا التعليل عدداً من اللغويين من إلحاق الهمزة بأصوات القلقلة . وألحق سيبويه بها التاء وجعل لها نفخاً[٨] ، كما ذكر المبرد منها الكاف إلا أنه عدّها دون القاف « لأن حصر القاف أشد »[٩] .

وتناول اللغويين العرب ظاهرة النفسية بالتحليل الصوتي ، وذهبوا الى أن هذه الظاهرة تقترن بالسكون أو بالوقف . واختلفت عباراتهم في وصف الصوت اللاحق بالصوت النفسي ؛ فوصفه المبرد بأنه (نبرة) للضغط العارض له عن موضعه . والنبرة شدة الصوت . قال : « ومنها حروف تسمع في الوقف عندها نبرة بعدها وهي حروف القلقلة ، وذلك لانها ضغطت عن مواضعها »[١٠] . وقال في موضع آخر : « واعلم أن من الحروف حروفاً محصورة في مواضعها فتسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه وهي حروف القلقلة وإذا تفقدت ذلك وجدته »[١١] .

ونستنتج من هذين النصين أن الحَصْر يعني حصر الهواء ، والوقف يعني الوقف على الصوت ساكناً . والحصر إنما يكون في حال الوقف وليس في حال الوصل أو الدرج لانك تخرج اللسان عنها الى

وذكر الرضي ستة من الحروف لا يصحبها في الوقف صوت كما في القلقلة ولا نفخ كما في المهموسة ولا شبه نفخ كما في الحروف الاربعة (ظ ذ ض ز) ، وهي : اللام والنون والميم والعين والغين والهمزة . وبيّن الأسباب الموجبة لذلك في قوله : « أما عدم الصوت فلأنه لم يتصعد من الصدر صوت يحتاج الى إخراجه وأيضاً لم يحصل ضغط تام .

وأما عدم النفخ فلأن اللام والنون لا يجدان منفذاً كما وجدت الحروف الاربعة بين الاسنان وذلك لانهما ارتفعتا عن الثنايا ، وكذلك الميم لانك تضم الشفتين بها ، وأما العين والغين والهمزة فانك لو أردت النفخ من مواضعها لم يمكن .. » .

وهذه الاصوات الستة التي ذكرها الرضي مجهورة كلها بحسب وصف المتقدمين لها ، ولذلك لم تخرج عن القيد الذي وضعه للحروف المهموسة وأن لها نفخاً ، أما صفاتها من حيث الشدة والرخاوة والتوسط ، فالهمزة عند اللغويين المتقدمين شديدة (انفجارية) ، والغين رخوة (احتكاكية) ، وكل من اللام والميم والنون والعين متوسطة بين الشديدة والرخوة .

واتفق الرضي مع من تقدمه على أن حصول الصوت أو النفخ أو شبهه مقرون بالوقف على هذه الأصوات ولا يحصل شيء من ذلك في الوصل .

وخلاصة ما أفاده أنه قسم الحروف الى أربعة أقسام :

- حروف يصحبها صوت ، وهي حروف القلقلة .
- حروف يصحبها نفخ ، وهي المهموسة كلها .
- حروف يصحبها شبه النفخ ، وهي الظاء والذال والضاد والزاي .
- حروف لا يصحبها صوت ولا نفخ ولا شبه نفخ ، وهي : اللام والنون والميم والعين والغين والهمزة .

■ (النَّفَسيّة) في ضوء علم اللغة الحديث

ترتبط ظاهرة النفسية في التحليل الصوتي بأمور أهمها الانفجار والجهر اللذان يصحبان بعض الأصوات حال النطق . ولذلك توصف هذه الأصوات بأنها (انفجارية) أو (انسدادية) أو (وقفية)[٢٠] . وخلافها الأصوات (الرخوة) أو (الاحتكاكية) أو (الانسيابية) ؛ على أن مصطلحي الانفجارية والاحتكاكية من أكثر المصطلحات استعمالاً في كتب علم اللغة الحديث ولا سيما المؤلفات باللغة بالعربية . أما من حيث الجهر والهمس فتوصف الاصوات على أنها (مجهوزة) أو (مهموسة) . وظاهرة الانفجار التي توصف بها الأصوات مرتبطة بمجرى الهواء الخارج من الرئتين فاذا ما حبس هذا المجرى في موضع من المواضع نتج عن هذا الحبس ان يضغط الهواء في موضعه ثم يطلق فجأة فيندفع محدثاً صوتاً انفجارياً[٢١] . ولكي تحصل هذه الظاهرة لا بد للصوت أن يجتاز ثلاث خطوات كما ذكر فندريس[٢٢] : الإغلاق أو الحبس ، ثم الإمساك الذي يكون طويل المدى أو قصيره ، ثم الفتح أو الانفجار . وقد تطول مدة الامساك أو تقصر تبعاً لعنصر الانغلاق أو الحبس ؛ فالمجموعة الصوتية(atta) مثلاً تختلف عن المجموعة الصوتية(ata) لوجود الفارق الزمني بين الحبس والانفجار . ونلاحظ أن مدة الانغلاق في المجموعة الأولى أطول منها في المجموعة الثانية ، ولذلك تبدو المراحل الثلاث التي ذكرها فندريس في المجموعة الأولى أوضح منها في المجموعة الثانية لأن العنصر الانفجاري في(ata)يتبع العنصر الانحباسي مباشرة في حين يتأخر العنصر الانفجاري في(atta) بإمساك يطيل مدى الإغلاق . ونستنتج مما تقدم أن الأصوات الانفجارية يختلف بعضها عن بعض من حيث مدة الانغلاق والحبس ، وكلما طالت المدة كان الصوت أكثر انفجاراً من غيره .

أما صفة الجهر في الأصوات فمرجعها الى اهتزاز الوترين الصوتيين أو عدمه ؛ فالأصوات المصحوبة بذبذبة الوترين الصوتيين تدعى بالأصوات المجهورة خلافاً للأصوات المهموسة التي لا يصحبها مثل هذه الذبذبة[٢٣] .

و (حروف القلقلة) كما اصطلح عليها المتقدمون هي من أكثر الاصوات اللغوية إظهاراً للنفسية ولذلك ينبغي أن نقف عندها لنتأمل بعض أوجه الخلاف الوصفي بين المتقدمين والمحدثين وقد تقدم أن اللغويين العرب وصفوا هذه الأصوات بأنها شديدة ولا يختلف عنهم المحدثون إلا في الجيم حيث وصفت في الفصحى المعاصرة بأنها ليست انفجارية[٢٤] .

والخلاف بين الطرفين كائن في وصف هذه الأصوات بالجهر ، والظاهر أن منشأ الخلاف هو اختلاف النطق بالصوت بين القديم والحديث ووصف الباحثين للأصوات بحسب نطقها المعاصر في الفصحى المتداولة ؛ فقد وصفوا القاف والطاء على أنهما صوتان مهموسان[٢٥] كما ينطقان في الفصحى المعاصرة خلافاً لوصف اللغويين العرب لهما بكونهما صوتين مجهورين .

واختلف المحدثون مع المتقدمين في الهمزة من حيث وصفها بالجهر ؛ فقد وصفها اللغويين العرب لهما بأنها صوت مجهور ولكن الشائع عند معظم الباحثين المحدثين هو أنها صوت ليس بالمجهور ولا بالمهموس[٢٦] .

وذكرنا فيما تقدم أن سيبويه جعل للتاء نفخاً ، كما جعل المبرد للكاف نفخاً . والصوتان ليسا من حروف القلقلة التي اصطلح عليها اللغويون العرب . ونجد في وصف المحدثين لهذين الصوتين بحسب نطقهما المعاصر في الفصحى ما يؤيد زعم سيبويه والمبرد ، فالتاء وصفت عند اللغويين بأنها صوت اسناني لثوي انفجاري مهموس مرقق[٢٧] ، وقد يصحبها شيء من الجهر وبخاصة إذا وليها صوت مجهور كقولك : (انعت داود) اذ تنطق (انعد داود)[٢٨] ، وهذا من قبيل المماثلة الصوتية فقد أثرت الدال المجاورة للتاء عليها فصار نطق التاء أقرب الى الدال فشابها شيء من الجهر لأن الدال مجهورة ، وربما ظهر أثر النفخ فيها والحال هذه لميلها الى الجهر مع كونها من الأصوات الانفجارية وقد تعقبها نفخة بسيطة إذا جاءت بعد كسرة طويلة كما في (تين) و (عتيـق)[٢٩] .

ووصفت الكاف في العربية المعاصرة بأنها صوت طبقي انفجاري مهموس مرقّق . وتصحبها نفخة خفيفة إذا جاءت بعدها

صوت آخر .

وذهب المبرد الى أن بعض هذه الاصوات أشد حصراً من بعض وعدّ القاف أصلًا لها (لشدّة استعلائه) غير أنه لم يقتصر على حروف القلقلة الخمسة بل ادخل الكاف معها كما تقدم ذكره ، وعلّل للظاهرة بكون الوقف على مثل هذه الأصوات يعرضهن الى ضعف في النطق لا يمكنهنّ من تحقيق مخارجهنّ وصفاتهن تحقيقاً واضحاً وهي صفة الشدّة (الانفجار) وصفة الجهر . وذكر ابن الجزري هذا المعنى للمبرد قائلا : « .. وهذه القلقلة بعضها أشد من بعض ، وسميت هذه الحروف بذلك لانها إذا سكنّت ضعفت فاشتبهت بغيرها فيحتاج الى ظهور صوت يشبه النبرة حال سكونهنّ في الوقف .... »[١٢] .

وجعل ابن جني حروف القلقلة قسماً من الحروف المُشْرَبة ، ووصفها بأنها « تُحْفَزُ في الوقف وتضغط عن مواضعها » و « لا تستطيع الوقف عليها إلا بصوت وذلك لشدة الحفز والضغط »[١٣] . والظاهر أنه اصطلح عليها بالمُشْرَبة لهذا المعنى الذي ذكره من أنك لا تستطيع الوقف عليها إلا بصوت[١٤] . أما شدة الحفز والضغط فينصرف الى انحصار الهواء في مخارجها مع ما يصاحبه من صفة الجهر . وأشار الى أصوات أخرى مشربة أقل ضغطاً من الأولى « .. يخرج معها عند الوقف عليها نحو النفخ »[١٥] ، وعدّ من هذا القبيل الزاي والظاء والذال والضاد والراء التي ذكرها بعبارة : « الراء شبيهة بالضاد » وربما أفادت عبارته معنى التكرير في الراء لانه ذكرها قبل حروف القلقلة فقال[١٦] : « إنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير » ، وهي شبيهة بالضاد من حيث نفاذ الهواء ، فالضاد تسمع لها نفخاً حين النطق بها لاحتكاك الهواء بين جانب اللسان وما يليه من الاضراس مع ضيق في مجراه ، كذلك الراء تسمع لها نفخاً حال الوقف مع ما يعتورها من تكرير .

وخلاصة ما أفاده ابن جني أنه جعل المُشْرَبة قسمين : الأول : أصوات القلقلة وتتصف بشدة الحفز والضغط ، وكلها شديدة (انفجارية) بحسب وصفه لها ، وهذه يعقبها صوت حين الوقف عليها . والثاني : أصوات أقل ضغطاً وهي الزاي والظاء والذال والضاد ، وكلها رخوة (احتكاكية) بحسب وصفه لها . أما الراء فوصفها بأنها مكررة وهي عنده بين الشديدة والرخوة ، وهذه الأصوات لا يعقبها صويت بل نفخ . وبذلك فرق ابن جني بين الصوت والنفخ اللذين يعقبان المُشْرَبة وكأن الصوت أو الصويت يحصل حين يكون الضغط شديداً خلافاً للنفخ الذي يحصل حين يكون الضغط أقل شدة .

وعَدّ ابن عصفور أصوات القلقلة التي سماها (المتقلقلة) قسيماً للمُشرَبة وليست قسماً منها ؛ فالمتقلقلة عنده القاف والجيم والطاء والدال والباء ، وقال إنها « تضغط عن مواضعها وتحفز في الوقف فلا تستطيع الوقف عليها إلابصوت ... »[١٧] . وأما المُشْرَبة فهي الزاي والظاء والذال والضاد والراء . وعرّف المُشْرَبة فهي الزاي والظاء والذال والضاد والراء . وعرّف المُشْرَب بأنه « حرف يخرج معه عند الوقف عليه نحو النفخ إلا أنه لم يضغط ضغط المقلقل »[١٨] . وذكر ما تقدم بيانه من أن الوقف على مثل هذه الأصوات يستدعي إخراج صوت أو نفخ بخلاف الدرج والوصل . ويكون ابن عصفور بذلك قد تابع ابن جني وغيره من اللغويين إلا في فصله بين المشربة والمتقلقلة .

ويحث الرضي في ظاهرة النفسية على نحو أكثر تفصيلًا وتقسيماً ، فقد اتفق مع من تقدمه على كون أصوات القلقلة هي حروف (قطب جد) وعلل لتسميتها بمصاحبة ضغط اللسان في مخرجها حبن النطق بها وقفاً مع شدة الصوت المتصعد من الصدر ، و « هذا الضغط التام يمنع خروج ذلك الصوت فاذا أردت بيانها للمخاطب احتجت الى قلقلة اللسان وتحريكه عن موضعه حتى يخرج صوتها فيسمع »[١٩] .

وتعليل الرضي لهذه الظاهرة يمتاز بالدقة فقد عدّ الصوت الذي يعقب (حروف القلقلة) حين الوقف عليها نتيجة لامرين : ضغط اللسان في المخرج ، وشدة الصوت المتصعد من الصدر ، ولكن يستدرك عليه عبارة : (ضغط اللسان) ؛ فهي عبارة يفهم منها أن للسان عملًا في تكّون هذه الاصوات جميعها ، وهو أمر يصح على أربعة منها حسب ، وهي القاف والطاء والجيم والدال ، أما الباء فلا يلحظ للسان أثر ظاهر في نطقه . وربما خَرجنا عبارة الرضي على أنه أراد (بضغط اللسان) ضغط الهواء المندفع بدليل أنه قال بعد عبارته هذه : « ... وشدة الصوت المتصعد من الصدر » ، وإن كنت أميل الى أنه قصد (بضغط اللسان) اللسان على حقيقته من باب التغليب لانه صحّ على أربعة منها سوى الباء .

وجعل الرضي للحروف المهموسة كلها نفخاً حين الوقف عليها « لانه يجرين مع النفس» ، واختلف بذلك مع من تقدمه . والأصوات المهموسة عند اللغويين العرب عشرة يجمعها قولك : (ستشحثك خصفه) كما هو معروف ، منها صوتان وصفا بأنهما شديدان (انفجاريان) وهما التاء والكاف ، وما بقي منها وصفت على أنها رخوة (احتكاكية) .

وعدّ الضاد والذال والظاء والزاي من الاصوات التي يعقبها مثل النفخة حين الوقف عليها . ولم يذكر من بينها الراء كما ذكرها ابن جني وتبعه ابن عصفور . والنفخ عنده أو شبه النفخ ألاتضغط هذه الاصوات من مواضعها ضغط حروف القلقلة ، وأن تجد لها منفذاً لاحتكاك الهواء من مواضعها ؛ فالضاد تجده من بين الاضراس ، وأما الظاء والذال والزاي فتجد المنفذ من بين الثنايا .

ويستدرك عليه في هذا التعليل جعله التاء والكاف المهموستين من الاصوات التي يعقبها نفخ لانه أطلق العبارة في هذا المقام على الحروف المهموسة كلها ، وقد تقدم أن التاء والكاف وصفت بأنهما حرفان شديدان (انفجاريان) خلافاً للحروف المهموسة الاخرى التي وصفها اللغويون العرب بأنها رخوة . والصوت الشديد ينغلق معه مجرى الهواء في مخرجه ، وربما لاحظ سيبويه ذلك في التاء فعدّها من الحروف التي يسمع لها نفخ حين الوقف عليها ، كما عَدّ المبرد الكاف من هذا القبيل ، وقد تقدم القول في هذه المسألة .

عليها في أواخر الكلم ، وهو ما يدعى (بالقلقلة الكبرى) إلا أن بعض المتأخرين من علماء القراءات قد أشار الى ما يسمى بالقلقلة الصغرى وهي التي تعقب الصوت في أواسط الكلم ، ولا يعني ذلك أن يكون الصوت متبوعاً بحركة قصيرة أو طويلة بل المراد سكون الصوت أي أن يكون الصامت ساكناً غير متبوع بحركة . ويمكن القول بأن النفسّية لا تظهر في الأصوات العربية إلا في حالتي السكون والوقف . أما الوقف ففي اواخر الكلمة ، وأما السكون ففي أواسطها أو في أواخرها .

٣ ـ بيّن اللغويون العرب ولاسيما المتأخرين منهم أن النفخ الذي يتبع الأصوات النفسية يختلف من حيث قوته ووضوحه في السمع تبعاً لمقدار ضغط الأصوات من مواضعها .

وقد ميّزوا بين ثلاثة من الظواهر النفسية التي تلحق الأصوات :

أ ـ صويت : وهو يعقب الصوت إذا كان مقدار ضغط الصوت من موضعه شديداً .

ب نفخ : ـ وهو يعقب الصوت إذا كان مقدار ضغط الصوت من موضعه أقل شدة من الأول .

ج ـ ما يشبه النفخ : وهو يعقب الصوت إذا كان مقدار ضغط الصوت من موضعه أقل شدة من الموضعين المذكورين آنفاً .

■الهوامش■

(١) انظر : مقدمة العين بتحقيق المخزومي والسامرائي .

(٢) انظر : السعران ، علم اللغة ـ مثلا ـ .

(٣) معجم علم اللغة النظري : ص ٢٤ .

(٤) انظر : معجم علم اللغة النظري : ص ٢٤ .

(٥) ابن الجزري : النشر ١ / ٢٠٣ .

(٦) النشر : ١/٢٠٣ .

(٧) انظر : سر صناعة الإعراب ١ / ٦٩ ، والممتع ٢ / ٦٧١ ، ٦٧٢ .

(٨) النشر : ١ / ٢٠٣ .

(٩) المقتضب : ١ / ١٩٦ .

(١٠) المقتضب : ١ / ١٩٦ .

(١١) المقتضب : ١ / ١٩٦ .

(١٢) النشر : ١ / ٢٠٣ . وتتمة الكلام : « ... في الوقف وغيره والى زيادة إتمام النطق بهنّ فذلك الصوت في سكونهن أبين منه في حركتهن وهو في الوقف أمكن » . ويستدرك علي ابن الجزري في هذا النص أمور ، منها ذكره النص بما يوهم أنه نقل لكلام المبرد كما هو وليس الأمر كذلك ، والإشارة الى أن القلقلة قد تعرض في الحركة إلا أنها في الوقف أمكن ونسبة ذلك الى المبرد ، وعبارة المبرد في هذه المقولة واضحة فقد نصّ على أن هذه النبرة تظهر في الوقف « فإن وصلت لم يكن لانك أخرجت اللسان عنها الى صوت آخر فحلت بينه وبين الاستقرار » . انظر : المقتضب ١ / ١٩٦ .

(١٣) سر صناعة الإعراب : ١ / ٧٣ .

(١٤) حسام النعيمي : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣٢٢ .

(١٥) سر صناعة الإعراب : ١ / ٧٣ .

(١٦) انظر : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣٢٠ .

(١٧) الممتع : ٢ / ٦٧٥ .

(١٨) الممتع : ٢ / ٦٧٦ .

(١٩) انظر في هذا الموضع وما يليه : شرح الشافية ٣ / ٢٦٣ .

(٢٠) انظر : ماريو باي : اسس علم اللغة ص ٨٢ .

(٢١) انظر : محمود السعران : علم اللغة ص ١٥٣ ، وكمال بشر : علم اللغة العام (الأصوات) ص ١٠٠ .

(٢٢) اللغة : ٤٨ .

(٢٣) انظر : اسس علم اللغة ص ٨٢ .

(٢٤) انظر : السعران : علم اللغة ص ١٥٣ . وبشر : علم اللغة العام (الأصوات) ص ١٠٠ ، ١٠١ . ووصف كمال بشر الجيم كما تنطق في الفصحى المعاصرة بانها صوت انفجاري ـ احتكاكي ، أي مركب بين الشديد والرخو بحسب اصطلاح اللغويين العرب .

(٢٥) انظر : السعران : علم اللغة ص ١٦٠ ، وبشر : علم اللغة العام (الأصوات) ١٠٢ ، ١١٧ .

(٢٦) انظر ابراهيم أنيس : في اللهجات العربية ص ١٧٧ ، وعلم اللغة العام (الأصوات) ص ٨٨ .

(٢٧) تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ص ١٢٣ ، وعلم اللغة العام (الأصوات) ص ١٢٣ .

(٢٨) علم اللغة العام (الاصوات) ص ١٠١ .

(٢٩) مناهج البحث في اللغة : ص ١٢٣ .

(٣٠) مناهج البحث في اللغة : ١٢٤ .

(٣١) انظر : السعران : علم اللغة ص ١٥٧ ، ١٦٠ . وعلم اللغة العام (الأصوات) ص ١١٦ .

(٣٢) انظر : فندريس : اللغة ص ٥٨ .

(٣٣) السعران : علم اللغة ص ١٦٠ .

(٣٤) علم اللغة : ١٦٢ .

(٣٥) جان كانتينو : دروس في علم أصوات العربية ص ٣٨ نقلًا من كتاب الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣٢٢ .

(٣٦) النشر : ١/ ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

■المصادر والمراجع■

١ ـ أسس علم اللغة ـ ماريو باي ـ ترجمة أحمد مختار عمر ـ طرابلس ١٩٧٣ .

٢ ـ الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ـ حسام النعيمي ـ بغداد ١٩٨٠ .

٣ ـ سر صناعة الإعراب : ابن جني ـ تحقيق مصطفى السقا وآخرين ـ القاهرة ١٩٥٤ .

٤ ـ شرح شافية أبن الحاجب ـ الرضي ـ تحقيق محمد نور الحسن وأخرين ـ القاهرة ١٣٥٦ هـ ـ ١٣٥٨ هـ .

٥ ـ علم اللغة (مقدمة للقارىء العربي) ـ محمود السعران ـ بيروت د ت .

٦ ـ علم اللغة العام (الاصوات) ـ كمال محمد بشر ـ القاهرة ١٩٧٣ .

٧ ـ اللغة ـ ج . فندريس ـ تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ـ القاهرة ١٩٥٠ .

٨ ـ معجم علم اللغة النظري ـ محمد علي الخولي ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ١٩٨٢ .

٩ ـ المقتضب ـ المبرد ـ تحقيق عبد الخالق عظيمة ـ القاهرة ١٩٦٣ .

١٠ ـ الممتع في التصريف ـ ابن عصفور ـ تحقيق فخرالدين قباوة ـ حلب ١٩٧٠ .

١١ ـ مناهج البحث في اللغة ـ تمام حسان ـ المغرب ١٩٧٩ .

١٢ ـ النشر في القراءات العشر ـ ابن الجزري ـ تصحيح علي محمد الضباع ـ القاهرة .

كسرة طويلة كقولك : (تاكيد)[٣٠] .

ونستنتج مما تقدم أن النفسية لا تقتصر عند اللغويين المحدثين على الأصوات الانفجارية المجهورة حسب ولكنها قد تحصل في أصوات غير مجهورة . وهذا الرأي هو ما نص عليه اللغويون العرب ولا سيما ابن جني والرضي .

وتختلف الأصوات من حيث ظاهرة الانفجار ، فبعضها أكثر انفجارية من غيره ،كما تختلف من حيث الهمس ؛ فبعضها يشوبه الجهر في سياق معين .

ويكاد يتفق المحدثون من علماء اللغة مع اللغويين العرب المتقدمين على الأسباب الموجبة للنفسية[٣١] . ولما كانت هذه الظاهرة في الأصوات الانفجارية المجهورة أكثر وضوحاً من غيرها فالتعليل الصوتي المقبول لذلك هو كون الأصوات الانفجارية المجهورة تحتاج الى جهد عضلي أكبر[٣٢] ، وبخاصة حين الوقف عليها لانسداد مجرى الهواء في موضع الانغلاق وعدم جريان النفس معها لأنها مجهورة ومن ثم وجب اتباعها بصويت لينقلها من حال الوقف والسكون الى شبه الحركة ، وبذلك يتحقق فيها صفتا الانفجار والجهر .

هذا ما يخص الانفجارية المجهورة ، وأما الانفجارية المهموسة كالقاف والطاء فلا تحتاج الى جهد عضلي كبير كالذي تحتاجه الانفجارية المجهورة ، ولذلك يعقب بعضها نفخ بسيط دون الصويت كالكاف والتاء .

والظاهر أن اللغويين العرب حين أشترطو الوقف على مثل هذه الأصوات ليعقبها صويت أو نفخ أو شبهه لا حظوا تمكين الصوت من النطق به نطقاً واضحاً بهذا الصويت أو النفخ ، والظاهر أيضاً أن اللغويين العرب فطنوا[٣٣] الى أن مثل هذه الأصوات قد يعقبها صائت قصير (=فتحة ـ مثلاً) أو طويل (= ألف ـ مثلاً ـ) نحو : (تا) ،و(با) ،و(طا) ، ولذلك اشترطو الوقف على هذه الأصوات لتمكينها من النطق بصويت يعقبها أو شبه نفخ ، لانه إذا وليها صائت قصير أو طويل حلّ محل الصويت أو النفخ فلا حاجة للصوت أن يستعين بهما لأن الصائت يفي بالغرض المطلوب ويمكّن الصويت من النطق الواضح الجلي .

وللمرحوم الدكتور محمود السعران رأي في الصويت الذي يعقب ما يسمى بـ(حروف القلقلة) عند اللغويين العرب ، ومفاده أن هذا (الصويت) غير مهموس أي ليس نفسياً وإنما يشبّه بالحركة أو بالصائت القصير ، ووصفه بأنه « صوت صائت مركزي ضعيف »[٣٤] . ونحن لا نوافق الدكتور السعران في رأيه هذا على جلالة قدره وتضلعه من العلوم اللغوية الحديثة ، وذلك لأسباب أهمها أن اللغويين العرب ولا سيما ابن جني والرضي من المتأخرين فرقوا بين الصويت الذي يعقب حروف القلقلة وبين النفخ أو شبهه الذي يعقب غيرها وبخاصة المهموسة كلها على رأي الرضي . وهذا التفريق نتيجة لما لاحظوه من الجهد العضلي في نطق هذه الأصوات ، وقد عبّروا عن ذلك بما يفهم فحواه من عبارات نحو :

(الضغط من موضعه) و (الحفز) و(الحصر) وما أشبه .

وجعلوا للأصوات الانفجارية المجهورة صوتياً يعقبها حين السكون أو الوقوف عليها لما تحتاجه من جهد عضلي أكثر ، في حين جعلوا للأصوات الانفجارية المهموسة نفخاً أو شبهاً لأنها تحتاج الى جهد عضلي أقل مما تحتاج إليه الانفجارية المجهورة . وهذا بيّنٌ في التفريق ولا يمكن أن يبلغ الصويت أو النفخ أو شبه مبلغ الصائت مهما كان ضعيفاً ؛ فالفتحة ـ مثلًا ـ وهي من الصوائت في العربية يمكن أن تكون قصيرة وهي الفتحة المألوفة في النطق وتوصف بأنها متوسطة من حيث الاشباع . ويمكن أن تكون طويلة فتستحيل ألفاً إذا أشبعت في النطق ، كما يمكن أن تكون دون المتوسطة المألوفة أو بين القصيرة والطويلة ... وهكذا . وقد لاحظ علماء القراءات مثل هذه الاختلاسات في الحركة فيما اصطلحو عليه بالروم والاشمام حال الوقف ، ولا توصف الفتحة أو الكسرة في الاحوال كلها إلا كونها صوائت مهما كانت درجة الاشباع المعتمدة في نطقها .

ومن المرجح أن الصويت أو النفخ أو شبه نَفَسٌ يعقب الأصوات الانفجارية مجهورة كانت أو مهموسة ، وهذا النفس متصل بمجرى الهواء المندفع ولا يعدو كونه تتمه لتمكين الصوت من النطق .

وأشار بعض الباحثين في العربية من المستشرقين[٣٥] الى ما سمي (بالقلقلة الكبرى) و (القلقلة الصغرى) ويقصد بالكبرى : القلقلة التي تصحب الصوت حين الوقف عليه في آخر الكلمة ، وأما الصغرى فهي القلقلة التي تصحب الصوت إذا وقع في وسط الكلمة ساكناً ، وكأن في هذا التفريق استدراكاً على المتقدمين من اللغويين العرب كابن جني في أنهم لم يذكروا ما عبّر عنه بالقلقلة الصغرى .

وقد لاحظنا أن معظم اللغويين العرب انصب اهتمامهم على القلقلة في أواخر الكلم لأن أواخرها تستدعي الوقف ، غير أن ابن الجزري نقل نصاً عن أبي الحسن شريح من كتابه الموسوم بـ(نهاية الاتقان في تجويد القرآن) يفهم منه بوضوح تفريق اللغويين المتأخرين وقراء القرآن الكريم بين نوعين من القلقلة : إحداها تحصل للصوت في وسط الكلمة ، والأخرى تحصل للصوت في آخر الكلمة . قال أبو الحسن شريح لما ذكر أحرف القلقلة الخمسة : « ... وهي متوسطة كباء الأبْواب وجيم النَّجْدين ودال مَدْدنا وقاف خَلَقْنا وطاء لا تشطط : فالقلقلة هنا أبين في الوقف في المتطرفة من المتوسطة »[٣٦] .

خلاصة لاهم النتائج :

١ ـ بحث اللغويون العرب في الأصوات التي يصطلح عليها في علم اللغة الحديث (بالأصوات النفسية) من خلال ما اصطلحوا عليه بحروف (القلقلة) ، وهي القاف والطاء والباء والجيم والدال . وتناولوا بالبحث أيضاً أصواتاً أخرى غير حروف القلقلة ظهرت عليها علامات النفسية كالتاء والكاف والزاي والظاء والذال والضاد .

٢ ـ انصب اهتمام اللغويين العرب على الأصوات التي تصحبها الظاهرة المذكورة آنفاً حينما تكون ساكنة أو موقوفاً

الحكمة

في شعر علي الشرقي

د. ناجي التكريتي

كلية الآداب - جامعة بغداد

الشاعر الشيخ علي الشرقي ، من شعرائنا الاوائل المبدعين في هذا القرن . شعره يزخر بالوطنية الجياشة ، ويتدفق بالشعور القومي الأصيل . والصور الشاعرية ، والكلمات الرقيقة ، والتدفق المرهف ، صفات واضحة ودائمة في شعر الشاعر .

مهمتي ستقتصر على اظهار الجانب التأملي في شعر الشاعر ، وهو ما نطلق عليه شعر الحكمة ، او نذهب الى أبعد من هذا ، فنسميه : الشعر الفلسفي . آمل ان أنجح في القاء الضوء ، على ما جاء في شعره من حكمة .

اني اتساءل اولاً ، هل تفلسف شاعرنا في شعره ، وهل كان يتمثل الحكمة ؟ لا شك انه قد درس مع الشعر وادوات اللغة ، كتب الفلسفة وعلم الكلام والادب ، وما يقود الى الحكمة من كتب دينية وكتب التاريخ والاخبار .

يقول ارسطو ان التفلسف مبعثه الدهشة ، وذلك بان يتعجب الانسان من حالة معينة او حالات ، سواء كان مبعث ذلك التعجب الانسان او الكون . بعد ذلك اقول ، رُبّ انسان يدهش من حالة معينة طارئة ، ويتساءل ويتوقف عند هذا الحد ، بينما يتبع الفيلسوف اسلوباً في التفكير ، لكي يجيب عن ذلك التساؤل .

نحن نعلم ان الشاعر كان في العصر الجاهلي حكيم القبيلة . لماذا لا نطلب الآن من الشاعر ان يتفلسف . وان يتعاطى الحكمة ، ما استطاع الى ذلك سبيلاً . الحكمة للشعر قوة ، واذا كانت ميزة الشعر الاولى الرقة ، فلا بأس على الشاعر السلس ان يسعى الى طريق التأمل وسبر اغوار الوجود . إذا كان ارسطو يعطي للفيلسوف درجة اعلى من الشاعر ، فانا أقول ينبغي للشاعر ، الذي حباه الله بنعمة الالهام ، أقول ينبغي له ان يتعامل مع الافكار . أذهب الى اكثر من هذا ، فاقول ان على الشاعر ان يكون هو خالق افكار . الحكمة ليست موقوفة على احد ، وان الشاعر الذي يدرك مسيرة التاريخ ويفهم طبيعة الانسان ، يستطيع أن يمزج الفكرة العميقة بالكلمات الرقيقة ، مزج اللحمة بالسداة .

الشاعر الذي تميز بموهبة شعرية مكينة ، لابد أن تكون غايته خيرة ، فيدعو الى الفضيلة ويسعى لتحقيق الخير . لابد اذن للشاعر أن يكون صاحب قضية ، ولابد أن يكون الشاعر هادفاً . الشاعر الحق ، من يكون مندفعاً اندفاعاً ذاتياً ، والتزامه نابع من صميم اعتقاده . الشعر الحق إذن ، ما كان منسجماً بين جزالة اللفظ وقوة المعنى . اكرر القول ، انه إذا كان الجرس الموسيقي ضرورياً للشعر ، فان حكمة الفيلسوف ضرورة ، كي يدرك الشاعر طبائع الاشياء .

ان أسمى ما يستطيعه الشاعر ان يكتب شعراً فلسفياً . ولكن ليس من السهل ان يكتب الشاعر أو الفيلسوف ، شعراً فلسفياً . شعراؤنا بعامة زاولوا الحكمة ولم يكتبوا شعراً فلسفياً . لعل اول من بدأ بمزاولة مزج الحكمة بالشعر ، هو زهير بن ابي سلمى . كثير من فلاسفتنا جربوا نظم الشعر الفلسفي ففشلوا . لعل ابن سينا قد نجح بقصيدته العينيه ، ان يقدم شعراً فلسفياً الى حد معين ، اذا ما علمنا ان الافكار الفلسفية التي قدمها ابن سينا في قصيدته ، مسبوق بها من لدن فلاسفة سابقين . متصوفة الاسلام على نحو عام ، عالجوا هذا النوع من الشعر ، وكاد بعضهم ينجح في كتابة الشعر الفلسفي كالحلاج ورابعة وابن عربي وابن الفارض ، امثلة على ذلك .

اننا نفخر بالجاحظ ، لان ادبه يعلم العقل ، واننا نفخر بابي حيان التوحيدي ، لانه أديب الفلاسفة وفيلسوف الادباء . برأيي ، ان الجاحظ والتوحيدي ، اعظم كاتبين في تأريخنا الأدبي ، والسبب يعود لانهما مارسا الفلسفة قراءة وكتابة .

في الشعر ، ما زال بعضُنا يفضل المتنبي ، وبعضُنا يميل الى المعري ، في صدارة الشعر العربي . الاهم من هذا ، هو ان سبب تصدرهما معاً ، لانهما تعاطيا الحكمة في الشعر . نحن نكبر ابا تمام ، وربما نفضله على البحتري ، والسبب لان ابا تمام حكيم في شعره ، مع العلم ان شعر البحتري اكثر رقة وسلاسة . إننا لم نضع ابا نواس في الصداره ، مع انه شاعر كبير ومجدد ، واجاد في كل صنوف الشعر ، بما فيها الزهد .

في القرن العشرين ، حاول الشاعر جميل صدقي الزهاوي ان يتفلسف في شعره ، وكان يود أن يخاطب بالفيلسوف اكثر مما يلقب بالشاعر . لاشك ان الزهاوي قد تفلسف في شعره ، ولكنه لم يكن فيلسوفاً باية حال من الاحوال . الفيلسوف هو الذي ياتي بنظرية جديدة لم يسبقه اليها أحد من قبل . إذا أردت ان اعمم المقولة ، او ابسطها ، فكل انسان هو فيلسوف ، الى حد ما ، ولكن شتان بين الانسان الحائر المتسائل دون جدوى ، وبين الانسان صاحب العمل الفكري المنظم على وفق منهج معين .

الشاعر احمد الصافي النجفي ، من شعرائنا الكبار في هذا القرن ، الذي تفلسف هو أيضاً في شعره ، ونظر إلى الانسان والاشياء ، نظرة متامل حكيم ، يصبو إلى ان يصل إلى حقائق الامور .

الشاعر الشيخ علي الشرقي ، من الرواد الاوائل في هذا القرن ، مارس قول الشعر ، وبحكم نشاته في مدينة النجف ، لابد انه قرأ كتب الفلسفة ، جنباً الى جنب ، مع كتب الأدب ودواوين الشعر ، وهذا شيء معروف لطلاب الدراسات الادبية ، في طرق التعليم ، في المدارس العلمية . أود في دارستي هذه ، ان اتتبع تعامل الشاعر مع الفكر ، وآمل ان انجح في هذا المسعى . انها محاولة مني لرصد حكميات الشاعر في شعره .

تطالعنا في اول قصيدة في الديوان (مناجاة النجوم) ، أسئلة الشاعر عن نظام الطبيعة ، ويذهب في السؤال الى ما هو خفي فيما وراء الطبيعة . نحن نعلم ان السؤال هو أول مرحلة من مراحل التفلسف ، وان الفيلسوف الحق من يتعجب من ظاهرة معينة ، ثم يجيب عن ذلك التعجب بنظرية فلسفية ، لم يسبقه اليها أحد من قبل .

تتجلى حكمة الشاعر ، في قصيدته (مقال الناس اكثره محال) ، إذ انه يحث هنا على طلب الكمال ، وانه يعدّ ان طلب الكمال هو الجمال . بعد هذا فانه يحذر الذي يرجو دون ان يسعى ، فانه سيحصل على اليأس ليس غير . يتبعها في قصيدة (عذراء الشرق) ، فيلوم ابناء الشرق الذين يبكون على الماضي ، وينصحهم بالنظر إلى المستقبل ، والعمل من اجله ، اني مع الشيخ علي الشرقي ، في قصيدته (السيف والقلم) ، لانني مثله من انصار القلم .

الشاعر في قصيدة (عجز وقدرة) ، يتفلسف حقاً على طريقة سقراط ، عندما يقول :

للنفس سير دائب
بحياتها والموت فتره

ان سقراط - كما نعلم - يرى ان الموت هو موت الجسد فقط ، او هو انفصال النفس عن الجسد . الدين الاسلامي يرى ايضاً ان الجسد هو الذي يموت والنفس خالدة . مهما يكن ، فان الشاعر يحاول ان يتامل اطوار الحياة من الولادة حتى النشور . وهكذا تستمر تاملات الشاعر في القصيدة الاتية (موت وحياة) ، عن جموع البشر الذين يجيئون ويذهبون ، ويُدخل كلمة فلسفة صراحة ، عندما يقول :

ارى في الموت فلسفة ترينا
حياة لم ترد الا اتساعا

في قصيدة (العلم وجده) ، يطري الشاعر فيها العلم ويذم الجهل ، ويرى ان الحرمان ليس حرمان المال ، وانما الحرمان الحقيقي هو فقدان العلم . في قصيدة (محنة الاخلاص) ، التي قيلت في انقلاب بكر صدقي ، يتغنى الشاعر بالحرية التي يراها ماسورة ، على الرغم من التغني بها ، ويأسف على بغداد ، التي تعيش على نظام الرصاص . الشاعر في قصيدة (تحية بابل) ، يفخر بان بابل بلد السحر والمجد ، ويذكر كذلك بانها مدينة حمواربي والقانون والفن والجمال ، فضلًا عن انها مدينة نبوخذ نصر والحدائق المعلقة ، ومدينة العز والاقدام .

لقد وجدت ان الشاعر يتعامل مع الحكمة في الرباعيات ، ولا سيما قصيدة (صور ونوازع) ، ولكنه مع ذلك يبقى شاعراً ، دون ان يدخل معبد دُلفى العتيد . الشيخ علي الشرقي يؤمن صراحة بالعقل في الرباعية الثالثة من (صور ونوازع) ، ويجعل من الحس اول مراحل المعرفة ، ولكن العقل هو الحكم الاعلى الذي يقيس ، والذي شبههُ بالرئيس للحواس :

في الرأس مجلس شورى
له الدماغ رئيس
تبدي القضايا اليه
الحواس وهو يقيس
فما سواه طريق
ولا سواه يجوس
والعلم بالغيب لطف
قد الهمته النفوس

نحن نعلم ان الفلاسفة العقليين منذ سقراط وافلاطون حتى الآن ، يركنون في المعرفة الى قوة العقل . الشاعر قالها خاطرة شعرية ، ولم يبن على قوله هذا منهجاً فلسفياً ، كما يفعل الفلاسفة . لا ادري في الحقيقة ، فيما اذا كان الشاعر قد اطلع على آراء افلاطون ، او انه قد درس كتبه وتاثر به .

الشيء الذي اثار استغرابي ، ان فكرة البيت الرابع من الرباعية ، تتفق تماماً مع فكرة الامام الغزالي الفلسفية . الغزالي يعتقد ان الحس محدود ، وان العقل هو الآخر محدود ، وان المعرفة تقذف بالصدر كالالهام ، وان خير طريق للمعرفة الحقة هو التصوف . يتغنى الغزالي عندما يدرك الحقيقة ؛ بالبيت الآتي :

فكان ماكان مما لست اذكره
فظنّ خيراً ولا تسال عن الخبر

يبدو لي ان الشيخ علي الشرقي يؤمن بمعرفة العقل داخل نطاق الطبيعة ، اما فيما وراء الطبيعة ، فهو يتفق مع راي الغزالي ، عندما يقول :

والعلم بالغيب لطف
قد الهمته النفوس

الرباعية السادسة تشير الى تعامل الشاعر مع الشعراء ، عندما يذكر صراحة ، بالاسماء ، هو ميروس وابا العلاء المعري :

انما ايام هوميروس
من عمر المعري

لا اعتقد ان ذكره الشاعرين اعتباط ، وانما لابد انه قرأ شيئاً قليلًا او كثيراً من شعرهما وتاثر به ، ولا سيما شعر ابي العلاء المعري . البيت الاول من الرباعية نفسها :

اشتكوا من قصر العمر فقابلت بنكر

تبدو فيه سيماء ابي العلاء المعري واضحة .

الشاعر الحكيم عمر الخيام اثره واضح في البيتين الاول والثاني من الرباعية الثامنة :

يارب يثمل كل الـ
ورى اني صاح
ان يفسد الناس طراً
فهل يفيد صلاحي

يخيل لي ان روح الخيام ترفرف في اجواء رباعيات الشرقي ، ولا سيما قصيدة (صور ونوازع) ، كذلك اثر الخيام واضح في قصيدة (المزدوجات) . لست الآن بصدد مقارنة بين ادب الشاعرين . اني اود أن اقصر دراستي هذه على جانب معين من شعر الشاعر ، الا وهو جانب التامل والحكمة . اني اشعر كانني اسمع سقراط يغني ، عندما قرأت الرباعية التاسعة عشرة ، والشاعر يربط ما بين حياته قبل الولادة ، وماذا سيرى بعد الموت :

قبل موتي هيهات ان تشرحوا لي
عالماً لا ينال الا بموتي
انا في البحر والمغيث على الساحل
هيهات يعبر البحر صوتي
جسدي قارب وقلبي شراع
وحياتي حبل وعقلي نوتي
اركبوني يوم الولادة بحراً
سارى ساحلًا له يوم موتي

الشيخ علي الشرقي شاعر ، ولذا فهو يعترف في رباعيته الرابعة والعشرين ، انه طالما تساءل ، ولكن تساؤله بقي بدون جواب :

كم سؤال ظل في نفسي من دون جواب

وانا اقول ، لو أجاب الشاعر عن اسئلته جواباً علمياً دقيقاً ، لتحول الى فيلسوف . الامر ليس بهذه البساطة طبعاً ، فهو شاعر يسال وليس فيلسوفاً يحل المشكلات ، هكذا كان حال المعري ، الذي نصفه بالشاعر الحكيم ، فان اغلب شعره عبارة عن أسئلة ، سواء كان موضوع السؤال الانسان ام الكون .

اقرأ البيتين الاول والثاني من الرباعية الثلاثين :

في الشعر موسيقية
له من الاوزان جوق
معناه والالفاظ لو
اصغيتم جرس ودق

يذكرني هذا القول بتعريف ارسطو للشعر : بأنه لغة مزينة مجملة ، ولا بد من جرس موسيقي للشعر ، ولا أدري هل قرأ الشاعر الشرقي ، كتاب الشعر لارسطو ، أو انه توارد خواطر .

الرباعية الثامنة والسبعون تشير الى صراع الانسان مع الحياة ، وفيها شيء من تشاؤم المعري :

ان اهل الارض في سيارة
جمح السائق فيها فارتطم
زحزحوها فمشت مقلوبة
والتوت من أمل نحو ألم
كل جيل قد اتى يصلحها
إبتلته بخراب فانهزم
غلط السائق ياسيارتي
كل هذا الخبط ما بين الامم

أود ان اشير الى الحقيقة تقول عكس هذا ، لان الواقع يقول ان كل امة تبني وتضيف الى تراث ما تقدم من الامم ، وهكذا تكونت الحضارات ، وازدهرت عبر العصور .

اما في الرباعية الثمانين ، فيحذر الشاعر من العلم ، الذي بدأ يلعب بالناس ، او ان الناس بدأوا يلعبون بنتاجات العلم ، التي بدأت تجلب الشرور على الانسان في كثير من الحالات :

عظمت محنة العقول بدنيا
ملكتها مطامح وعواطف
كرة الارض ماكفت لعبة الناس
فادلوا من السما بقذائف
اصبح العلم مصدر الشر في الارض
فماذا يفيد حاكٍ وهاتف

في الرباعية الثانية والثمانين ، يتمنى الشاعر ان تقوم دولة العقلاء ، بعيدة عن سلطان الغرائز . لا شك انه هدف طالما حلم به الفلاسفة والشعراء . ان مقولة افلاطون في ان يحكم الفلاسفة او يتفلسف الملوك مشهورة . المهم في هذا الشان ، ان سعادة الشعب - برأي افلاطون - مرهونة بحكم العقلاء .

في الرباعية الثانية بعد المائه ، يصف الشاعر الانسان بالنقص ، ويعزي ذلك الى جدنا آدم :

هذي البلاهة كلها
جاءتكم من آدم

الشاعر مفرط في هذا الرأي ، لاشك ان الانسان مشوب بالنقص ، وهذه حقيقة يتفق عليها الفلاسفة . الشاعر الشرقي يلوم الانسان ويصفه بالبلاهة ، ويحلم في ان ياتي ذلك اليوم الذي ياتي به الانسان الكامل ، او على حد تعبيره (الانسان السالم) . الفلاسفة منذ سقراط حتى الآن ، يصفون الانسان بالنقص ، ويسعون الى خلق الانسان الفاضل التام (كما عبر عن ذلك فلاسفة الاخلاق) ، او الانسان الكامل (كما عبر عنه متصوفة الاسلام) سابقاً ، ونيتشة لاحقاً . المهم ان الفلاسفة يرون ان فضيلة الانسان تتحقق عندما يصبو الانسان الى الكمال . ان هذا هو الصواب نفسه . لان الانسان لو خلق كاملًا لما تكونت الحضارات وازدهرت المدنيات ، ولو بقي الانسان على نقصه لكان اشبه بالحيوان . انها اذن طبيعة الانسان في هذه الحياة . الانسان اذن مشوب بالنقص ، ولكن ليس من الحكمة ان نصفه بالبلاهة .

في الرباعية العاشرة بعد المائة ، يحث الشاعر في البيت الثاني على عمل الخير :

يا لداتي كونوا سعاة الى الخير
والا فلستم بلداتي

هذا شيء جميل من الشاعر ومستحسن منه ، لا سيما ان حكماء الدنيا يحثون دائماً على عمل الخير . اختلف مع الشاعر واعتب عليه ، عندما قال في البيت الاول من الرباعية :

لا ارى العاقل الرشيد بهذا الكون الا كآلة او اداة

انا اعتقد العكس تماماً ، لا سيما ان الشاعر يتبع كلمة العاقل بالرشيد . استقري تاريخ البشرية ، فأرى ان (العقلاء الراشدين) لم يكونوا آلات ولا ادوات . المجال لا يتسع لضرب الامثلة بالتفصيل ، والا فامامي صور سقراط وافلاطون وارسطو والكندي والفارابي وهيجل وماركس ورسل ، وغيرهم كثيرون . سقراط تجرع السم لانه قال الحقيقة ، وافلاطون حورب ، وارسطو هرب من اثينا . ابو حنيفة رفض ان يكون قاضي القضاة عند ابي جعفر المنصور ، وقاضي القضاة هذا يعني وزير عدل ، في دولة تمتد مساحتها من الصين الى الاندلس . والكندي سجن في مكتبته ، والغزالي شرد في الآفاق ، وابن حنبل ضرب بالسوط ، وابن تيمية مات في السجن . وبرونو احرق بالنار ، وغاليلو اهين ، ورسل اودع السجن .

في البيت الاول من الرباعية الحادية عشرة بعد المائة شاعرية اكثر منها فلسفة ، او اتباع مذهب اجتماعي او سياسي معين . ويقول الشاعر :

دعوا نظم السياسة في هدوء
وثوروا للنظام الاجتماعي

لا أدري اي نظام سياسي يريد الشاعر من ابناء جيله ان يتركوه . بعد هذا هل يطلب الشاعر ان يثوروا على النظام الاجتماعي ذاته ، او يثوروا له ، وهو يقول (وثوروا للنظام الاجتماعي) . الشيخ علي الشرقي هنا شاعر ، وليس منظراً اجتماعياً .

يقول الشاعر في الرباعية السابعة عشرة بعد المائة :

يارؤوساً في شيبها والشباب
كقشور ما تحتها من لباب

لا شك ان الشاعر هنا يتالم من حالة التاخر الاجتماعي والسياسي في العراق خلال العشرينيات ، وقت نظم هذه الرباعية . الشاعر ، كل شاعر طبعاً ، يتميز بالرهافة والاحساس ، ويتميز بالاعتداد بالنفس ، شاعرنا اعتداده واضح بنفسه ، في الرباعية الرابعة والعشرين بعد المائه ، عندما يقول :

انا وحدي غواص هذه اللآلي
ورفاقي تشق بالاصداف

للشاعر الحق ، ولكل شاعر الحق في ان يفخر بنفسه وبملكاته وبقدراته الادبية . اني اعتب على شاعرنا هنا من وجهة نظر انسانية ، فاقول ليس من حقه ان ينفي اللب من رؤوس مواطنيه . الواقع الادبي يقول كان هناك ادباء كبار مثل الحبوبي والزهاوي والرصافي والشبيبي والكرملي وغيرهم ، والواقع السياسي يؤكد وجود عقول كبيرة في الساحة مثل عبد المحسن السعدون وجعفر ابي التمن وياسين الهاشمي وجعفر العسكري وعبد الواحد سكر وغيرهم ، هذا فضلًا عن جيل الشباب ، الذي يمثله الشاعر وأبناء جيله ، من المتطلعين الى مستقبل أفضل .

استوقفتني الرباعية الحادية والخمسون بعد المائة . الشاعر يسأل :

ما الذي سخر فساهمن بهذي المجازر البشرية
كان رشد العلوم للناس هذا ام ضلال الغرائز الفطرية

الشاعر هنا يدرك المأساة ولكنه لا يحللها ، وانما يبقى عند حد السؤال . اغلب الفلاسفة يميلون الى ان الانسان شرير بالطبع ، وبرهانهم على ذلك ، ان الانبياء والفلاسفة ورجال

القانون ، منذ بدء البشرية حتى الآن ، يحثون الانسان على عمل الخير بينما الانسان يميل الى عمل الشر إذا ما واتته الفرصة ، وأمن جانب الرقابة .

الرباعيتان الاخيرتان في قصيدة (صور ونوازع) فيهما تامل عقلي وتساؤل فكري عن الحياة والموت . يسأل الشاعر نفسه : من اي عالم قد اتيت ، وينهي القصيدة قائلاً ، بان كل شيء سيمضي :

كل شيء وفيه نور وزيت
كل شيء وفيه حي وميت
فالى اي عالم انا جهزت
ومن اي عالم قد اتيت

كلما قلت او سمعت سيمضي
كلما شمت او شممت سيمضي
كلما قد علمت فهو سيمضي
قد مضى من اتى ومن جاء يمضي

الشرقي في غالب شعره يصبو الى حرية الانسان العراقي وسعادته ، ويحزنه ان يجد العراق ، الذي رزخ تحت الظلم العثماني على مدى اربعة قرون ، يراه الآن محتلاً من لدن الانكليز .

الشاعر في قصيدته (مع البلبل الطليق) ، يحاول بين الرمز والايحاء والصراحة يحلم بالانسان الحر الذي يعيش في مدينة سعيدة . الشرقي شاعر وليس فيلسوفاً ، فلا نطلب منه ان ينشد الانسان الكامل ، الذي يحيا في مدينة فاضلة ، كما طلبها وسعى اليها افلاطون وافلوطين والفارابي وغيرهم .

جميل جداً ان يطلب الشاعر العدل ويرنو الى حكم العقل ، ولكني اجد فجاة ان الشاعر يضيق صدره ، فيقول في الرباعية السادسة من القصيدة :

وددت الفلك لم ينج
ولم يسلم على نوح
وتبقى الارض للنبت
من القيصوم والشيح

لا شك ان الشرقي شاعر ، ويحب مناجاة الطبيعة ، وان بدا متشائماً بعض الشيء . لا اقول انه الهرب ، ولكن الشاعر مثقل بهموم وطنه ، والشاعر في غالب الاحيان مرهق ، وثائر بالطبع . الشرقي هنا يهيم بالطبيعة ، وليس من الموضوعية ان اثقل النص الشعري او افسره تفسيراً فلسفياً ، فاقارنه بفكرة جان جاك روسو ، التي مفادها ، الدعوة لرجوع الانسان الى الطبيعة ، بينما شاعرنا يود ان تبقى الطبيعة خالية من الانسان .

اننا ناتي الى سبب ضيق الشاعر بالآخرين ، عندما نقرأ البيت الأخير من الرباعية السابعة عشرة .

نشدت الصحو في الناس
فلم اظفر بمنشودي

اعتقد انه ليس من حقي ان اطلق على الشاعر صفة التشاؤم ، لان واقع حال العراق في اواسط العشرينيات ، وهو تاريخ نظم القصيدة ، كان مبتلى باحتلال انجليزي ، وان الامية متفشية ، في اغلب المدن ، والتاخر واضح ، والانقسامات السياسية شائعة . في الوقت نفسه ، لا أؤيد الشاعر عندما يقول انه يطلب الصحو في الناس ولا يجده . الشيخ الشرقي يعلم وانا اعلم ، ان الصحو في العراق موجود في تلك المرحلة ، على الرغم من ان العراق فتح عينيه لأول مرة ، بعد استعباد ثقيل من لدن الاجانب ، دام سبعة قرون .

مع كل هذا نرى الشاعر بعد ذلك ، يناجي البلبل داعياً الى عمل الخير . يقول في الرباعية العشرين :

عسى ان ننقل البذور
الى مزرعة الخير

وفي الرباعية الثانية والعشرين يقول :

مغني يابلبل الروضة
من لحن الى لحن
معي ننزل للأرض
ونعلي قيمة الفن

اما في قصيدة (مع البلبل السجين) ، فيخيل لي ان الشاعر يناجي نفسه ، ويرمز لها بالبلبل ، وهذا حال الشاعر والفيلسوف معاً ، لكن الفرق بينهما ان الشاعر يشكو آناً ويغني تارة اخرى ، بينما الفيلسوف يحاول ان يجد الحلول ما استطاع الى ذلك سبيلاً . النفس عند سقراط – مثلاً – سجينة في الجسد وان الجسد بمثابة السجن لها ، والنفس تسعى للتخلص منه بممارسة الفضيلة . افلاطون يرى ان الانسان سجين كهف مظلم ، وهو يحيا في ظلم ووهم ، حتى يرقى عن طريق المعرفة ، ومن ثم يدرك نور الحقيقة .

الشاعر يرى في الرباعية الثانية ، ان الرجل الصريح لا يصادف النجاح في حياته :

أصريح وكل دنياك رمز
ومتى صادف النجاح الصريح

هذا حكم اخلاقي ، اتفق فيه مع الشاعر ، وهو حكم – برأيي – فيه كثير من الصحة .

في الرباعية الثانية عشرة ، يقول الشاعر :

ان دنيا اغرت رفاقي دنيا
طوبيات تصوغها احلام

يبدو ان الشاعر يمس جوانب فكرة المدينة الفاضلة عند الفلاسفة، واظن انه يقصد بكلمة (طوبيات) ، اليوتوبيا ، التي تعني المدينة الخيالية ، او المدينة الفاضلة . الشاعر هنا يزهد بذلك ، كما افهم من البيت المذكور ، مع العلم انني اعرف ان احلام الفلاسفة ، هي التي جعلتهم يكتبون المدن الفاضلة (اليوتوبيا) ، ويسعون الى تحقيقها .

اعتقد ان البشرية سعدت كثيراً بتخطيط المدن ، او على الاقل ، فان الانسانية قد تخلصت من كثير من الادران السياسية ، ومن ظلمات الكهوف الاجتماعية .

في الرباعية الثالثة عشرة ، اقرأ البيت الآتي :

انني غدوت أنعم في الشك
لانـي منغص باليقين

لاشك ان الشاعر هنا ينحو منحى الفلاسفة ، في النظر الى الشيء قبل ان يحكم عليه . يذكرني هذا البيت بمثيل له لابن سينا ، مع اختلاف المعنى طبعاً . قال ابن سينا ، لاحد اصدقائه ، وابن سينا في السجن :

دخولي في اليقين كما تراه
وكل الشك في امر الخروج

في الرباعية الخامسة عشرة ، تتجلى نظرة الشاعر للدنيا ، بتأمل واضح ، وذلك ان الدنيا زائلة والعمر قصير ، ولهذا يجب عدم اهتمامنا بالمصير . اكتفي بذكر البيت الاخير من الرباعية :

بلبلي ان يكن مصيرك هذا
فعلام اهتمامنا بالمصير

استوقفني في الرباعية السادسة عشرة ، البيت الاخير :

جوهر الفرد أن يقدم للمجمو
ع من روحه جواهر فرد

يمكنني ان افسر البيت تفسيراً ادبياً واخلاقياً واكتفي ، لكنني اود ان اشير الى ان الاصطلاح الفلسفي ، الذي استعمله الشاعر هنا ، وهو (الجوهر الفرد) ، وقد اطلق عليه بعض الفلاسفة والمتكلمين (الجزء الذي لا يتجزأ) ، وهو مذهب مشهور عند فلاسفة الذرة في الاسلام . لاشك ان الشيخ علي الشرقي ، درس هذا الاصطلاح الفلسفي ، من خلال دراساته الادبية والدينية ، لكنه استعمله استعمالاً ادبياً ، ولم يستخدمه فلسفياً .

الشاعر ما يلبث ان يتفاءل بالمستقبل ، عندما يقول في الرباعية الرابعة والعشرين :

سنغني غداً بمزرعة الآمال
دنيا ملأى بسجع البلابل

لاشك ان في الرباعية السادسة والعشرين مسحة فلسفية دينية ، عندما يشبه الشاعر الارض بالسجن :

ايها البلبل المعلق في السجن
سلام والارض سجن معلق

اذا اردت ان اعطي البيت تفسيراً سياسياً فلسفياً ، فاقول ان العدل في الارض مفقود ، وان الظلم موجود ، أما التفسير الديني ، فلا اشك ان الارض دار فناء ، واننا سجناء فيها ، ننتظر الانتقال الى دار البقاء .

للشاعر آراء في الصداقة ، يبدو انه قالها بعد تجربة وخبرة بالناس . اذكر البيتين الآتيين من الرباعية الثامنة والثلاثين :

أسريعاً ثوب الصداقة يبلى
فهو يحتاج دائماً لريافه
وحدة البلبل المغرد خير
من شباك الصداقة الخطّافه

اذا كان الشاعر قال ذلك عن تجربة فله الحق في ذلك ، واذا قالها عن حكمة ، فان اغلب الفلاسفة يحذرون من خداع الآخرين . هذا ارسطو فيلسوف اليونان الشهير ، يقول عن الصداقة ساخراً : (يا اصدقائي ليس هناك صديق) ، الفيلسوف العربي المسلم ابن حزم الاندلسي ، يحذر من الاندفاع في الصداقة ، ويوصي بعدم كشف الاسرار للصديق ، والتأني بالمعاملة مع الآخرين . في العصر الحديث ، مقولة الفيلسوف الفرنسي سارتر مشهورة : (الجحيم هم الآخرون) .

الشاعر الشرقي يقترب من هذه الافكار ، عندما يقول في الرباعية الحادية والاربعين :

كن بعيداً او كن قريباً فشر الـ
صحب لا بالبعيد لا بالقريب

الشاعر على ما يبدو يعاني من عدم صدق صداقة الآخرين ، لذا فهو يعود في الرباعية التاسعة والسبعين فيقول متشكياً :

انني قد خدعت قبلك بالناس
وما لقفوه والحر يخدع

تبدو لي الرباعية الثالثة والاربعون ، سقراطية المبنى افلاطونية المعنى ، ممتزجة بشاعرية أخاذة رقيقة . تلك النظرية الفلسفية ، التي تذهب الى ان الجسد سجن للنفس ، وان النفس تبغي الحرية والانطلاق . أعرض الرباعية :

ايها البلبل المعلق في السجن
سلام مرآك ام انت توحي
قفص انت فيه قد هتك الستر
فهذي روحي وذا سجن روحي
قبعت في قرارة السجن حيرى
بعد تحليقها وبعد الطموح
انني ما لقيت ايتها الرو
ح مناك فاينما شئت روحي

البيت الاخير في الرباعية الخامسة والاربعين :

بلبل الدار قل لجاري شدواً
هادم انت والطبيعة تبني

ربما كان الهدف القريب من البيت هذا سياسياً ، ولكنني استطيع ان احمله معنى علمياً ، وذلك ان الانسان مهما ضرب الآخرين بالقنابل الذرية والصواريخ الفتاكة ، وقتل الكثير من الحيوان في الغابات ، فهناك نظرية تقول ان دورة الطبيعة تصحح كل شيء ، وتعيد كل شيء الى مجراه الطبيعي . الانسان يبقى ، والحيوان يتكاثر ، والمياه تجري في الطبيعة بنظام محكم دقيق ، لتصلح كل جدب ، وتعمر كل خراب من جديد . لا بأس ان اردف البيت الثاني من الرباعية الخمسين ، لانه جاء بالمعنى او انه يكمل المعنى :

سحب تحمل الحياة الى الارض
فتجلو من الموات خمائل

كنت اتمنى ان يكتب الشاعر البيت المذكور على الوجه الآتي :

سحب تحمل (المياه) الى الارض
(فتجلو) من الموات خمائل

لان السحب تحمل (المياه) ، والمياه هي التي (تجلو) ، وعملية الحياة بعد ذلك معقدة ، مابين ماء ونار وتربة وهواء . انها عملية الخلق التي لا بد ان تتوافر فيها العناصر الاربعة .

اذا كانت قصيدة (مع البلبل السجين) قصيدة رمزية تصف حالة العراق وتتذاك بالسجن ، وان الشاعر الذي هو البلبل السجين ، الذي يطلب الحرية والانعتاق ، اقول ان الرباعية الرابعة والخمسين ، هي بيت القصيد ، من حيث المعنى المتضمن في الرباعية ، وذلك لان الشاعر أورد فكرة واقعية رائعة ، وهي ان البلبل المحبوس لايجيد الغناء :

ايها البلبل المعلق في السجن
سلام خدعت بالتدليس
احتكاراً تخيروك أنيساً
واحترازاً رفعت فوق الرؤوس
بطر بلّد الطباع فاضحت
تستطيب الغناء من محبوس
بلبلي من حسبتهم اقوياء
برهنوا أنهم ضعاف النفوس

يعود الشاعر في الرباعية السابعة والستين فيؤكد رأيه قائلاً :

منبر السجن لا يليق بشاد
انما منبر البلابل عود

ويلحق ذلك في الرباعية الثالثة والثمانين مؤيداً :

لا تغرد وانت في السجن مأسور
فان الغناء في السجن شكوى

البيت الثالث من الرباعية الخامسة والخمسين :

ما التذاذ بان يدوم التذاذ
مستمراً فالعيش حال وحال

فكرة عميقة رائعة ، يطرحها الشاعر بفكر ثاقب ، من محصلة دراسة علمية دقيقة . الشاعر مصيب فيما ذهب اليه ، فلا اللذة تدوم ولا الالم يدوم . رب سائل يسأل ، هل نحن نعيش اذن في حالة لذة او ألم ؟ الجواب هو ان حالتنا الطبيعية لا لذة فيها . ولا ألم . نحن الآن – مثلاً – لا نشعر بالعطش ولا بالجوع ولا بالمرض ، حالتنا اذن طبيعية . الشيء السابق الى الجسم هو الألم وليس اللذة ، فنحن نشعر بالعطش اولاً ، فنتألم ، واذا شربنا نلتذ حتى نرتوي ، ولكن اذا زاد الماء عن حده يتحول الى الم .. وهكذا .

نظرية اللذة والالم نظرية فلسفية كبيرة ، تناولها من فلاسفة اليونان افلاطون وارسطو ، ومن فلاسفة المسلمين ، الطبيب ابو بكر الرازي والامام ابو حامد الغزالي ، وفي الفلسفة الحديثة توماس هوبز واسبينوزا ، وغيرهم كثيرون ، على امتداد تاريخ الفلسفة في مختلف العصور .

الشاعر بعد ذلك يبشر الطير السجين بالانطلاق في الرباعية التاسعة والخمسين :

ايها البلبل المعلق في السجن
سلام ما بال عينيك حيرى

سيعود الربيع والسجن يفنى
بينما انت لم تزل بعد طيرا
ويطوف الاسراء في عالم اللطف
يناديك من سماء لاخرى
وهدايا الآمال تاتيك يا بلبل
حرية وطيباً وطهرا

يعبر الشرقي في الرباعية الرابعة والسبعين عما يعرف الآن عند الفلاسفة والادباء على السواء ، بحالة التمزق او الاغتراب ، الشاعر يعبر عن ذلك تعبيراً مرهفاً دقيقاً عميقاً جامعاً مانعاً ، عندما يقول :

ان تكن قد سجنت يا طير جسماً
فانا قد سجنت روحاً وجسما
وهمومي أثقلت نفسي بنفسي
والليالي تغمن بجسمي قدما

في الرباعية الثمانين يستعمل الشاعر فكرة علاقة الروح بالجسم ، وهي لا شك فكرة دينية وفلسفية ايضاً :

ثقة هذه البلابل في الاقفاص
مثل الارواح في الاجساد

يتفلسف الشاعر حائراً في الرباعية الرابعة والثمانين :

حيرة هذه الحياة وبلوى
ما استقامت لصدفة أو لقصد

ابو العلاء المعري هو ايضاً حار وتفلسف في تقرير حالة الانسان ، عندما قال :

والذي حارت البرية فيه
حيوان مستحدث من جماد

كم كنت اتمنى لو ان الشاعر حذف البيتين الاخيرين من هذه القصيدة الرمزية الجميلة . انهما البيتان الاخيران من الرباعية المائة ، وهي الرباعية الاخيرة طبعاً ، حين انهى الشاعر قصيدته قائلاً :

بالصريح الفصيح كاشفت شعبي
وتركت الرموز للحلاج
ليس عند الحلاج نفع لشعب
هو في حاجة الى الحجاج

لا ادري لماذا ذهب الشاعر هذا المذهب ؟ هل ان الشاعر يفضل للشعب سيف الحجاج على قلم الحلاج ؟ الامر عندي يختلف طبعاً ، فانا ارى ان الحلاج من قادة الفكر في تاريخنا الثقافي ، اما الحجاج فهو من الولاة الاقوياء . الحجاج فضلاً عن كونه شجاعاً وكريماً ، فهو قائد مشهور ، استطاع بفضل حكمته وبعد نظره ، ان ينشر الاسلام في اواسط اسيا وربوع الهند ، بفضل تجهيزه وامداده جيشين منتصرين مجاهدين في سبيل نشر الاسلام ، بقيادة محمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم الباهلي . الحجاج الذي كان والياً على العراق ، لم يكتف بمد هذين الجيشين الكبيرين بالرجال والسلاح ، بل كان يزودهما بالخطط والنصائح وحسن التوجيه ، لما فيه خير العرب والمسلمين ، ولما فيه نصر مؤكد للاسلام .

المصادر

١ - ديوان علي الشرقي ، جمع وتحقيق ابراهيم الوائلي وموسى الكرباسي ، ط٢ بغداد ١٩٨٦
٢ - ابن حزم الاندلسي : الاخلاق والسير في مداواة النفوس ، بيروت ١٩٧٩
٣ - افلاطون : فيدون
٤ - افلاطون : كتاب الجمهورية
٥ - ارسطو : كتاب الشعر
٦ - ابو بكر الرازي : كتاب الطب الروحاني
٧ - الغزالي : المنقذ من الضلال
٨ - الجاحظ : البيان والتبيين
٩ - ابو حيان التوحيدي : الامتاع والمؤانسة
١٠ - جميل صدقي الزهاوي : ديوان الزهاوي
١١ - احمد الصافي النجفي : ديوان الصافي النجفي
١٢ - عمر الخيام : الرباعيات
١٣ - عبد الكريم الجيلي : الانسان الكامل
١٤ - الفارابي : آراء اهل المدينة الفاضلة
١٥ - توماس مور : اليوتوبيا
١٦ - بينيس : مذهب الذرة عند المسلمين
١٧ - ارسطو : الاخلاق النيقوماخية
١٨ - ابو العلاء المعري : لزوم مالا يلزم
١٩ - المتنبي : ديوان المتنبي
٢٠ - ناجي التكريتي : الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية عند مفكري الاسلام .

المستوى الدلالي في كتاب سيبويه

د . نوزاد حسن احمد

المقدمة

لما كانت اللغة العربية هي نظام من الرموز والاشارات ، فإنه بهذه الرموز والاشارات المخزونة في أذهان المجتمع اللغوي الواحد ، عندما تستحيل الى اصوات منطوقة ، يتم التفاهم ، ويتحقق الجانب الاجتماعي لهذه الظاهرة الإنسانية .

عليه فإن ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) لم يجانب الصواب عندما اكد ان اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم ، فأبرز بذلك الوظيفة الدلالية التي تؤديها الأصوات اللغوية التي تنتظم في إطار تشكيلي متآلف ومألوف من قبل الباث والمتلقي .

و يتميز الدرس اللغوي الحديث بين ثلاثة امور مهمة في عملية الكلام هي :

أ ـ موقف المتكلم

ب ـ طبيعة نطقه لأصوات الكلام

جـ ـ استجابة السامع

فالدورة الكلامية التي تحصل بين الباث والمتلقي ، انما تتم عن طريق (ب) ، الذي يتضمن وحدات لغوية مهمة تعرف بـ (الفونيمات) ، وهي نتاج نمط معين من المواقف التي تقود المتلقي الى اختيار نمط معين من الاستجابات ، التي تنتظم ايضاً في اطار الفونيمات ، ويأتي النحو للعمل على الربط بين هذه الفونيمات والدلالات . غير اننا يجب ان نميز بين الفونيمات التي توصف بأنها ذات سمات مميزة (dlistinctive Features) والتي ليست كذلك (non dlistinctive Features) نحو (Men . Man) (ضَرّ) و (ضُرّ) (قاد) و (قيد) . وتتجلى هذه الحقيقة بوضوح في اللغة العربية التي توصف بأنها لغة اشتقاقية ، وعليه فإن الاعراب الذي هو الإبانة عن المعاني لا يقتصر على أواخر الكلم ، وإنما تتوزع المعاني على اجزاء بنية الكلم ، فالتحويلات الداخلية التي تتم بوساطة المصوتات ، هي التي تُعزى اليها الدلالات ، فإذا كانت البنية تتألف من (الصوامت) (ص) والمصوتات (م) فإن (م) هي مصدر الدلالة ، وأي تغيير فيها يؤدي الى تغيير في الدلالة ، وعلى الرغم من ان اللغة العربية هي لغة اشتقاقية ، وأن المصوتات (الفونيمات القصيرة والطويلة) تؤدي وظائف دلالية مهمة ، فإن (المورفيمات) الوحدات الصرفية التي تقع سوابق ولواحق تؤدي ايضاً ، دلالات مهمة على مستوى بنية الكلمة المفردة ، او على مستوى التركيب النحوي ، في اطار الدلالة المجردة او الدلالة الزمنية . واذا كانت الدراسات اللغوية الحديثة اولت هذا الجانب من الدلالة اهتمامها ، فإن قراءة الموروث اللغوي ، واستشراف افاقه يفتح امام الباحث طرائق جديدة في كيفية استنطاق النص ، ومقارنته بما آلت اليه الدراسات اللغوية من تطور وهذا الجانب في حاجة الى توجيه النظر اليه . وقد جاء اختياري للمستوى الدلالي في كتاب سيبويه لسببين ، اولهما : ان طبيعة تناوله لهذا المستوى من اللغة لا تنأى عن الدرس اللغوي الحديث في انه استطاع ان يكشف مواطن الابداع في العربية . وثانيهما : أن هذا البحث يأتي مكملاً للمستويات الصوتية ، والصرفية ، والنحوية التي درستها في بحث أكاديمي تحت عنوان « المنهج الوصفي في كتاب سيبويه » ولأن المستوى الدلالي هو مؤدى ما تبغي اليه هذه المستويات وجدت أن الحاجة قائمة لتناول هذا المستوى بالدرس والتحليل ومحاولة الربط بين ما ابدعه سيبويه ، وما توصل اليه الدرس اللغوي الحديث ، فإن كنت قد حققتُ جانباً من طموحي فذلك من فضل الله .

التمهيـد

إذا كان علم اللغة ، يشكل حقلا واسعاً من حقول المعرفة الانسانية ، لأنه يتناول بالدرس والتحليل إحدى الظواهر الاجتماعية المهمة وهي (اللغة) التي تعد اداة للتواصل الفكري والحضاري ، فإن علم الدلالة هو جزء من علم اللغة ، بل هو غاية الدرس اللغوي بمستوياته (الصوتية ، والصرفية ، والنحوية) لأن موضوعه الرئيس هو « المعنى الذي بدونه لا يمكن ان تكون هناك لغة »[١] والدلالة ، هي مؤدى ما يبغيه المتكلم من اللغة ، وعلم الدلالة هو العلم الذي يدرس ما يؤول اليه المكوّن اللغوي خارج النظم وداخله ، وقد اولت الدراسات اللغوية الحديثة هذا المستوى اللغوي اهتمامها ، غير ان الدراسة العلمية لهذا الحقل اللغوي لم تظهر الا في عام ١٨٨٣ م عندما اقدم الباحث اللغوي الفرنسي (ميشال بريال) على دراسة دلالات الكلمات في لغات الفصيلة الهندواوربية ، ويأتي بعده العالم اللغوي السويسري (ادولف نورين) ، وهو اول من استخدم مصطلح علم الدلالة(Semology)وكانت افكاره اساساً لكثير من النظريات التي طورها اللغويون فيما بعد[٢] . واستفاد علماء اللغة من جهود العلماء في الحقل الفلسفي والمنطق على الاخص ، وما يثيره من قضايا تتعلق بالمنجزاتPerformtive وإحداث الكلام Speech acts والافتراضات المسبقة Prespositions ، وكان هذا الجانب مثار اهتمام العلماء (اوستن) ، و (ستروسن) ، و (غرايس)[٣] . وطرح (مالينوفسكي) فكرة سياق الحال المأخوذة من علم الاجناس (Anthropology) . والنقطة المعينة ضمن البحث الانثروبولوجي ، التي اثارت اهتمام الدارسين في مجال علم الدلالة هي الأنماط الدلالية المتشابكة التي تكتشفها روابط القرابة[٤] . واستفاد علم الدلالة من

النظرية السلوكية في مجال علم النفس وطبقها (بلومفيلد) في مجال تفسير ثنائية المثير (Stimulate :) والاستجابة(Responce)[٥] وفي مجال تفسير العلاقة القائمة بين الدال والمدلول ، تعمق اللغريان (اوجدن) (Ogden) و (ريتشاردز) : (Richards) النظرية الاعتباطية لنعالم اللغوي (سوسير) فالمدلول هو التصور او الفكرة ، والدال هو الصورة الصوتية ، والمرجعية هي العلاقة بين العلامة اللسانية والمرجع او الشيء الخارجي[٦] . وقد بين القرطاجني (ت ١٢٨٨ م) طبيعة هذه العلاقة بقوله « اللغة هي الصور الحاصلة في الاذهان عن الاشياء الموجودة في الأعيان »[٧] وتتجلى اهمية دلالة الكلمة من خلال موقعها داخل النظام ، الذي يتألف من العلاقات القائمة بين اجزاء الكلم ، يقول (بامر) من هذا الربط بأنه (النظام المعقد للعلاقات القائمة بين العناصر اللغوية ... خاصة الكلمات)[٨] وقد اشار عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٢ هـ) الى اهمية هذه العلاقة بقوله (ليس الغرض بنظم الكلم أنْ توالت الفاظها في النطق ، بل ان تناسقت دلالتها ، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل[٩] وقريب من هذه الفكرة ما يعرف بنظرية السياق ، او المنهج السياقي contexual Approach وقد ظهر هذا المنهج عند (فيرث) (Firth) الذي اكد الجانب الاجتماعي للغة . واستوى فيما بعد على يد العالم اللغوي (لاينز)(Lyons)[١٠] . وتتجلى فكرة السياق في ان المكون الدلالي لا يظهر معناه الا من خلال سياقات مختلفة وتنوع الدلالات من خلال تنوع السياقات[١١] . ويظهر هذا المنحى جلياً في كتاب سيبويه اذ يشير الى التنوع الدلالي من خلال تباين السياق وعلى الاخص في مجال التنغيم الصوتي[١٢] لأن التنغيم يأتي لتنظيم علاقة الوحدات اللغوية في السياق وهو (الاطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق)[١٣] . ومما يعزز اثر السياق في بيان الدلالة الاجتماعية ، ظروف الموقف الكلامي وملابساته . والى جانب الدلالة الاجتماعية ، فقد ذكر اللغويون الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية ، والاستعمال اللغوي كفيل ببيان موضوع الدلالة الذي يتسم بأنه ذو فضاء واسع ، وهذا الاستعمال هو الذي يمنح المكونات اللغوية الفهم الذي يثير تفسيرات جديدة في ذهن الباحث وتجعله امام رؤية دلالية اضافية ، غير ان الميدان الواسع لعلم الدلالة لا ينفي حقيقة مفادها ان هناك سمات عامة تنضوي تحتها اللغات ، واخرى خاصة لا تشاركها اللغات الاخرى فيها يقول سابير : « ان كل لغة تخلق عالمها الخاص بها وتخلق بالتالي علم الدلالة الخاص بها »[١٤] ، وانطلاقاً من هذه الحقيقة فان كتاب سيبويه قد أملى علينا وضع خطة في مجال المستوى الدلالي ، استوت على ثلاثة مباحث هي : المبحث الصوتي ، والمبحث الصرفي ، والمبحث النحوي ، والعلاقات القائمة بين هذه المباحث والتي تمليها طبيعة النظام اللغوي . فقد تناولنا في المبحث الصوتي وظيفة المصوتات في استثارة القيم الخلافية ضمن بناء الكلمة ، وما تتركه تلك القيم الخلافية من معانٍ متنوعة ، وطبيعة طرق سيبويه لهذا الجانب المهم . وقد ابرزت في المبحث الصرفي اثر المورفيمات المقيدة والحرة في التنوع الدلالي على المستوى الوظيفي والزمني . وانطلاقاً من نظرة سيبويه الى اللغة ، على انها نظام قائم على اساس من العلاقات التي تربط بين اجزاء هذا النظام الموصوف بأنه « كيان موحدٌ قائمٌ بذاته »[١٥] ، فقد وجدت ان الحاجة قائمة على ربط المستويين الصوتي والصرفي بالمستوى النحوي من خلال مبحثين آخرين لاستكمال جوانب البحث ، لأن طبيعة المادة المجموعة من الكتاب قد املت هذه الخطة ، وقد تمخضت عن البحث نتائج ثبتناها في موضعها ؛ نسأل الله تعالى السداد في ميدان الجهد الطموح الى دراسة التراث اللغوي بعين التأمل ، والنظرة الموضوعية .

* دلالـة الوحـدة الصوتـيـة

■ الدلالة الصوتية :

تعد الاصوات « اللبنات التي تشكل اللغة ، او المادة الخام التي تبنى منها الكلمات والعبارات ؛ فما اللغة الا سلسلة من الاصوات المتتابعة »[١٦] وعلى هذا فإن اللغة نسق من الاصوات الخاضعة لنظام لغوي ، وهي تشكل مادة للوصف في اطار منهج علمي صائب يتناول اصوات اللغة بالوصف والتحليل . وتؤدي الاصوات وظيفة مهمة في المجال الدلالي ، وتبرز اهمية الاصوات اللغوية « عند استبدال صوت بآخر ، او اضافة صوت او حذفه »[١٧] . فالوظيفة الاصواتية لصيغة ، او صوت ، او مظهر موقعي ، هي استخدامها في مقابل الوحدات الخلافية الاخرى ، والقيمة الاصواتية لاي صوت انما يقررها مكانه في النظام الاصواتي العام[١٨] . والصوت القادر على التمييز الدلالي يُعرف بـ (phonem) ويعرفه (ليون Lyone) بأنه : « اصغر وحدة صوتية ، عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني » . كالفرق بين (تاب) و (تاب) و (ثوب) و (صَدَق) و (صُدق) . وفي الانكليزية مثل (...) و (men) ، و (pan) و (pen) و (pin) . فالتباين الدلالي يكمن في تغيير الوحدات الصوتية[٢٠] .

وقد ادرك سيبويه اهمية النظام الصوتي و « كان على وعي تام بان دراسة الأصوات مقدمة لابد منها لدراسة اللغة »[٢١] وأشار الى اثر المصوتات في بناء الكلمة في اطار بيان الخصيصة الاشتقاقية للغة العربية بقوله : « فإنهن يكثرن في كل موضع ولا يخلو منهن حرف او من بعضهن »[٢٢] وبيان ذلك الاثر من خلال التغييرات الصوتية التي تخص البنية الداخلية للكلمة ضمن عملية الاستبدال بين الفونيمات التوليدية ، ومن ذلك الاستبدال الحاصل بين صوتي الضم والفتح في « صُدق » و « صَدق » فالاول للجمع ، والثاني للمفرد .

قال سيبويه (ت ١٨٠ هـ) : « وسمعت من العرب من يقول : (قوم صُدق اللقاء) والواحد (صَدق اللقاء) »[٢٣] .

ومنه تمييز صوت الفتح من الكسر في (مِفْعَل) و (مَفْعَل) قال سيبويه « ويجيء (المِفْعَلُ) اسماً ... وذلك (المِطبخ) و (المِربد)[٢٤] » و « لو اريد مكان الطبخ عموماً لقيل (مَطبَخ) بفتح الميم وكذا لو اريد مكان حبس الإبل لقيل بفتح الميم »[٢٥] ومنه تمييز (مَفْعِل) من (مَفْعَل) فالاول للمكان نحو (مَضْرِب) و (مَحْبِس)[٢٦] ، والثاني مصدر . قال سيبويه : « فإذا اردت المصدر بنيته على (مَفْعَل) وذلك قولك : (ان في الف درهم لَمَضْرَباً اي : (لضَرْباً)[٢٧] » وللتباين الصوتي اثر واضح في توجيه ابنية الجمع في العربية وقد لاحظ ادوارد سابير هذه الحقيقة واشار اليها في بيان ابنية التكسير بقوله : « وفي اللغة العربية ابنية تعرف بجموع التكسير تجري

فيها تغييرات مصوتية(٢٨) » نحو :

بلد	Balad	بلاد	Bilad
جلد	Gild	جلود	Gulud
رجل	Ragul	رجال	Rigal

وبين سيبويه هذه الحقيقة في اثناء وصفه لما يجري على البناء من تغييرات في جمع التكسير ، تبعاً للتغيير المصوتي في المفرد بقوله : « واما ما كان (فُعْلَة) فإنك اذا كسرته على بناء ادنى العدد الحقت التاء وحركت العين بضمة ، وذلك قولك (رُكبة) و (رُكُبات) و (غُرفة) و (غُرُفات)(٢٩) ، و « ما كان (فِعْلة) فإنك اذا كسرته على بناء ادنى العدد ادخلت (التاء) وحركت العين بكسرة ، وذلك قولك : (قِربات) و (سِدرات) و (كِسِرات)(٣٠) ويظهر من ذلك ان وصفه للبنية الصوتية جاء في اطار التشكيل الصوتي لبنية الكلمة .

*** الوحدة الصوتية ودلالات التركيب النحوي :**

اذا كانت البنية الأساسية للتركيب النحوي مؤلفة من الاصوات القائمة على نظام من العلاقات ، فإن هذا الامر يؤكد العلاقة القائمة بين اصوات اللغة ، ونظام تركيب الجملة ، واذا كان النحو نظاماً لربط مكونات التركيب ، فإن ذلك يتجلى في الربط بين الاصوات والدلالات .(٢٩)

ومن الخصائص التي تنفرد بها اللغة العربية ، كونها لغة اشتقاقية ، (العلامات الصوتية)(٣٠) ، وهي التغيرات الصوتية التي تطرأ على بنية الوحدة الصرفية (المورفيم) وتترك اثراً واضحاً في العلاقات القائمة بين اجزاء التركيب ومن ثمة في الدلالة التي تنهض اصلاً من خلال هذه العلاقات اذ « تؤدي العلاقات الموقعية والمميزات الحركية في البنية السطحية للجمل العربية دوراً مقرراً في تعيين المعنى »(٣١)

وادرك سيبويه في سياق منهجه الوصفي قيمة هذه العلاقات (الوحدة الصوتية) واستعان بها في تحليل بنية التراكيب النحوية ، وبيان اثرها في دلالات التراكيب النحوية بعد ان اهتدى الى العلاقة القائمة بين اصوات معينة ودلالات معينة .

وتقف في الكتاب على امثلة ربط فيها الصوت بالدلالة ، ومن ذلك الهمزة المفتوحة في (أن) والمكسورة اي (إن) والفرق بينهما في التركيب قال سيبويه (ت ١٨٠ هـ) وتقول : (أما إنّه ذاهب) و (أما أنّه منطلق) ، فسالت الخليل عن ذلك فقال : اذا قال : (أما أنه منطلق) فإنه يجعله كقولك (حقاً أنه منطلق) ، واذا قال (أما إنه منطلق) . فإنه بمنزلة قوله : (ألا) كانك قلت : (ألا إنه ذاهب)(٣٢) . وكأن في صوت الفتح دلالة التوكيد وفي الكسر دلالة لا توحي بذلك . ومثل ذلك تمييزه صوت الكسر من صوت الضم ، وما يتبعه من تمييز دلالي في قوله : « ومثل ذلك : (مررت برجلٍ رجلٍ أبوه)إذا اردت معنى انه كامل »(٣٣) فصوت الكسر في رجلٍ يوحي بمعنى الكمال غير انك لو استبدلت صوت الضم بالكسر لتغير المعنى يقول سيبويه : « وقد تقوله على غير هذا المعنى ، تقول : (مررت برجلٍ رجلٌ أبوه) تريد رجلاً واحداً لا أكثر من ذلك »(٣٤)

والذي نراه ، هو انتفاء اثر العامل في استبدال الصوت ، ومن ثم التمييز الدلالي ، فقد تباينت الدلالتان من غير تعاقب للعامل ، وانما اهتدى سيبويه الى ذلك من خلال الاستناد الى المنهج الوصفي القائم على السماع البعيد عن القياس المنطقي الذي ينحو باللغة منحى لا يمت الى روح اللغة بصلة ، وانما تصدر احكامه من خلال استنباط مقاييس مفروضة على اللغة . وتلحظ ذلك من خلال تمييز دلالة صوت الضم الذي يوحي بالكمال من صوت الفتح الذي يبين ذلك في تركيبين يتماثلان في كل شيء عدا التباين الصوتي وهما : (لَهُ علمٌ علمُ الفقهاءِ) و (له علمٌ علمَ الفقهاءِ) يقول : وإنما كان الرفع في هذا الوجه ، لانه هذه خصال نذكرها في الرجل كالحلم والعقل والفضل ... وإن شئت نصبت فقلت : (له علمٌ علمَ الفقهاء) كانك مررت به في حال تعلم وتفقه ، وكانه لم يستكمل ان يقال له (عالم) »(٣٥) وليس هذا الامر مِنْ قبيل العامل ، وانما هكذا تعود الناس عليه : « لان هذه الاشياء وما يشبهها صارت تحلية عند الناس وعلامات »(٣٦) .

فإن (علمٌ) بالرفع دلالة على معنى الثبوت للصفة واستقرارها و (علمَ) بالنصب دلالة على معنى تجدد الصفة وحدوثها(٣٧) .

وكان ذلك الصوت (الفتح) يقرب البنية من الفعل الذي يوحي بالتجديد والحدوث ، وترى ذلك بوضوح في القرآن الكريم ، إذ يدل الاسم على الثبوت ، والفعل على الحدوث في قوله تعالى : « أَوَلَمْ يَروا إلى الطيرِ فَوْقَهم صافاتٍ ويَقْبِضْنَ »(٣٨) وعبر عن الصفة الثابتة للطير بالاسم (صافات) والصفة الطارئة بالفعل (يقبضن) . ولا يقتصر امر التفريق بين الصوتين (الضم ، والنصب) على الدلالة المعنوية ، بل يتعدى ذلك إلى بيان التمايز الدلالي من حيث الزمن . يقول سيبويه : « تقول :حسبته شتمني فاثبَ عليه) ، إذا لم يكن الوثوب واقعاً ، ومعناه (أن لو شتمني لوثَبْتُ عليه . وإن كان (الوثوب) قد وقع فليس الا الرفع(٣٩) فالنصب دلالة على المستقبل والرفع دلالة على المضي . وكان سيبويه على حق حين قال : « ولم يَجُز لك ان تجعل المنصوب بمنزلة المرفوع »(٤٠)

■ دلالة الوحدة الصرفية (المورفيم) :

*** الدلالة الصرفية**

الحقيقة التي تحدد البنية الداخلية للنظام اللغوي ، ترتبط عند (سوسير) بمفهومين اساسيين ، هما الوحدة النحوية والوحدة الصرفية ، وعند (بالمر) الوحدة الصرفية هي احدى الوحدات الاساسية لعلم الدلالة .(٤١) وتتألف الوحدة الصرفية من وحدات حرة (Free morphem) نحو : (سعد) و (كرم) و (شذا) ، واخرى مقيدة تعرف بـ (Boundary morphem) وتعرف بـ (اللواحق) إذ تعتمد معظم اللغات على اللواصق

(Agglutinaton) في بناء وحداتها الصرفية و (الالصاق إضافات للجذور)[٤٢] ، ولا يمكن استخدامها منفردة ، بل تتصل بوحدات صرفية حرة ، وفي نفس اللغة الانجليزية على سبيل المثال وحدات صرفية مقيدة مثل :

(ion . ian . ing . n . ed . s ....) نحو :

Shows , Showed , Showen , Showing , Logician , illustration .

وهي وحدات مورفونولوجية تؤدي وظائف نحويه مهمة في داخل النظام اللغوي الى جانب وظيفتها في بناء الكلمة ، لذلك تعرف بأنها وحدات نحوية صغرى على حد تعبير (تريتسكوى)[٤٣] ويهتم المستوى الصرفي في اللغة العربية بدراسات بنية الكلمة وأحوالها . ووصف الجانب الشكلي للبنية من حيث تحديد الأصول والزوائد ، وما يتصل ببنية الكلمة من لواصق وهو امر يهم اللغات عموماً[٤٣] ونذكرها (الوحدات الصرفية الحرة) ضمن الصيغ التي تدخل في بنائها المصوتات الطويلة (الألف) و (الياء) و (الواو) . وهي لواصق اشتقاقية الوحدات الصرفية المقيدة التي تقع سوابق ؛ ولواحق للأبنية ، وتؤدي وظائف دلالية ، وزمنية في داخل التركيب النحوي . وهي لواصق تصريفية كثيرة لا يسع مجال البحث لذكرها جميعا ، وإنما نتطرق الى اللواصق التصريفية التي ذكرها سيبويه على نحو واضح ، ووقف عند دلالتها ، وهي : (الـ ، والتنوين ، والسين ، وسوف ، والتاء المربوطة) .

وندرس اللاصقين (الـ ، والتنوين) في موضع واحد على الرغم من ان الـ (سابقة) والتنوين (لاحقة) ، وذلك لأن طبيعة العلاقة الدلالية القائمة بينهما تقضي بأن نذكرهما معاً .

■ الوحدة الصرفية ودلالات التراكيب النحوية

* (اللواصق الاشتقاقية) :

ومنها الألف وهي لاصقة اشتقاقية ، تزاد ثانية في فاعل على حد تعبير سيبويه ، وظيفتها توليد اسم الفاعل من الفعل الثلاثي المجرد ، ويشترك في هذا البناء الاسم ، والصفة وعبارة سيبويه : « وأما الألف فتلحق ثانية ويكون الحرف على (فاعل) في الاسم والصفة ، فالاسماء نحو : (كاهِل) و (غارِب) و (ساعِد) . والصفة نحو : (ضارِب) و (قاتِل) و (جالِس)[٤٥]

وقال ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) ان اسم الفاعل هو « ما اشتق من فعل لمن قام به بمعنى الحدوث »[٤٦]

وفسر الرضي عبارة « ما اشتق من فعل »اي مصدر ، لأن المصدر في مذهب سيبويه : الفعل ، والحدث ، والحدثان[٤٧] وذهب ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) الى ان الحدوث يدل على التغير لا الثبوت[٤٨] لانه في تغير دائم نحو ضارب ، قائم ، وهذا هو الفرق بين اسم الفاعل والصفة المشبهة ، فاذا قصد بالأمر الحدوث رد الى اسم الفاعل فتقول في (حَسَن) : حاسن الآن او غداً ، قال تعالى (في ضيق) لما قصد به الحدوث[٤٩] : « وضائِق به صدرُك »[٥٠] واذا لم يرد بألف اسم الفاعل معنى الحدوث خرج من هذا القيد نحو فرس ضامِر ، وشازِب ، ومقور[٥١] لان ذلك يدل على الاستمرار والثبوت كما في : (اللّه عالم) و (كائن أبداً) ، وزيد صائِم النهار وقائِم الليل . وفي قوله تعالى : « وكَلْبهم باسِطٌ ذِراعيه بالوصيد »[٥٢] فإن اسم الفاعل هنا يدل على الثبوت قياساً بالفعل ويبدو ذلك جلياً في قوله تعالى : (لَئِنْ بَسَطْتَ إليّ يَدَك لتقتلني ما انا بباسِط يَدِيَ إليكَ)[٥٣] ويدخل صوت اللين الطويل (الالف) في بناء (فاعل) الذي يدل على النسب من الصفات التي تختص بالمؤنث بغير (هاء التانيث) نحو : حائض ، وطالق ، وهو يدل على الثبوت[٥٤] وقال سيبويه : « فزعم الخليلُ أنّهم اذا قالوا (حائض) فإنّه لم يُخرجه على الفِعل كما انه حين قال : (دارِع (لم يخرجه على (فعل) وكأنه قال : (بِرِعي) فإنما أراد : ذات حيض ولم يجيء على الفعل »[٥٥]

وتأتي الألف مع لاصقة التضعيف لتوليد ابنية المبالغة التي تدل ايضاً على النسب . قال سيبويه : « واجروا اسم الفاعل اذا ارادو ان يبالغوا في الامر مجراه اذا كان على بناء (فاعل) لأنه يريد به ما اراد بـ (فاعل) من ايقاع الفعل ، الا انه يريد ان يحدث عن المبالغة »[٥٦] ثم ذكر امثلة لهذا منها : (شرّاب)[٥٧] و (ولّاج)[٥٨] و (لَبّاس)[٥٩] و (قوّال)[٦٠] وذكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)أن « (فعّال) لمنْ صار له صناعة »[٦١] وقد صرح بذلك سيبويه في قوله : « هذا باب من الاضافة تحذف فيه (ياءا) الاضافة وذلك اذا جعلته صاحب شيء يزاوله او ذا شيء اما ما يكون صاحب شيء يعالجه فانه مما يكون : (فَعّالًا) وذلك قولك لصاحب الثياب : (ثوّاب) ولصاحب العاج (عوّاج) ولصاحب الجمال التي ينتقل عليها (جمّال) ولصاحب الحُمُر التي يعمل عليها : (حمّار) ، والذي يعالج الصرف (صرّاف) »[٦٢]

ومن المصوتات الطويلة التي تكون لاصقةً اشتقاقية تؤدي وظائف دلالية في داخل البنية الصرفية (الياء) قال سيبويه عنها : « وتلحق ثالثة فيكون الحرف على (فَعِيل) في الاسم والصفة ، فالاسم (بَعِيْر) و (قضيب) ، والصفة : (سعيدٌ) و (شديدٌ) و (ظريفٌ) و (عريفٌ) »[٦٣]

وتأتي صيغة (فعيل) في الصفة المشبهة للدلالة على ان الوصف ثابت في صاحبه . اوكالثابت . جاء في (بدائع الفوائد) ان بناء (فَعِيل) في ابنية الأوصاف الثابتة اللازمة كطويل وكَريم وعظيم وحَليم وجَميل »[٦٤] وذكر سيبويه امثلة كثيرة لهذه الصيغة ومنها قوله : « وقالوا : (فَقِه) وهو (فَقيهٌ) والمصدر (فِقْهٌ) كما قالوا : (عَلِم علماً) و (هو عليمٌ) »[٦٥] ويبدو انه قد ربط بين الكسرة في الفعل والياء في الصفة وكانه يؤكد قوله : من أن

الكسرة من الياء[66] وقد يستعمل (فعيل) بمعنى (مفعول) نحو: (قتيل) و (جريح) و (كسير) و (سعيد)[67] فيستوى فيه المذكر والمؤنث فيقال : هو جريح ، وهي جريح[68] والفرق بين صيغة (مفعول) وصيغة (فعيل) بمعنى (مفعول) ان الثانية تدل على الثبوت ، او على معنى قريب من الثبوت بخلاف صيغة (مفعول) الدالة على الحدوث ، ثم ان صيغة (مفعول / تحتمل الحال والاستقبال . اما صيغة (فَعيل) فلا تطلق الا اذا التحق صاحبه به فلا نقول : (هو قتيل) لمن لم يقتل)[69] وقد ذكر سيبويه هذه الحقيقة في كتابه بقوله : (ونقول : (شاةٌ زَمِيٌّ) اذا اردت ان تخبر إنها قد زُمِيَتْ)[70] وهذا توكيد للدلالة الزمنية لصيغة (فَعيل) في داخل التركيب والدلالة هنا (المضي) .

وجعل من قرينة السياق ، والعلاقة الاعرابية وسيلة للتفريق بين الصيغ التي تشترك في البناء ، وتقع (الواو) ضمن البناء الذي (تلحق ثالثة فيكون الاسم على (فَعول) نحو : (عَمُود) و (خروف) والصفة نحو : (صَدوق)[71] وتأتي (فَعول) بناء مشتركا بين الاسمية والمبالغة ، فاذا اريد من (فَعول) مبالغة في فِعْلٍ أجري مجرى الفعل في العمل قال سيبويه : « وتقول : (أعبدُ الله أنتَ رَسُولٌ له ورسولُهُ ؟) ؛ لانك لا تريد بـ (فَعول) ههنا ما تريد به في (ضَروب) ؛ لانك لا تريد ان توقع منه فعلاً عليه ، وإنما هو بمنزلة قولك : (أعبدُ الله أنتَ عجوزٌ له ؟) وتقول : أعبدُ الله أنتَ له خليلٌ ؟) و (أعبدُ الله أنتَ له جليسٌ ؟) لانك لا تريد به مبالغة في فِعْلٍ ... فإنما هذا اسم بمنزلة قولك : (أعبدُ الله أنتَ وَصِيفٌ له أو غلامٌ له ؟ »[72] .

والاستناد الى قرينة السياق في معرفة وظيفة البناء ، ودلالته ملحظ يمضي اذ يهدف الدرس اللغوي الحديث الى : « معرفة النظام الكامل لدلالات المفردات اولاً ، ثم طرق اقتران بعضها ببعض لتكوين الجمل ذات المعنى المفهوم والمقبول ، وذلك من خلال اللغة نفسها »[73] وتشترك (الياء) مع لاصقة (التضعيف) لتأدية دلالة المبالغة في الوصف و (الالة) ، ويستعمل في المبالغة للمولع بالفعل نحو (صِدّيق) و (شِرِّيب) ، فـ (صِدّيق) بالغة في كونه صادقاً[74] و (شِرِّيب) المولع بالشراب[75] .

قال سيبويه في هذا البناء : « ويكون على (فِعِّيل) فيهما فالاسم نحو (السِّكِّين) ... والصفة نحو : (الشِّرِّيب) و (الفِسِّيق) »[76]

اللواصق التصريفية :

(الـ) و (التنوين) وهما لاصقتان مقيدتان تضافان الى بنية الكلمة (المورفيم الحر) لتأدية وظائف نحوية ودلالية ، فقد جعل سيبويه (الـ) بمنزلة (قد وسوف) في كونها وحدة صرفية مقيدة ومفصولة عن الاسم ، قال : « ولولا ان الالف واللام ، بمنزلة (قد وسوف) لكانتا بناء بني عليه الاسم لا يفارقه ...)[77] وهما ، اي : (الالف واللام) « تدخلان للتعريف وتخرجان »[78] ويقول في موضع اخر من كتابه : « فالنكرة تعرف بالالف واللام »[79]

وذكر سيبويه للاصقة (الـ) وظائف اخر الى جانب دلالتها على (التعريف) منها الدلالة على معنى (الذي) حين تسبق (اسم الفاعل) :

(الـ + اسم الفاعل = الذي فعل)

وقال : « وذلك قولك : (هذا الضارب زيداً) فصار في معنى (هذا الذي ضَرَبَ زيداً) وعمل عمله لان (الالف واللام) منعتا الإضافة فصارتا بمنزلة التنوين ، وكذلك (هذا الضّاربُ الرَّجُلَ) وهو وجه الكلام »[80] إنّ نص سيبويه يكشف عن العلاقة التبادلية بين الوحدة الصرفية والتركيب النحوي ، والدلالة التي يؤول اليها ذلك التركيب من خلال الاستناد الى البنية الصرفية ، ويظهر ذلك بوضوح عندما نوازن بين تركيبين يحتويان على (اسم الفاعل) تلحقه لاصقة (التنوين) في الاول واللاصقة (الـ) في الثاني وأثر ذلك في بيان الدلالة الزمنية للاصقتين نحو :

هذا ضارب زيداً أمس ← (التنوين = الاستقبال) و (امس - المضي)

هذا الضاربُ زيداً امس ← (الـ + الذي ضرب) و (امس - المضي)

فالتركيب الاول لا تنطبق عليه شروط الصحة الدلالية ، لأن التنوين مع اسم الفاعل يدل على الاستقبال فلا تنسجم مع (امس) الذي يدل على المضي ، فالصحيح ان يقال (هذا ضاربٌ زيدٍ أمسِ) .

اما التركيب الثاني ، فتنطبق عليه شروط الصحة الدلالية ، ومرد ذلك دخول (الـ) على اسم الفاعل ، فهي اشعار بأنّ (اسم الفاعل) منع من التنوين ، وصار بمعنى (الذي ضَرَبَ) وهذا التركيب الذي يدل على المضي ينسجم مع (أمسِ) .

وفي مجال الربط بين طبيعة بناء الوحدة الصرفية ، وأثرها في تحديد العلاقات الصوتية ، ومن ثم دلالات التركيب النحوي يذكر سيبويه اثر اللاصقة (الـ) في تغيير الحالة الإعرابية يقول : « وذلك قولك : (اما سِمناً فسمين) و (أما علماً فعالمٌ) ... فإذا أدخلت (الالف واللام) رفعوا لانه يمتنع من ان يكون حالًا ، وتقول (اما العلمُ فعالمٌ بالعلمِ »[81] اما (التنوين) فهي لاحقة تلحق الاسماء للدلالة على (التنكير) يقول سيبويه : « لان التنوين لازم للنكرة على كل حال »[82] واذا لحقت بـ (اسم الفاعل) دلت على الحضور والاستقبال « فهذا - اي صيغة اسم الفاعل - أُجْرِيَ مُجرَى الفعل المضارع في العمل والمعنى منوناً »[83]

وعلى هذا : « تقول (إنّ عبدَ الله لَيفعلُ) فيوافق قولك لفاعلٌ)[84] وهذه الطريقة في تصنيف اجزاء الكلام يعتمدها

الدرس اللغوي الحديث فتُعرف بمنهج التوزيع (Distribution) وإذا دل اسم الفاعل على المُضي فهو بغير التنوين قال سيبويه : « فإذا أخبر أن الفعل قد وقع وانقطع فهو بغير تنوين البتةَ ... وذلك قولك : (هذا ضاربُ عبدِ الله وأخيه) »[٨٥]

(فالتنوين) يُحدد الدلالة الزمنية لاسم الفاعل الى جانب وظيفته النحوية من خلال دخوله في علاقات سياقية . وقد لا يكون التنوين دلالة على التنكير بل إشارة الى زمن معين في الظروف ، كما هو مبين في عبارة سيبويه : « ومثل ذلك (صيد عليه صباحاً ومساءً » وعشية وعشاءً) اذا أردت عشاءَ يومِك ومساءَ ليلتِك ، لانهم لم يستعملوه على هذا المعنى الا ظرفاً »[٨٦] . وهذا الامر مغاير لما هو شائع في اللغة من ان التنوين علامة للتنكير غير ان سيبويه يصدر عن منهج وصفي ، ينقل ما هو مستعمل وجارٍ على السنة العرب .

• السين وسوف :

يدل المضارع على الحضور عند اقترانه بلواصق المضارعة وهي (الهمزة ، والياء ، والتاء ، والنون) قال عنها سيبويه : « وهن يلحقن أوائل في كل فعل مزيد وغير مزيد ، اذا عنيت ان الفعل لم تُمضِهِ . وذلك قولك : (أفعلُ) و (يفعلُ) و (نفعلُ) و (تفعلُ)[٨٧]

واذا اريد بالفعل المضارع الدلالة على الاستقبال ، فإن ذلك الامر مناط بلاصقتي الاستقبال (السين) و (سوف) . يقول سيبويه : « والسين التي في قولك : (سَيَفْعلُ) وزعم الخليل انها جواب (لَنْ يَفْعَلَ »[٨٨] . وقال في موضع اخر : « واذا قال : « سوف يفعلُ) فإن نفيه (لَن يفعلَ) »[٨٩] .

والملاحظ ان سيبويه لم يذكر الفروق الدلالية بين الـ (سين) و (سوف) على المستقبل ، غير ان البحث اللغوي الحديث جعل (سيفعل) للمستقبل القريب و (سوف يفعل) للمستقبل البعيد ، فهما « مورفيمان زمنيان يؤديان وظيفتين مختلفتين من حيث الجهة الزمنية »[٩٠] .

وهما يدخلان على الفعل المضارع للدلالة على الزمن ، وهما لاصقتان منفصلتان عن البنية الصرفية الحرة ، وقد جعلهما سيبويه بمنزلة الالف واللام ، في قوله : « ونقول : سيفعل ذلك) و (سوف يفعل ذلك) ، فتلحقها هذين الحرفين لمعنىً كما تلحق (الالف واللام) الاسماء للمعرفة ..... »[٩١]

وليس ثمة في الاستعمال القرآني فرق دلالي في الزمن بين اللاصقتين ، قال تعالى : « ولكن انظُر الى الجبَل فإن استقر مكانَهُ فَسوفَ تَراني »[٩٢] وقال تعالى : « وسَوفَ ينبّئهم الله بما كانوا يَصنعُون »[٩٣] وقال تعالى : « وسَيعلَم الكُفّار لِمَنْ عُقبى الدّار »[٩٤]

• التاء المربوطة :

من اللواصق التي تخص الابنية العربية ، وتؤدي وظائف دلالية متعددة، لاصقة (التاء) . ومن اشهر معاني هذه اللاصقة ، الدلالة على كثرة الشيء بالمكان قال سيبويه : « اذا أردتَ أنْ تكثُر الشيءُ بالمكانِ . وذلك قولك : (أرضٌ مَسْبعة) و (ماسَدةٌ) و (مذأبةٌ) »[٩٥] . وذلك اذا كثر السبع ، والاسد والذئب في المكان وتأتي هذه اللاصقة للدلالة على المفرد في بناء (فَعْل) قال سيبويه : « فاما ما كان على ثلاثة احرف وكان (فَعْلاً) فهو نحو : (طَلْحٍ) والواحدة : (طَلْحةٌ) و (تمرٍ) والواحدةُ (تمرةٌ) و (نخلٍ) و (نخلةٍ) و (صخرٍ) و (صخرةٍ) »[٩٦] .

وجاء في (الكامل) : « والحاجُ مع (حاجَةٍ) وتقديره (فَعْلة) و (فَعْل) كما نقول : (هامة) ، و (هامٌ) ساعةٌ وساعٌ »[٩٧] ، وتأتي هذه اللاصقة لاحقة لما كان على (فاعِل) او (مُفعِل) من الصفات المختصة بالمؤنث بغير (هاء التأنيث نحو : حائض وطالق ومرضع . ففي الحاق (الهاء) دلالة على ان الاسم جاء على الفعل ، و « معنى ارادة الفعل كونه للتجدد والحدوث كالفعل »[٩٨] وبغير (الهاء) فهو الدلالة على النسب و « ما كان بمعنى النسب ليس كذلك بل هو للثبوت »[٩٩] . وقد ذكر سيبويه : « انهم اذا قالوا : (حائض) فانه لم يخرجه على الفعل كما انه حين قال : (دارعٌ) لم يخرجه على (فَعَلَ) وكانه قال : (بِزعِيّ) فانما اراد : (ذاتُ حيضٍ) ولم يجيء على الفعل . وكذلك قولهم (مُرضِعٌ) اذا اردت : ذاتُ رِضاع ولم يجرها على (أرْضَعَتْ) ولا تُرْضِعُ) . فاذا اراد ذلك قال : (مُرضِعةٌ) »[١٠٠] لهذا لا يقال : (هذه امرأةٌ مرضعٌ ولدَها) لانها تفيد النسب . قال تعالى : « يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كلُ مُرْضِعَةٍ عمّا أرْضَعَتْ »[١٠١] اي في اثناء الرضاعة فالبناء هنا يجري على الفعل الدال على زمن الرضاعة بوجود اللاصقة (الهاء) .

هذه هي اهم اللواصق التي تضاف الى الكلمة ، وتؤدي دلالات معنوية واخرى زمنية ، وهي (لواصق تصريفية) تختلف عن اللواصق الاشتقاقية ، التي تضاف على الجذور وتقوم بوظائف اشتقاقية[١٠٢] . والجهد الذي بذله سيبويه في الكشف عن الحدود الشكلية للابنية . ووظائفها ، وبيان دلالاتها في مجال منهجه الوصفي لا يختلف عن الجهد الذي يبذله الباحث اللغوي الحديث الذي يدرس بنية الكلمة من حيث الجذور والاضافة في مجال الاصوات ، واللواصق على أنها وحدات نحوية لها مستويات وظيفية داخل بنية التركيب النحوي[١٠٣] .

نتائج البحث :

١ ـ تلتقي المستويات اللغوية في ذروة علاقاتها القائمة على التآلف عند المستوى الدلالي الذي يشكل غاية ما يؤول اليه الباحث في دورة كلامية تحقق اجتماعية اللغة .

٢ ـ تتنوع الاتجاهات الدراسية في طبيعة تحليلها للمستوى الدلالي ، من اتجاه سلوكي ، وسياقي ، واجتماعي ،

ولغوي يعمل على الربط بين المستويات اللغوية في شبكة من العلاقات تجد نفسها في اطار منسجم يعرف بالنظم .

٣ ـ لكل لغة نسق معين من العلاقات ، ومن ثم تركيب مخصوص من النظم وسمات متميزة تملي على الباحث انه يسير على هدى من منهج يتواءم مع تلك اللغة .

٤ ـ ان هيمنة السمة الاشتقاقية على اللغة العربية تجعل الدارس يربط بين تلك السمة ومفهوم الدلالة ، من خلال ابراز المصوتات الستة التي تؤدي وظائف دلالية متنوعة .

٥ ـ إنّ ميزة الاشتقاقية للغة العربية لا تعني التغافل عن اللواصق التصريفية التي لها اثر واضح في توجيه الدلالة المعجمية والاجتماعية والزمنية .

٦ ـ وجد الدرس الدلالي سبيله الى الموروث اللغوي ، وقد اهتدى سيبويه الى الكشف عن فلسفة اللغة العربية وعمق اسرارها ومهد الطريق واسعاً امام الدارسين لتناول المستوى الدلالي في اللغة العربية ضمن اطار الدلالة المجردة او الزمنية .

٧ ـ ان قراءة الموروث اللغوي واستشراف آفاقه يفتح امام الباحث طرائق جديدة في كيفية استنطاق النص ومقارنته بما آلت اليه الدراسات اللغوية الحديثة من تطور .

۞ هوامش البحث :

[١] علم الدلالة : د . احمد مختار عمر : ٥
[٢] علم الدلالة بين العرب والغرب : ٦٠ ـ ٦١
[٣ ، ٤] علم الدلالة (بالمر) : ١٧ ، ١٨ ، The Prineiples of sematics
[5] Lang uage :
[6] The meaning of meaning : P : 7
[٧] منهاج البلغاء وسراج الادباء : ١٨
[٨] علم الدلالة : ٣٧ .
[٩] دلائل الاعجاز : ٤١
[10] Firth's Theory of meaning : P : 288
[11] Meaning and style : P : 8
[١٢] ينظر في ذلك : الكتاب : ١ / ٥٥ ، ٣٠١ ، ٣٣٩ ، ٣ / ٤٤٦
ولمزيد من التفصيل ينظر بحثنا الموسوم : (التنغيم ودلالات التراكيب النحوية ، المنشور في مجلة كلية الاداب والعلوم العدد (١) ١٩٩٨ .
[١٣] اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٢٦
[١٤] علم الدلالة (بالمر) : ١٣١
[١٥] علم اللغة العام (دي سوسير) : ٢٧
[١٦] دراسة الصوت اللغوي : ٣٤٧
[17] Introducting Applied Linguistics : P . 170
[١٨] مناهج البحث في اللغة : ٢٨٨
[19] New Horizons in Linguistics : P . 80
[20] Language : P : 78
ينظر ذلك في كتاب (بلومفليد)
[٢١] اللغة العربية معناها ومبناها : ٥٠ [٢٢] الكتاب : ٤ / ٣١٨
[٢٣] الكتاب : ٣ / ٦٢٨ [٢٤ ، ٢٥] الكتاب : ٤ / ٩٢
[٢٦ ، ٢٧] الكتاب : ٤ / ٨٧ (sapir)
[28] Language P . 73
[29] Linguistics : (cristal) : P . 229
[٣٠] فضلت مصطلح العلامات الصوتية ، لأنها اعم وأشمل من (العلامات الاعرابية) ، التي هي فرع على العلامات الصوتية ، وهذا المقترح يوجه النظر الى التغيرات التي تطرأ على البنية الداخلية للوحدات الصرفية من غير الاقتصار على تغييرات اواخر الكلم .
ينظر في ذلك : المنهج الوصفي في كتاب سيبويه : ٢٤٦
[٣١] تشومسكى والثورة اللغوية : ١٤٠ ـ ١٤١
[٣٢] الكتاب : ٣ / ١٢٢ [٣٣ ، ٣٤] الكتاب ٢ / ٢٩
[٣٥ ، ٣٦] الكتاب : ١ / ٣٦١ [٣٧] ينظر معاني النحو : ١ / ٣٣
[٣٨] النمل ، آية ١٩ [٣٩] الكتاب : ٣ / ٣٦ .
[٤٠] الكتاب : ١ / ٣٣١ [٤١] علم الدلالة (بالمر) : ٤٠
[42]An Interoduetion to Descriptive Linguistics : P — 56
[43] Modern Linguis[illegible] : p . 96 — 2
[٤٤] علم اللغة العام (دي سوسير) : ١٥٤
[٤٥] الكتاب : ٤ / ٢٤٦ [٤٦ ، ٤٧] شرح الرضي : ٣ / ٤١٣
[٤٨] ينظر شرح شذور الذهب : ٣٨٥ ، المهذب في علم التصريف : ٢٥٢
[٤٩] شرح الرضي : ٣ / ٤١٤ [٥٠] هود : ١٢
[٥١] شرح الرضي : ٣ / ٤١٤ ، شازب ومقور بمعنى (ضامر)
[٥٢] الكهف : ١٨ [٥٣] المائدة : ٥
[٥٤] حاشية الصبان : ٢ / ٢٩٥ [٥٥] اللكتاب : ٣ / ٢٨٣
[٥٦] الكتاب : ١ / ١١٠
[٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠] الكتاب : ١ / ١١١
[٦١] همع الهوامع : ٢ / ٩٧ [٦٢] الكتاب : ٣ / ٣٨١
[٦٣] الكتاب : ٤ / ٢٦٧ [٦٤] بدائع الفوائد : ٢ / ٨٨
[٦٥] الكتاب : ٤ / ٣٥ [٦٦] الكتاب : ٤ / ٢٤٢
[٦٧] ابنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢٨١
[٦٨] معاني الابنية : ٦٠
[٦٩] معاني الابنية : ٦١ [٧٠] الكاب : ٣ / ٦٤٨
[٧١] الكتاب : ٤ / ٢٧٤. [٧٢] الكتاب : ١ / ١١٧
[٧٣] دور الكلمة في اللغة : ١٦٤
[٧٤] التفسير الكبير : ١٠ / ١٧٢
[٧٥] الفرزنق اللغوية : ١٦٤ [٧٦] الكتاب : ٤ / ٢٦٨
[٧٧ ، ٧٨] الكتاب : ٣ / ٣٢٥ [٧٩] الكتاب : ٣ / ٣٢٥
[٨٠] الكتاب : ١ / ١٨١ ـ ١٨٢ [٨١] الكتاب : ١ / ٣٨٤
[٨٢] الكتاب : ٢ / ٢٠٢ [٨٣] الكتاب : ١ / ١٦٤
[٨٤] الكتاب : ١ / ١٤ [٨٥] الكتاب : ١ / ١٧١
[٨٦] الكتاب : ١ / ٢٢٧ [٨٧] الكتاب : ٤ / ٢٨٧
[٨٨] الكتاب : ٤ / ٢١٧ [٨٩] الكتاب : ٣ / ١١٧
[٩٠] الزمن واللغة : ٣٦٧ [٩١] الكتاب : ١ / ١٤
[٩٢] الاعراف : ١٤٣ [٩٣] المائدة : ١٤ [٩٤] الرعد : ٤٢

[٩٥] الكتاب : ٤ / ٩٤ . وينظر شرح الرضي على الشافية : ١ / ٨٤
[٩٦] الكتاب : ٣ / ٥٨٢
[٩٧] الكامل في اللغة والادب : ١٦٥
[٩٨ ، ٩٩] حاشية الصبان : ٢ / ٢٩٥
[١٠٠] الكتاب : ٣ / ٣٨٣ - ٣٨٤
[١٠١] الحج : ٢
[102 , 103] Discovering Grammar .

مصادر البحث ومراجعه :

• الكتب العربية

- ابنية الصرف في كتاب سيبويه : الدكتورة : خديجة الحديثي ، منشورات مكتبة النهضة ، ط ١ ، بغداد ، (١٩٦٥ م)

- بدائع الفوائد : محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) ، دار الطباعة المنيرية بمصر (١٩٦٦ م) .

- التفسير الكبير : ابو عبد الله فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ، المطبعة البهية ، القاهرة (١٩٣٥ هـ)

- حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية ابن مالك : ابو العرفان محمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٥ هـ) ، دار الاحياء العربية ، عيسى البابي الحلبي بمصر (د . ت)

- دراسة الصوت اللغوي : الدكتور احمد مختار عمر ، مطابع سجل العرب ، ط ١ (١٩٧٦ م)

- دلائل الاعجاز : ابو بكر عبد القاهر بن الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ، تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت (١٩٧٨ م) .

- دور الكلمة في اللغة : تأليف (ستفن اولمان) تعريب الدكتور كمال محمد بشر ، القاهرة ، ط ٤ ، (١٩٧٥ م)

- الزمن واللغة : مالك يوسف المطلبي / جامعة بغداد / كلية الآداب ، (١٩٨٤ م) ، (رسالة دكتوراه - طبعت ....)

- شرح شافية ابن الحاجب : رضي الدين الاسترآبادي (ت ٦٨٦ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وجماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٩٧٥ م)

- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : ابن هشام الانصاري ، (ت ٧٦١ هـ) ، ط ١ (١٩٦٥ م) (د . م)

- شرح كافية ابن الحاجب : رضي الدين الاسترابادي (ت ٦٨٠ هـ) من عمل يوسف عمر ، مطبوعات جامعة قاريونس (١٩٨٧ م)

- علم الدلالة : الدكتور احمد مختار عمر ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، ط ١ ، الكويت (١٩٨٢ م)

- علم الدلالة : أ . بالمر ، ترجمة مجيد الماشطة ، مطبعة العمال المركزية ، بغداد (١٩٨٥ م)

- علم اللغة العام : (فردينان دي سوسير) ، ترجمة الدكتور يوئيل ، يوسف عزيز ، دار افاق عربية ، بغداد (١٩٨٥ م)

- الفروق اللغوية : ابو الهلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان (د . ت)

- الكامل في اللغة والادب : ابو العباس المبرد (ت ٢٨٥ هـ) ، تحقيق الدكتور زكي مبارك ، ط ١ مطبعة البابي الحلبي (١٩٣٦ م)

- كتاب سيبويه : طبعة مصورة عن طبعة بولاق الاولى (١٣١٦ هـ)

- كتاب سيبويه : تحقيق عبد السلام هارون ، الناشر مكتبة الخانجي ، ط ٣ ، (١٩٨٨ م)

- اللغة العربية معناها ومبناها : الدكتور تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة (١٩٧٣ م)

- معاني الابنية في العربية : الدكتور فاضل السامرائي ، جامعة بغداد ، ط ١ ، (١٩٨١ م)

- معاني النحو : الدكتور فاضل السامرائي ، مطبعة التعليم العالي / الموصل ، العراق (د . ت)

- مناهج البحث في اللغة ، الدكتور تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، (١٩٧٩ م)

- منهاج البلغاء وسراج الادباء : ابو الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٦ هـ) تقديم وتحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة ، تونس (١٩٦٦ م)

- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه : الدكتور نوزاد حسن أحمد ، مطبوعات جامعة قاريونس ، الجماهيرية الليبية (١٩٩٦ م)

- المهذب في علم التصريف : د . هاشم طه شلاش وجماعة ، مطبعة التعليم العالي ، الموصل (١٩٨٦ م)

- همع الهوامع شرح جمع الجوامع : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تصحيح محمد النعساني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت (د . ت)

الدراسات المنشورة في المجلات :

• تشومسكي والثورة اللغوية : جون سيرل ، ترجمة هيئة التحرير ، مجلة الفكر العربي ، بيروت ، العددان (٨ ، ٩) ، ك ٢ (١٩٧٩ م)

• التقديم ودلالات التأخير : الدكتور فؤاد حسن احمد ، مجلة كلية الاداب والعلوم ، العدد (١) ، (١٩٩٧ م)

• علم الدلالة بين العرب والغرب : عبد الكريم مجاهد ، مجلة الاقلام ، العدد الخامس ، السنة السادسة عشرة ، بغداد ، ١٩٨١ م

الكتب الانكليزية

- Ar Intro duction to Descripti e Linguistics , H . cleasson , New York , 1961 .

- Discovering Grammar , H Jakson / pergamon press / Great Britain / 1982 .

- Firth's theory of meaning , J ,Lyons , London . 1957 .

- Introductory Applied Linguistics / S . pit . coder / Australia 1973

- Modern Linguistics D . smith and wilson penguin Books , imiddle sex , 1979

New Horizons in Liuguistics . J . Lyons , penguim Books , 1970

- Language , Bloom Field , London / 1962

- Language , sapir / New York , 1921

- Liuguistics D . Crystal , penguin Books , 1981

- The meaning of meaning , ogden and Richard , London Paul , 1949

- principles of semantics , s , uilmann , Glasgow and oxford , 1957

المعجم المبسط
لـ « ملحمة جلجامش »

وضع وترتيب
داود سلمان الشويلي

● لماذا هذا المعجم ؟

ان من يقرأ ملحمة (جلجامش) - وفي اية ترجمة كانت - يجد فيها الكثير من الالفاظ والمسميات التي (تستعجم) على الفهم ... اذ ان قراءتها لا تحتاج الى قراءة اللغة التي وضعت فيها قبل الاف السنين فحسب ، بل تحتاج الى قراءة التاريخ الادبي والانساني بكل تشعباته (الاجتماعية والدينية والاقتصادية والجغرافية .... الخ) لكي يحل ذلك الاعجام .

واذ يصعب الوقوف على حل ما جاء في ذلك التاريخ ، فان مثل هذا المعجم سيتكفل بتلك المهمة . لهذا فان الفائدة ستكون عميمة .. وهذا كل ما ابتغيه .. وآمل ان اكون قد وفقت الى ذلك .. ومن الله التوفيق .

■ مقدمة : -

من أوجز التعاريف واكملها والتي تعطي لمصطلح الملحمة معناه الكامل ، هو التعريف الذي مؤداه ، ان الملحمة هي : « القصيدة الطويلة التي تسجل الاعمال البطولية الخارقة التي صدرت عن بعض الابطال الحقيقيين او الاسطوريين ، والتي تمتزج فيها افعال البشر وتصرفات بعض الكائنات الاعجازية الخفية كالالهة والمردة والشياطين والوحوش المخيفة المهولة ، بل ايضاً بعض القوى الكونية والظواهر الطبيعية التي تقوم بدور مساعد ولكنه فعال في انجاز هذه الاعمال البطولية »(١) .

وملحمة (جلجامش) هي نص ادبي يجمع ما بين التاريخ والاسطورة(٢) . يتحدث عن شخصية تاريخية حقيقية (الملك الخامس من ملوك اوروك بعد الطوفان)(٣) بعد ان البستها لبوساً متلوناً بالوان اسطوريه .

وهي ، كذلك ، قد دونت ، او صيغت بلغة ادبية بعد وقوع ما هو تاريخي بمئات السنين بلغة غير لغة القوم الذين تتحدث الاسطورة - الملحمة عن بطلهم .

وبالرغم من ان هذه الدراسة معنية في الاساس لتاسيس معجم مبسط لمفرداتها . الا انه من المفيد الحديث عن البطل الاسطوري الذي خلقته هذه الملحمة - الاسطورة ، بعد ان انتزعه التفكير الجمعي الشعبي من مظان التاريخ والبسه حلة اسطورية داخل جنس ادبي اطلق عليه اسم (الملحمة) .

ان الجانب الاسطوري ، ياخذ مداه الواسع والعميق في بناء هذه الملحمة . ذلك لان الاسطورة - بصورة عامة - هي واحدة من وسائل التعبير الشعبي ذات الاصول القديمة .

ان اسطورة - ملحمة (جلجامش) واحدة من تلك الاساطير التي حاول الانسان من خلالها التعبير عما كان يفكر به ، خاصة العلاقة بين الانسان والالهه ، الانسان والخالق .

لقد تحول صراع الانسان ، من صراع ضد الطبيعة ، الى صراع مع الالهة وضدها ، لان الاعتقاد ، بان الطبيعة هي كل شيء ، قد تغير الى اعتقاد آخر ، هو ، ان هنالك قوى اخرى غيرها ، هذه القوى اخذت - بعد ان تجسدت في اشكال مختلفة ومتنوعة - اسماء ووظائف عديدة ، تجسدت تحت مفهوم الالهة وقد احتفظت - تلك الالهة - لنفسها بالخلود وحرمته على البشر .

ولما كان الانسان ينزع الى ما هو ابعد من محيطه ، واكبر من طاقته ، راح يحاول الحصول على ما افتقده ، وهو الخلود . فخطط الى ان ينتزعه انتزاعاً عندما تاكد له ان الالهة سوف لن تمنحه له ، او ان تمنّ به عليه ، وكان (جلجامش) واحداً من اولئك الرجال الذين حاولوا ذلك .

والسؤال الذي يمكن طرحه ، هو : هل كان (جلجامش) بطلاً حقاً في سعيه للوصول الى هدف قد وضعه نصب عينيه ، ام كان شخصية عادية ؟

ان قراءة أولية للملحمة - الاسطورة ، تؤكد لنا ان هذا الانسان ، قد كان بطلاً حقاً ، وهو يحاول الوصول الى مبتغاه .. بطل من خلال : -

١ - ادراكه الواعي بان هنالك ما يفتقد اليه ، وهو ما يمكن ان نطلق عليه حسب تصنيفات (بـروب) : - « الاحساس بالنقص » .

٢ - اختياره لنفسه ، للقيام بهذا الدور الكبير والحصول على ذلك الشيء المفتقد . « اختيار البطل » .

٣ - تشخيصه الدقيق لعدوه . « معرفة العدو » .

٤ - السير في تنفيذ خطته للوصول الى هدفه . « خروج البطل » ومهما كانت النتيجة التي وصل اليها « جلجامش » رغم ما لهذه النتيجة من دور كبير في انتاج هذه الاسطورة ، فان « جلجامش » يعد بحق بطلاً اسطورياً متكاملاً .

ان اللوح التاسع ، وفي العمود الاول[٤] ، يصور لنا ذلك الصراع الداخلي الذي نشأ في تفكير واحساس « جلجامش » ، والبحث عن الكيفية التي يمكن التخلص بها من الموت . فها هو يتساءل : -

« اذا مامت أفلا يكون مصيري مثل انكيدو؟
لقد حل الحزن والاسى بروحي
خفت من الموت ، وها انا اهيم في البراري »[٥]

من هنا يبدأ وعي « جلجامش » بما يفتقد اليه ، وايضاً بالسبيل الى الحصول على ذلك . وهكذا يختار نفسه للقيام بذلك الدور الكبير . ولو قُدر له ان يفوز في تلك (المعركة) مع الالهة ، ويحصل على الخلود ، لتغير وجه الانسانية . لكن الالهة التي احتفظت بالخلود لنفسها وحرمته على الانسان ، كانت قد قدرت ان لا يحصل عليه اي انسان مهما كانت صفاته ، او مكانته ، او مركزه ، حتى لو كان « جلجامش » نفسه ، بثلثه الانساني وثلثيه الالهيين ، وهذا لا يعني ان الخطأ الذي وقع فيه « جلجامش » عندما ترك « العشبة » تاكلها الحية هو السبب في ذلك ، بل كان (القدر) المرسوم له من قبل الالهة .. ومن هنا - بالضبط - ادرك الانسان ، ان الخلود ليس معناه ، الا يموت ، وانما هو اعظم واسمى من ذلك ، انه (العمل) . العمل الذي يترك الانسان اسمه عليه ليعيش بين الاجيال على مر السنين والعصور .

ان ما قدمته هذه الاسطورة من بطولة - رغم كون جلجامش شخصية تاريخية - فانها قد رسمت - ايضاً - الملامح الاساسية للبطل الاسطوري ، وهذه الملامح الاساسية يمكن التوصل اليها من خلال الاسطورة نفسها . لان التفكير الشعبي الذي انتجها قد جسد فيها البطولة الانسانية الحقة التي كان يطمح اليها .

ومن الملامح الاساسية للبطل الاسطوري ، كما جاءت في الملحمة - الاسطورة ، هذه ، هي : -

١ - فرادة ميلاد البطل ، وهذا ما اكده النص ، اذ ان « جلجامش » قد ولد و « ثلثيه آله وثلثه بشر » .

٢ - جمال خلقته . « هو راعينا القوي ، كامل الجمال والحكمة » .

٣ - يمتاز بقوة جسدية خارقة : « وهيئة جسمه مخيفة كالثور الوحشي » .

٤ - يعرف كل شيء : « هو الذي رأى كل شيء ، فغني بذكره يابلادي .
وهو الذي عرف جميع الاشياء وافاد من عبرها وهو الحكيم العارف بكل شيء .
لقد ابصر الاسرار وكشف عن الخفايا » .

٥ - كامل الرجولة : « جعل الالهة العظام صورة گلگامش كاملة تامة » .

٦ - حبيب الالهة : - « حباه - شمش - السماوي بالحسن وخصه أدد بالبطولة »

٧ - انسان طموح . فها هو يقول لانكيدو عندما ساله عن سبب ذهابه الى الغابة : « اريد جبلها الفني » .

٨ - مغامر .

× × × × × ×

ان ما تمثله بطولة « جلجامش » في مسيرة البطولة الشعبية ، هي انها بطولة « فكرية » . واقصد بذلك ، انها تحاول تاكيد مفهوم خاص عن فكرة عامة ، هي فكرة الخلود . وقد تظافرت عوامل عدة لتجعل من « جلجامش » بطلاً حقيقياً تتجسد فيه تلك البطولة ، وهي العوامل نفسها التي جعلت منه انساناً مميزاً عن الاخرين .

لقد لعب « جلجامش » دور الوسيط بين الانسان والآلهة للحصول على الخلود ، وهكذا اصطفى التفكير الشعبي « جلجامش » - الانسان ، الذي اكتشف فيه الخصال التي يرغب أن تكون في من يمثله في الصراع ، ليحمل راية ذلك الصراع للوصول الى ما ترجوه الانسانية .

× × × × × ×

« المعجم »

• حرف – أ –

١ – ابسو APSU :- حسب الاساطير العراقيه القديمة هو: « الماء العذب » . وحسب قصة الخليقة البابلية « عندما في الاعالي » (انوما أليش) ، كذلك ، وان امتزاجه مع الماء المالح (تيامه) او (تيامات) – العنصر الانثوي في عملية الخلق – ولد (ممو) ومن بعده عدد من الالهة .

وترد في الملحمة – الجزء الخاص بقصة الطوفان – مرة في باب المجاز بشكل تمثيل عندما ينبه الاله (أيا) ، (اوتو – نابشتم) بان يبني له سفينة عمقها مثل مياه (أبسو) .

وترد مرة اخرى كمكان جغرافي يهرب اليه (اوتو – نابشتم) بعيداً عن (ارض انليل) ليعيش مع (أيا) كما تقول الملحمة . (ص ١٣٤) .

انن ، فهو (مياه العمق) ، المياه الجوفية العذبة التي مصدر كل مياه الانهار . . . كان (ابسو) لفظ بابلي ، فان اللفظة السومرية هي (NAMMU) وتعني (المياه الازلية) .

٢ – اترحاسيس : – انظر (اوتو – نابشتم) (التسلسل ١٤) .

٣ – أدد ADAD : – إله العواصف والمطر والجو ، والوحي والعارف بالغيب وقرن اسمه مع إله سومري يدعى (ايم) ولفظ (ايشكور) ، و (ادد) لفظه سامية – عربية قديمة (كنعانية) .

٤ – ارورو ARURU : – الهة الخلق ، والتي صنعت (انكيدو) من الطين على صورة (آنو) .

٥ – إشخاره : – اما ان تكون صورة من صور (عشتار) او واحدة من الهات الحب .

٦ – انتم ANTUM : – هي زوجة (أنو) وام (عشتار) وتلفظ في بعض الترجمات (انتو) كصيغة مؤنثة من (آنو) .

٧ – انشان ANSHAN : – وهواقليم في بلاد عيلام (عربستان) حالياً . كانت مصدراً مهماً للاخشاب التي تصنع منها الاقواس .

٨ – انكيدو ANKIDU : – صديق (جلجامش) خلقته الالهة (أرورو) من الطين على صورة (آنو) . عاش في البرية مع الحيوانات المتوحشة كانسان فطري . استطاعت احدى المومسات من تحويله من انسان فطري متوحش الى انسان اجتماعي .

ان هذه الشخصية تعطي صورة للتطور الانساني عبر العصور من مرحلة الى اخرى . وقد كان للجنس (علاقة الرجل بالمرأة) دور هام وفاعل في تلك العملية .

٩ – إنليل ENLIL : – إله العاصفة ، وسيد الريح عند العراقيين القدامى . وهو إله الجو (EN – LIL) باللغة السومرية الفصحى . اما باللهجة العاميه فيلفظ (MU – UL – LIL) . وكذلك ، هو المسؤول عن تنظيم الكون وحراسه الواح القدر ، وقد حل محل (أنو) كرئيس للالهة في الفترات الاخيرة .

١٠ – آنو ANU : – وبالسومرية (آن = السماء) ، وهو ابو الالهة ، ورأس المجمع الالهي العراقي القديم . ومعنى اسمه بالسومرية « اللمعان والشروق » . زوجته (آنتو) وابنته (عشتار) وقيل ان (عشتار) زوجته . وبعد ان اقترن بها سماها (انتو) .

١١ – إنوكي ENNUGI : – هو (الحاجب) . ويترجم بعض الاحيان بالموظف الخاص بالري ، او آلة الري والمفتش على القنوات .

١٢ – أنوناكي ANNUNAKI : – هم الهة العالم السفلي وقضاة الموتى .

١٣ – اوبار – توتو UBARA – TUTU : – والد (اوتو – نابشتم) وأحد ملوك (شروباك) وقد ذكر اسمه كاحد ملوك (كيش) قبل الطوفان .

١٤ – اوتو – نابشتم UTNAPISHTIM : – وبالسومرية (زيوسودرا) . بطل الطوفان ، نوح السومري ، الذي انقذ البشرية من الطوفان ، وتصوره القصائد السومرية كملك وكاهن في (شروباك) ، ويترجم اسمه بـ(الذي رأى الحياة) وبعد الطوفان اخذته الالهة ليعيش عند (مصب الانهار) الى الابد . ويذكر السومريون انه يعيش في (دلمون) .

تطلق عليه الملحمة البابلية اسم (اترا – حاسيس) ومعناه (المفرط في الحس والفهم) .

١٥ – اوروك URUK : – احدى المدن السومرية ، وتلفظ (AR – KU – U) وقد ذكرت في العهد القديم باسم (ايريخ) وحالياً هي (الوركاء) التي تبعد عن خضر الدراجي بمسافة (١٨) كم شرقاً . وتذكر الاساطير ان (اوروك) قد تم بناؤها من قبل (مردوخ) . وكانت مؤلفة من قسمين ، احدهما (أي – انّا) الذي يضم المعابد ، وخاصة معبد (انانا = عشتار) والاله (آنو) . اما القسم الثاني فهو (كلاب ، اوكولاب ، قولاب) .

١٦ – اور – شنابي URSHANABI : – وبالبابلية القديمة (سورسونابو) وهو نوتي طلب منه ان يوصله الى (اوتو – نابشتم) عبر مياه الموت . لهذا عوقب من قبله فعاد مع (جلجامش) الى اوروك) .

١٧ – اولا ULA : – وهو النهر الذي يذكره (جلجامش) بعد موت (انكيدو) . لا يعرف موقعه على وجه التحديد ، ويحتمل ان يكون نهر (الكارون) .

١٨ – آي Ay : – زوج (شمش) وتلفظ (أيه) (AyA) .

١٩ – إيا EA : – وبالسومرية (أنكى AN – KI) . ويدعى بعض الاحيان (أن) وهو اله الماء وطقوس السحر والفال ، وعدّ خالقاً للكون وسيد القدر . وله معبد في (اريدو) . وحسب الاساطير ، فقد اختلط (انكي) بالارض (كي = KI) في

السومرية وانجبا (انليل) اله الهواء .

زوجته تدعى (ننكي) (سيدة الارض) .

في مكان آخر من الملحمة يدعى (نن – ايكي – كو) .

٢٠ – إي – أنا EANNA : – معبد الاله (أنو)في (اوروك) .

٢١ – ايتانا ETANNA : – ملك (كيش) الذي حكم بعد الطوفان ، وله ملحمة تحمل اسمه ، تروي انه قد حُمل الى السماء على ظهر نسر ، ويلقب بالراعي . ورد اسمه في اثبات الملوك السومرية بالترتيب الثالث عشر في سلالة كيش الاولى .

٢٢ – ايرا ERA : – اله الوباء والطاعون .

٢٣ – اير كالا IRKALLA : – اسم آخر لـ(ايريش – كيگال) ملكة العالم السفلي .

٢٤ – ايريش – كيگال ERESHKIGAL : – ملكة العالم السفلي ، وباللغة السومريه (كور) وهي اخت (عشتار) و (شمش) وتدعى احياناً (اركالا) .

بعد انفصال السماء عن الارض – حسب قصة الخلق السومرية – حملت (ايريش – كيگال) الى العالم السفلي . و (ايريش) بالاكدية تعني (ملكة ، سيدة) اما (كي – گال) فتعني بالسومرية (الارض العظيمة) .

٢٥ – ايشولنو ISHULLANU : – بستاني (آنو) الذي احبته (عشتار) فصدها . فاحالته الى ضفدع او خُلد .

٢٦ – ايكو EKU : – بابلي . مقياس للمساحة ويعادل (٢٦٠٠)م٢ ، او يساوي ٥ ـــــ ٦ من الفدان .

٢٧ – اي – كال – ماخ : – المعبد الذي فيه ام (جلجامش) تنسون) .

٢٨ – اي –كيكي EGIGI : – يطلق هذا الاسم على جميع الهة السماء .

• حرف (ب)

٢٩ – البرونز BRASS : – وهو المركب المعدني المعروف من النحاس والزنك ، وبالسومرية (GABAR) .

٣٠ – بعلة – صيري BELIT – SHERI : – وهي كاتبة ومسجلة العالم السفلي ، اذ انها تسجل لالهة العالم السفلي (ايريش – كيگال) مختلف شؤون العالم السفلي ، وربما هي نفسها الالهة (كشتن – أنا) اخت (دموزي) .

٣١ – بوزر – اموري PUSUR – AMURRI : – ملاح (اوتو – نابشتم) اثناء الطوفان

× × × × × ×

• حرف (ت)

٣٢ – تموز TAMMUZ : – ويلفظ بالسومرية (دموزي) ، وهو ابن الالهة (ايا) . يمثل قوة الخصوبة ورب الصيد والنباتات ، ومعنى اسمه (مسرع الصغير في رحم الام العميق) و (الابن البار) .

اعتقد العراقيون القدامى بموته في الصيف ، اذ ينزل الى العالم السفلي ليكون إلهاً فيه ، ويعود الى الحياة في الربيع بعد نزول عشتار بدلاً عنه .

كتبت عنه المراثي والاغاني ، خاصة عن علاقته بـ(عشتار) = (اينانا) .

× × × × × ×

• حرف (ث)

٣٣ – الثور السماوي : – هو الثور الذي خلقه (آنو) من اجل (عشتار) . ويأتي رمزاً لتجسيدالقحط . ووسيلة لاحلال العقاب الالهي بـ(جلجامش) ورفيقه (انكيدو) .

× × × × × ×

• حرف (ح) .

٣٤ – حراس الليل : – الالهة الموكلون بحراسة الليل .

٣٥ – الحكماء السبعة : – هم الحكماء الذين جلبوا الحضارة لاقدم سبع مدن عراقية .

× × × × × ×

حرف (خ)

٣٦ – خانيش HANISH : – وهو الرسول الالهي للعاصفة والطقس السيء . يرد في الملحمة مرافقاً لـ(شلاتSHULLAT)

٣٧ – خمبابا HUMBABA : – ويدعى (خوادا) أو (حواوا) . وهو حارس غابة الارز الوحشي . الذي قتله (جلجامش) و (انكيدو) .

× × × × × ×

• حرف (د)

٣٨ – ديلمون DILMUN : – هي الجنة السومرية ، المكان الذي تشرق منه الشمس ، وارض الاحياء . يقال انها في البحرين .

× × × × × ×

• حرف (ر)

٣٩ – الرجل العقرب : – حارس الجبل الذي تعود اليه الشمس . يعيش مع زوجته . نصفه الاعلى آدمي ونصفه الاسفل ينتهي بذيل

عقرب .

صنعته مياه الخلق الاولى لكي يحارب الالهة كما جاء في ملحمة (انو ما ليش) .

× × × × × ×

• حرف (ز)

٤٠ - زو ZU : - احدى المعبودات الصغيرة ، من ذرية (تيامات) الرهيبة . وقد سرقت (زو) - حسب الاساطير - الواح القدر من (انليل) وهربت الى الجبل وحدث رعب في السماء ، وبعد تشاور الالهة قام (الاله ادد) بقتلها واسترجاع الالواح . وكذلك هي طير الصاعقة .

× × × × × ×

• حرف (س)

٤١ - ساعة مضاعفة : - مقياس زمني . وان المسافة التي تقطع في الساعة البابلية المضاعفة تبلغ نحو فرسخين ، وبالضبط (٨ و ١٠) كم .

٤٢ - سيدوري SIDURI : - صاحبة الحانة . واسمها من اللغة الحورية ويعني (المرأة الشابة) وتصفها الملحمة كصانعة للخمر من الكروم . ويعتقد انها صورة من صور (عشتار)

٤٣ - سلايلي SILILI : - ام الحصان الذي احبته (عشتار) وخانته فراعت امه تبكيه . وهي آلهة كذلك .

٤٤ - سموقان SAMUKAN : - اله الحيوان .

٤٥ - سين SIN : - الاله السومري (نانا = القمر) المعبود السومري الرئيس . والد (اوتو) (عشتار) وابن (انليل وننليل) . عُبد في اور تحت اسم (نانار) ويصور كرجل له لحية طويلة ذات لون لازوردي ، وزوجته (ننگال = السيدة العظيمة) . ابناؤه (شاماش ، عشتار ، نسكو) .

× × × × × ×

• حرف (ش)

٤٦ - شار : - مقياس للحجوم والمساحات .

٤٧ - شروباك SHURUPAK : - المدينة الحديثه (فارا) والتي تقع على بعد ثمانية عشر ميلاً شمال غرب (اوروك) وهي احدى المدن السومرية ما قبل الطوفان . وموطن (اوتو - نابشتم) .

٤٨ - شلات SHULLAT : - انظر (سفانيش) التسلسل (٣٦) .

٤٩ - شمخة : - اسم علم للبغي التي اغوت (انكيدو) .

٥٠ - شمش SHAMASH : - الاله السومري (اوتو) اله النور والنهار واليوم والعدالة ومحيي الاموات ومعاقب المذنبين وكذلك هو اله الحرب كما عده السومريون . وهو ابن (القمر) واخ (عشتار) .

٥١ - شياطين الصاعقة : - وهي الشياطين التي (ســ) تجر عربة (جلجامش) بدلًا من البغال لو قبل هذا الاخير بزواجه من (عشتار) .

× × × × × ×

• حرف (ط)

٥٢ - طير الشقراق : - وهو طائر يطلق صوتاً يشبه اللفظ البابلي (كبي KAPPI) اي (جناحي) . وان صوته هذا وتقلبه اثناء الطيران هو الذي اوحى - على ما يرجح - هذا الاسم الطريف لادباء العراق القديم لتسميته بهذا الاسم .

× × × × × ×

• حرف (ع)

٥٣ - عشتار ESHTAR : - الالهة السومرية (اينانا) . وهي الالهة المسؤولة عن رجوع الحياة الى عالم الخضرة خلال فصل الربيع بعد اخراج زوجها (تموزي) من العالم السفلي .

لها اسماء عديدة . منها (ننماخ ، نينخورزاگ ، نينتو ، ارورو ، ارونكي ، نيلس) وزوجها (تموزي) .

هي الهة الخصب ، الخصوبة ، الحرب ، وسميت بملكة السماء . ابنة (آنو) .

× × × × × ×

• حرف (غ)

٥٤ - غابة الارز : - يعتقد انها غابة حقيقية . (غابة الامانوس بشمال سوريا ، او ربما عيلام بجنوب شرقي بلاد فارس) .

× × × × × ×

• حرف (ك)

٥٥ - الكر : - مقياس بابلي للسعة والحجوم ويساوي نحو (٣٠٠) لتر . وهي لفظة بابلية - اشورية مشتقة من السومرية (كر) (GUR) .

× × × × × ×

• حرف (گ)

٥٦ - گلگامش : - وردت كتابة اسم (جلجامش) حسب نظام

الكتابة المسمارية بصيغ عديدة ، اهمها : -

-(كش - بل - گا - مش)- GISH - BIL - GA - MESH

- وبالطريقة الرمزية بالعلامات (كش - طو - بار) IS) (GISH) - TU - BAR)

- وقد كتب مختصر في الواح العهد البابلي القديم هكذا : (IL) (GISH)

- وفي النصوص المكتشفه في العاصمة الحثية (بوغازي) (كش - كم - ماش) (GISH - GIM - MASH)

اما معناه بالسومرية فهو (الرجل الذي سينبت شجرة جديدة) اي الذي سيلد أسرة .

وفي اللغة الاكدية : (المحارب الذي في المقدمة) .

وهو ملك تاريخي : (خامس ملوك اوروك بعد الطوفان) .

والده الملك (لو كال - بندا) وامه (ننسون) .

× × × × × ×

* حرف (ل)

٥٧ - لو كال - بندا LUGULBANDA : - والد جلجامش . وزوج « ننسون » . ملك (اوروك) الاسطوري ، وقد كتبت عنه مجموعة من الاشعار السومرية ، وهو ثالث ملوك الاسرة الاولى في عصر ما بعد الطوفان

× × × × × ×

* حرف (م)

٥٨ - ماشو MASHU : - جبل من جبال لبنان ، ولا يعلم اصل هذه الكلمة - فاذا كانت سامية (بابلية) فهي تعني (التوأمين) وكذلك في الاكدية .

٥٩ - ماميتم : -- الالهة المسؤولة عن الاقدار .

٦٠ - منّا : -- مقياس للوزن وتساوي نصف كيلو غرام .

× × × × × ×

* حرف (ن)

٦١ - نحاس : - بالسومرية (ZIMBIR) وهو المعدن المعروف . ولعل كلمة (صفر) المستخدمة حالياً في العراق تعريب لهذه الكلمة .

٦٢ - نصابات NISABAT :-- آلهة الغلة والحبوب .

٦٣ - نصير نيموش NISIR Nimush : - وربما هو جبل (بيرمگرون) وهو الجبل الذي رست عليه سفينة الطوفان .

٦٤ - نفر : - مدينة من العصر السومري ، فيها معبد لـ(انانا) تقع على نحو (٤٥) ميلًا جنوب شرقي بابل بالقرب من عفك ، كانت مركزا لعبادة كبير الالهة السومرية (انليل) وزوجته (ننليل)

٦٥ - ننسون NINSUN : - ام (جلجامش) . مشهورة بالحكمة ، وهي زوجة « لوگال - بندا »

٦٦ - ننورتا NINURTA : - اله الحرب والصيد . وكذلك الآبار والري ، اخوه الاله « نينگرزو » كان رب الاخصاب ، يسيطر على الزرع والفيضانات وصار في العصور الاشورية المتأخرة اله المعارك ومستشار الالهين (آنو) و (انليل) .

الهوامش

١ . مجلة عالم المعرفة - المنجم كتاريخ وثقافة -

٢ - حول التاريخي والاسطوري ، انظر : - الاسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم

٣ - يذكر ان (جلجامش) قد عاش في الفترة ما بين (٢٧٠٠ - ٢٦٥٠) ق . م .

٤ - اعتمدت هذه الدراسة لوضع هذا المعجم على ترجمة المرحوم طه باقر .

٥ - المصدر السابق - ص ١١٠ .

المصادر

١ - ملحمة كلكامش - طه باقر - دار الحرية للطباعة - ١٩٧٥ .

٢ - كلكامش - د . سامي سعيد الاحمد - دار الشؤون الثقافية العامة - ١٩٩٠ .

٣ - ملحمة جلجامش - ن . ك . ساندرز - ت . محمد نبيل نوفل وفاروق حافظ القاضي - دار المعارف بمصر - ١٩٧٠ .

٤ - عشتار ومأساة تموز - د . فاضل عبد الواحد علي - وزارة الاعلام - ١٩٧٣ .

٥ - مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة - طه باقر - دار الشؤون الثقافية العامة - ١٩٨٦ .

٦ - الاسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم - د . محمد خليفة حسن احمد - دار الشؤون الثقافية العامة - ١٩٨٨ .

٧ - عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة - نائل حنون - مطبعة دار السلام - ١٩٧٨ .

٨ - من الواح سومر الى التوراة - د . فاضل عبد الواحد علي - دار الشؤون الثقافية العامة - ١٩٧٩ .

٩ - الادب في العراق القديم - د . سامي سعيد الاحمد - دار الشؤون الثقافية العامة - ١٩٩٠ .

١٠ - المعتقدات الدينية في العراق القديم - د . سامي سعيد الاحمد - دار الشؤون الثقافية العامة - ١٩٨٨ .

١١ - معجم الاساطير - لطفي الخوري - دار الشؤون الثقافية العامة - ١٩٩١ .

١٢ - البطل في الادب الشعبي العراقي - داود سلمان الشويلي - دراسة مخطوطة .

١٣ - آثار بلاد الرافدين - ستون لويد - ت . سامي سعيد الاحمد - دار الرشيد للنشر ١٩٨٠ .

١٤ - من تراثنا اللغوي القديم - طه باقر - مطبعة المجمع العلمي العراقي - ١٩٨٠

١٥ - مجلة عالم الفكر - المجلد (١٦) العدد / ١ سنة ١٩٨٥ .

شرح منظومة الافعال
الواوية - اليائية
لعبد الله بن محمد الكردي الشافعي البيتوشي
المتوفى سنة ١٢١١ هـ

أ . د . هاشم طه شلاش

كلية التربية / ابن رشد / جامعة بغداد

المؤلف[١] :

عبد الله بن محمد الكردي الشافعي البيتوشي ، نسبة إلى بيتوش قرية صغيرة في منحدر الجبل المشرف على نهر الزاب الصغير ... وتقع شمال بلدة السليمانية على بعد خمسين ميلًا منها .

ولد في سنة ١١٣٨ هـ في أحسن الاقوال

كان شاعراً أديباً عالماً في اللغة والنحو والصرف والعروض . وتوفي في البصرة سنة ١٢١١ هـ على أرجح الاقوال .

ترك مجموعة من كتب النحو والصرف واللغة والعروض وغيرها من العلوم أوردها د .خطاب عمر بكر في رسالته عن البيتوشي[٢] .

المنظومة وشرحها :

المنظومة من بحر الرجز ، وعدد أبياتها ٧٨ بيتاً ، وحُصرت الافعال الواوية اليائية في ٦٦ بيتاً ؛ منها ١١ بيتاً اشتمل كلّ بيت منها على فعل واحد ، و ٥٣ بيتاً اشتمل كل بيت منها على فعلين ، وبيتان اشتمل كل منهما على أربعة افعال ، فيكون عدد الافعال الواردة في المنظومة ١٢٥ فعلًا . اما بقية الابيات وعددها ١٢ بيتاً فكانت في أمور لا علاقة لها بالافعال المشار اليها .

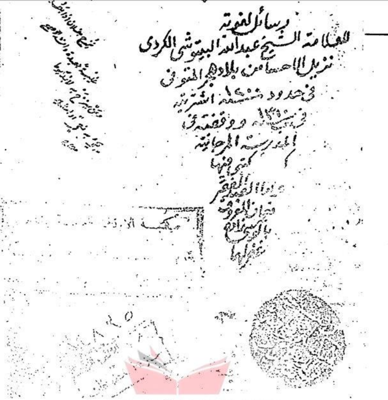
وقد اعتمد المؤلف في نظمها على منظومة نسبها إلى ابن مالك (٦٧٢ هـ) في الموضوع نفسه أورد فيها اثنين وتسعين فعلًا . وقد نقل الامام السيوطي (ت ٩١١ هـ) في مزهره هذه المنظومة ، وجاء في أوّلها « ذكر الأفعال التي جاءت لاماتها بالواو والياء ، عقد لها ابن السكّيت باباً في إصلاح المنطق ، وابن قُتيبة باباً في أدب الكاتب . وقد نظمها ابن مالك في أبيات » . ثم أورد الأبيات وعددها تسعة وأربعون بيتاً بدأها بقوله :

قــل ان نسيتَ عـزوتَـه وعَـزَيْتَـه
وكنــوتُ احمــد كُنْيــةً وكنيتُــه

وقد صرّح البيتوشي بنسبة هذه المنظومة إلى ابن مالك ويوردها في كتاب المزهر للسيوطي ويكونها من بحر الكامل . فقد قال في البيتين (٥١ و ٥٢) من المنظومة :

نقلتُ من منظــومــة ابن مــالــكِ
مِنْ كــامل البحــور هــديَ الســالــكِ
أوردهـــا الحبــر إمــامُ أعصُــرة
أعني السيـوطيّ الفتى في مُـزهــرة

والظاهر أن البيتوشي أخطأ في نسبة المنظومة إلى ابن مالك كما أخطأ السيوطيّ في هذه النسبة أيضاً . وقد تفضّل الاخ المحقق هلال ناجي - جزاه الله خيراً - وبيّن[٣] أن هذه المنظومة متدافعة في نسبتها ، و « أن التدافع في هذه النسبة قديم ، وقد نُشر في القاهرة عام ١٩٩٣ كتاب عنوانه « مهاة الكلْتين وهدى مهاة الكلتين »



رسائل لغوية
للعلامة الشيخ عبد الله البيتوشي الكردي
نزيل الاحساء من بلاد هجر المتوفى
في حدود سنة ١٢١١ الهجرية
في [illegible] ووقفته في
المدرسة المرجانية
كتبي وقفها
أنا العبد الفقير
فيدان المعروف
بالبيتوشي
ومقرّها





الساعة وساعة القيام تمت نسختي من مسودة المؤلف
حفظه الله تعالى واعانه ووالى عليه بره

لمحمد بن ابراهيم ابن النحاس الحلبي (ت٦٩٨ هـ) بتحقيق د . تركي العتيبي . وقد تضمّن هذا الكتاب خمسة عشر بيتاً من المنظومة المذكورة منسوبة إلى أبي المحاسن يوسف بن اسماعيل الشوّاء الحلبي الكوفي ت ٦٣٥ هـ وأربعة وثلاثين بيتاً نظمها ابن النحاس مستدركاً على الشواء مافاته من المعتل اللام ، وأعقبها بشرح ابن النحاس لمنظومته هذه » وقد اشار الفيروز آبادي ت . ٨١٧ هـ في كتابه البلغة[٤] إلى شرح ابن النحاس قصيدة أبي المحاسن الشواء الجلبي التي في الافعال . ونسب حاجي خليفة في كشف الظنون[٥] هذه القصيدة إلى الاديب أبي المحاسن يوسف بن اسماعيل بن الشوّاء الحلبي المتوفى سنة ٦٣٥ هـ ، ونكر أن أولها :

قــــل إن نسبتَ عـزوتُـه وعـزيتُـه

....

وأشار إلى ان محمد بن ابراهيم ابن النحاس الحلبي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ قد شرحها .

ونسب اسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين[٦] هذه القصيدة أيضاً إلى أبي المحاسن يوسف بن اسماعيل المذكور .

وقد وردت المنظومة في كتاب مجموع مهمات المتون ، وعدد أبياتها ٦٧ بيتاً أي بزيادة ١٨ بيتاً مما هو ثابت النسبة إلى الشوّاء وإلى ابن النحاس ، يقول الاخ المحقق هلال ناجي[٧] : « وحين يُتعمّق في أسلوب الابيات الزائدة ـ وقد وقعت في أول القصيدة وآخرها ـ يجد تشابهاً كبيراً بينها وبين منظومات ابن مالك التعليمية لفقدان الشاعرية منها وغلبة روح النظم عليها . إن التدافع في نسبة هذه المنظومة مردّه التداخل الحاصل في أبياتها ، والناجم عن مشاركة غير شاعر واحد في نظمها على امتداد الزمن ـ » .

اما منظومة البيتوشي فهي :ـ

حمـــداً لمنْ جَـلَّ عن الامثـــال
افعـــالُـــه خلتْ من اعتـــلالِ
ثم الصـــلاة مــع سـلام أبـداً
عــلى النبيّ العــربي احمـــدا
ويمدُ فاسمعْ جُلَّ فِعْلٍ قـد أتى
واواً ويــاءً لامُــه وانصِتــا
لمـــا اقـــولُ واخش داء الحَسَـدِ
اذ الحســـودُ أبـــداً لم يسُـدِ
عـــزيتُـــه نسبتُـه عــزوتُـــه
كنيتُ زيـــداً كُنيـــةً كنــوتُـــه
نَخَـــوتُ عـــوداً قـــاشراً لحيتُـــه
حنـــوتُـــه غـــوّجتُـــه حنيتُـــه
قلـــوتُـــه بـــالنـــار اي قليتُـــه
رَثَـــوتُ خِـــلّاً مـــات اي رثيتُـــه
شـــاوتُـــه سبقتُـــه شـــايتُـــه
حلـــوتُـــه بـــالحَـــلْي اي : حَلّيتُـــه
سخَـــوتُ نـــاري مُـــوقـــداً سَخَيتُ
طَهَـــوتُ لحمي طـــابخـــاً طَهَيتُ
جَبَـــوتُ مـــال صـــوبِنـــا جَبَيتُـــه
حـــزوتُـــه زجـــرتُـــه حـــزيتُـــه
مَحَـــوتُ خطّ الطِـــرسِ اي : محيتُـــه
سَحَـــوتُ ذاك الطـــين اي سحيتُـــه
حثـــوتُ هـــذا التُـــربَ اي : حثيتُـــه
طَلَـــوتُ بـــالطـــلا الطُـــلا طليتُـــه
سِقـــاءنـــا مـــاوتُ في مـــايتُـــه
حشـــوتَ عِـــذلي يـــافتى حَشيتَـــه
اتـــوتُـــه اي جئتُـــه اتيتُـــه
مَنَـــوتُـــه اختبـــرتُـــه منيتُـــه
نحيتُـــه قصـــدتُـــه نحـــوتُـــه
اسيتُ جُـــرح زيـــد اي اسيتُـــه
ادوتُـــه ختلتُـــه اديتُـــه
بهـــوتُ إذ بـــاهيتُـــه بَهَيتُـــه
جلَـــوتُ سيفي صـــاقـــلاً جليتُـــه
غطـــوتُـــه غطيتُـــه غُطَيتُـــه
دلوتُـــه ختلتُـــه دايتُـــه
حبـــوتُـــه اعطيتُـــه حبيتُـــه
حـــزوتُ جئتُ مسرعـــاً حـــزيت
دهـــوتُـــه بفتنـــةٍ دَهَيتُ
جـــاوتَ لي بُـــزمـــةً اي جـــايتـــا
حكـــوتَ فعـــل المـــرء اي حكيتـــا
دحيتُـــه بسطتُـــه دحـــوتُـــه
شكيتُـــه ايضـــا اتى شكـــوتُـــه
بغـــوتُ جُـــرمـــاً جـــاء في بغيتَـــه
شروتَ هـــذا العبـــد اي : شريتَـــه
ســـاوتُـــه : مـــددتُـــه سـايتُـــه
رعـــوتُ سَـــزخَ جعفـــرٍ زَعَيتُـــه
طبـــوتُـــه عن رايـــه طبيتُـــه
نقـــوتُ مُـــخَّ عظمـــهِ نقيتـــه
طبـــوتُـــه دعـــوتُـــه طبيتُـــه
عشـــوتُـــه اطعمتُـــه عشيتُـــه
طحـــوتـــه دفعتـــه طحيتـــه
فـــاوتـــه شققتُـــه فـــايتُـــه
عنـــوتُ مكتـــوبي كـــذا عنيتُـــه
فلـــوتُـــه من قُمَّـــل فليتُـــه
إنْ تَسقُفِ البيتَ فقُـــلْ غميتُـــه
غمـــوتُـــه قفـــوتُـــه قفيتُـــه

عظيتُــه آلمتُــه عظــوتُــه
شجيتَ فــاكَ فــاغراً شحــوتُــه
عــدوتَ غــذواً جــاء في عــديتا
أثــوتُ أي : وشيتُ أو اثيتــا
كــروتُ نهــري حافــراً كريتُــه
لصــوتُــه قــذفتُــه لصيتُــه
غــودي بــروتُ نــاحتــاً بــريتُــه
غــذوتُ طفــلي وكــذا غــذيتُــه

نثــوتُــه : اشعتُــه نثيتُــه
حمــوتُــه المــاكــول اي : حميتُــه
صفيتُ مِلتُ جــاء في صَفــوتُ
وجــاء في دريتُــه دَروتُ
بقــوتُــه انتظــرتُــه بقيتُ
زَنــوتُ في الاكــراد اي زنيتُ
مقــوتُ طستي جــاليــاً مقيتــا
ونــاقتي مســوتُ في مَسيتــا
عــروتُــه اتيتُــه عَــزيتــا
نــاوتُ اي بَنُــدتُ في نــايتــا
غفــوتُ في النــوم كــذا غفيتُ
نضــوتُ جنتُ خِفيــةً نَضيتُ
تهمــو وتهمي عينُــه مَضيتُ
كــذا مَضــوتُ بهمــا رأيتُ
تطفــو عــلى المــاء وقــلْ طفيتُ
قنــوتُــه اتخــذتُــه قنيتُ
زطيتهــا جــامعتهــا زطــوتَها
غشيتُــه اتيتُــه غَشــوتــا
زَفــوتُ يــاديكُ كــذا زفيتــا
هَــذوتُ في الكــلام اي هَــذيتــا

ينمــو وينمي زاد قــل أسيتُ
أســوتُ أي في صلحهم سَفيتُ
حَفَــوتُ بــابني مشفقــاً حفَيتُ
ضَحَــوتُ للشمس كــذا ضحيتُ
جَنَــوتُ في جنــايــةٍ جنيتــا
كمــا أتى دَنَــوتُ في دنيتــا
غنــواً وغَنيــاً ارضُنــا إذ انبتت
والله يطحــو الارض يطحيهــا ثَبت
يخفو ويخفي البرق في الغيم أضــا
إضــاءةً ضعيفــةً مُعتــرضــاً
يلغي ويلغــو في الكــلام وطعــا
إذا عــلا يطمــو ويطمي عُلِمــا
ضبــواً وضبيــا غــيرتــهُ النــارُ أو
شمس وفي تــذرو الريــاحُ ذا حكَــوا

تسنى كترضى نــوقُــه تسنو لــهُ
غجــواً وغجيــاً ارضعت في مُهلــه
نقلتُ من منظــومــة ابن مــالــك
من كــامل البحــور هــدي الســالــك
أوردهــا الخبْــرُ إمــامُ أعصره
أعني السيــوطيّ الفتى في مُــزهــره
لكن رأيتُ اسهــل البحــور
للحفظ بحــر الــرجــز المشهــور
ثُمّت في القــامــوس قــد وجــدتُ
افعــالاً اخــرى ههنــا أوردتُ
ثفــوتُــه تبعتُــه ثفيتُــه
سنــوتُــه فتحتُــه سنيتُــه
داوتْ إبــل شقتهــا ذأيتهــا
زَخَــوْتُ لي تلــك الــرحى زخيتها
وغــذَوْت وعــذيتُ أرضي عــلا
يعلــو ويعلي كفتــا غســا انجلى

نفــوتُــه نحيتُــه نفيتُــه
مثــوتُــه مــددتُــه متيتُــه
طفي زيــدُ وطفــا يطفــو أتى
دَغيتُ في دَغــوتُ جــاء مُثبتــا
تخذو وتخذى مثل ترضى الأذنُ
أي ارتخت بــالــواو واليــا بيِّنوا
يكرو ويكري في كــرى أي لعِبا
بــالكــرة الــوجهــان أيضاً كتبا
يسردي ويسردو فــرسي للــراجم
في عــدوه المضمــارَ بــالقــوائم
يــازو ويــازي الظلُّ أي تقلّصا
هــروتُــه هــريتُــه أي بــالعصــا

ضــربتُــه دَسيتُ في دَســوتــا
وهــو نقيض قــولهم زكــوتــا
فلــوتُــه بــالسيف في فليتُــه
لخــوتُــه سعطتُــهُ لخيتُــه
ثــدي يعنى ابتــلَّ قــلْ ثداهُ
أي بَلّــه يثــدو بكــلٍ فــاهــوا
كــذا أبــوتُ جــاء في أبيتُ
تعني بهــدين أبــا غــذيتُ
وقــلْ عثــا يعثــو ويعثي أفسدا
ينفــو وينفي في تكلّم بــدا
وغسي الليــلُ أتى يــائيــاً
كمــا غســا الليــلُ أتى واويــاً
عتــا عكــا إزازه عنــاه
يعقــو ويعقي جــاء في عقــاه

تلـــــوتُـــــه تبعتُـــــه تَلَيتُ
بـــاوتُ أي فخـــرتُ في بـــايتُ
ولحمـــــهُ خظـــا بمعنى كثُـــرا
ولحضُـــه خَظِيَ مثلـــه جـــرى
جثـــا على ركبتـــه أي : قعـــدا
يجثـــو كيجثي فيـــه أيضـــاً وردا
يقـــال يحـــذو اللبنُ اللّســـانـــاً
يقـــرصُه يحـذِيـه أيضـاً جـانـا
فهـاك نظمـاً في انسجـام نثـرِ
يكـاد كـالمـاء الـزلال يجـري
ولا يَكُفَّنَّـــــك كفّ الحَسَـــــدِ
عن حفظ مـافي ضمنـهِ واجتهـدِ
فـــرُبّ نظم لي يُقلى في المـلا
من حَسَدِ العصرِ ويتلى في الخـلا
فـــالحمـــدُ لله على الاتمـــامِ
بعـــونِـــه وحُسْنِ الاختتـــامِ

وقد قدّمنا دراسة وافية عن المنظومتين في المعجم الذي صنعناه في هذا الموضوع ، ووازنّا بينهما موازنة دقيقة يمكن مراجعتها والافادة منها[٨].

وقد شرح البيتوشي منظومته شرحاً ممزوجاً ، فقد قطّع منظومته قطعاً ووضع شروحه فيها بين تلك القطع .

وقد تميز الشرح بما يأتي :

١ ـ ضبط الافعال الواردة في المنظومة ضبطاً محكماً ببيان حركة الحرف او بيان صفة الحرف أو تنظير الفعل بما يشبهه وزناً او يشبهه وزناً ومعنىً .

٢ ـ ايراد معنى كل فِعْل .

٣ ـ ايراد مصادر الافعال الواردة مفصلةً .

٤ ـ الاشارة إلى مصادره التي نقل منها او أحال عليها ، وهي على الترتيب الآتي :

أ ـ القاموس المحيط وقد ذكره تسعين مرة .

ب ـ صحاح الجوهري وقد ذكره اربع عشرة مرة .

ج ـ منظومة ابن مالك وقد ذكرها أربع مرات .

د ـ الكسائي وقد ذكره مرتين .

هـ ـ ابن السكيت وقد ذكره مرة واحدة .

و ـ السيوطي وقد ذكره مرة واحدة ايضاً .

المخطوطة : المخطوطة محفوظة في مكتبة الاوقاف العامة ببغداد ضمن مجموع من عدة رسائل لغوية للمؤلف نفسه تحت رقم ٦٠٢٣/٢ . والرسائل اللغوية شروح لمنظومات وضعها البيتوشي ثم شرحها وهي كما يأتي :

١ ـ في الواوي واليائيّ من الافعال من الورقة ٢ إلى الورقة ٥ وهي الرسالة التي ننشرها .

٢ ـ فيما يأتي لازماً ومتعدياً من الورقة ٥ إلى الورقة ١٢ .

٣ ـ فيما جاء من فعلته ففعل من الورقة ١٢ إلى الورقة ١٤ .

٤ ـ ما جاء من الافعال على فعلته فافعل من الورقة ١٤ إلى الورقة ٢١ .

٥ ـ المثلث .

وقد جاء في صفحة الغلاف من المجموع ماياتي : « رسائل لغوية للعلامة الشيخ عبد الله البيتوشي الكردي نزيل الاحسا من بلاد هجر المتوفى في حدود سنة ١٢٠٠[٩] اشتريته في آب سنة ١٣١٠ ووقفته في المدرسة المرجانية كسائر كتبي فيها وأنا العبد الفقير نعمان المعروف بآلوسي زادة غفر لهما .

والمجموع كُلّه مكتوب بخط النسخ ، وقد كتبت ألفاظ المنظومات فيه كلُّها باللون الاحمر والفاظ الشروح باللون الاسود ، وكان عدد اسطر صفحاته بين ٢٥ سطراً وثمانية وعشرين سطراً وعدد كلمات السطر الواحد نحو ١٧ كلمة ، وقياس الصفحة الواحدة ١٦ سم × ٢١ سم .

عملنا في التحقيق :

١ ـ ضبطنا النصّ بالحركات ضبطاً دقيقاً .

٢ ـ استعملنا علامات الترقيم لكي يكون النصّ واضحاً .

٣ ـ جعلنا كلّ فعلٍ من الافعال الواوية اليائية قدر المستطاع في بداية كلّ سطر تيسيراً لمعرفته وتمييزاً له من الالفاظ الاخرى التي وردت في المنظومة والشرح .

٤ ـ قابلنا ماكتبه البيتوشي بما ورد في كتب اللغة من أجل التوثيق ولاسيما القاموس المحيط الذي نقل غالب مادته منه .

٥ ـ خرّجنا الشواهد على قلتها في مظانها التي وردت فيها .

[النص]

بسم الله الرحمن الرحيم

(حَمْداً لمن جَلْ عن الامثال) ، جمع مَثَلْ ، وهو والمِثِيل الشِبهُ ، (أفعالهُ خَلَتْ من اعتِلال) ، أي : نَقصٍ . (ثُمّ الصلاةُ مع سلام أبداً) ، ظرف لمتعلق (على النبيّ العربيّ أحمداً) ، (وبعد فاسْمَع جُلْ فِعْلِ) ـ هو بالضمّ ـ وكغُراب : المُعْظَم من الشيء . (قد أتى واواً وياءً لامُهُ) . وقولُه : (وأنصِتا) متعلقٌ (لما أقول) وتاكيدٌ لما قبله . (وآخشَ داء الحَسَدِ) ، (إذ الحسودُ أبداً لم يَسُدِ)[١٠] هو من قولهم : « الحسودُ لا يسودُ » وتلك الافعال :

(غَزَيتُه) ـ بمهملة فمعُجمة ـ أي : (نسبتُه) وكذلك (غَزَوتُه)[١١] بذلك الضبط . يقال : عزاه إلى إبيه : نسبه إليه ، فعزا هو إليه ، واعتزى ، وتعزّى ، انتسب ، يتعدّى ولا يتعدّى كما سيجيء إن شاء الله تعالى . ولم يذكره في القاموس إلا في الواوي الا أنّه قال في الياء :

والاعتزاء : الادّعاء انتهى .

(كنيتُ زيداً كُنية ، وكذلك (كَنَوتُه)[١٢]

(لحَوتُ) ـ بالمهملة ـ (عُوداً قاشِراً) أي : قشرتُه وكذا

(لَحَيتُه)[١٣] . ولم يذكره في القاموس الا في الواوي ، إلا انه قال في الياء :

ألحى العودُ : آن له أن يُقْشَر ، انتهى .

(جَنَوتُه) ـ بمهملة فنون ـ أي : (عَوَجتُه ، حَنَيتُه)[١٤]

(قَلَوتُه) ـ بالقاف ـ (بالنار ، أي : قَلَيتُه)[١٥] إذا أنضجتهُ في المقلا ، صرّح بهما في القاموس .

(رَثَوتُ) ـ بمهملة فمثلثة ـ (خِلًا مات ، أي : رثيتُه)[١٦] إذا بكيتُه ، وعَدَدْتُ محاسِنَه ، أو نظمتُ فيه شعراً كرثَيْتُه تَرْثيةً ، وترثُيتُه ، ورثاتُه ـ بالهمز ـ صرّح بهما في القاموس .

(شاوتُه) ـ بمعجمة ـ أي : (سبقته ، شايتُه)[١٧] ، ولم يذكر منه في القاموس إلّا الواوي وكذلك الصحاح[١٨] .

(حَلَوتُه بالحَلْي) ـ بالمهملة ـ وهو بالفتح كما في القاموس : ما يُزَيَّن به من مصنوع المعدنيّات او الحجارة . جَمْعه كثُلِيّ ، أو هو جمعٌ واحده حَلْيَةٌ كظبية ، (أي : حليتُه)[١٩] ولما كان هذا أشهر من الاوّل صحّ كونُه تفسيراً . ولم يذكر منه في القاموس اليائيّ .

(سَخَوتُ ناري) ـ بمهملة فمعجمة ـ (مُوقِداً) أي : أوقدتُها ، (سَخَيتُ)[٢٠] . ولم يجعل له في القاموس مادتين الا أنّه قال : سخا النارَ ـ كدعا وسعى ـ سخواً وسَخْياً : جعل لها منهباً تحت القدر انتهى .

(طهوت) ـ بالمهملة ـ (لحمي طابخاً) ، أي : طَبَخْتُ ، (طَهَيتُ) ، ولم يعقد له في القاموس ايضاً مادتين الّا أنّه قال : طها اللحم يطهوه ويطهاه طهواً وطُهُوّاً وطِهِيّاً[٢١] وطِهاية[٢٢] : عالجه بالطبخ او الشيّ[٢٣] : والطاهي : الطباخ والشوّاء ، والخبّاز وكلّ مُعالج لطعامٍ ، انتهى

(جَبَوتُ) ـ بجيم فموحدة ـ (مالَ صوينا : جبيته)[٢٤] ، وصرّح بهما في القاموس فقال في الياء : جبى الخراجَ ـ كرمى وسعى ـ جِباية وجِباوة ـ بكسرهما ـ والقومَ ومنهم ، والماءَ في الحوض جباً ـ مثلثة[٢٥] ـ وجبياً : جَمَعَهُ . وقال في الواو : جَبَى ـ كسعى ورمى ـ جَبْوة وجِبا وجِباوة انتهى . ولم أفهم معنى قوله في الياء والواو : كسعى[٢٦] ، ولافي الواو : كرمى[٢٧] .

(حزوتُه) ـ بمهملة فمعجمة ـ أي : (زجرتُه ، حَزَيتُه)[٢٨] . وفي القاموس حزا حزْواً : تكهّن وزجَر أي الطير كحزى يحزي حزياً .

(مَحَوْتُ خَطّ الطِرس أي : محيتُه)[٢٩] . والطِرس ـ بالكسر ـ : الصحيفة . وقد صرّح بهما في القاموس ، وجاء في لغة ثالثةً يمحاه .

(سَحَوْتُ ذاك الطينَ) ـ بمهملتين ـ (أي : سَحَيْتُه)[٣٠] : صرّح بهما في القاموس مع لغة ثالثة فقال : سحا الطينَ يسحِيه ويسحوه ويسحاه سَحْياً : قَشَره وجرفه .

(حَثَوْتُ) ـ بمهملة فمثلثة ـ (هذا التُربَ) أي : التُراب عليه (أي : حثيتُه)[٣١] . هما في القاموس .

(طَلَوْت بالطِلا الطُلا) ـ بمهملات ـ (طَلَيتُه)[٣٢] أي : ربطتُه ، وفي القاموس : الطلاء ـ ككِساء ـ الحَبْل الذي يُشدُّ به رجلا الطُلِي . وقال فيه في الواو : الطُلا ولَدُ الظبي ساعة يولد ، والصغير من كل شيء . وامّا الفعل فلم يذكره الا في الياء . وقَصْر الطِلاء في البيت ضرورة .

سقاءَنا ـ بالنصب ـ (ماوتَ) ـ بتاء الخطاب ـ لغة (في مايتَه) أي : مددتَه ووسّعته . وذكر منه في القاموس اليائي فقط فقال : وتَمأى السِّقاءُ : اتسَع وامتدّ[٣٣] .

(حَشَوتَ) ـ بمهملة فمعجمة ـ (عِدْلي يافتى) ـ وهو بكسر المهملة الاولى وسكون الثانية ـ نصف الحِمْل (حَشَيْتَه) ولم يذكر في القاموس منه غير الواويّ[٣٤] .

(أتوتُه ، أي : جئتُه) لغة في (أتيتُه) وهما في القاموس[٣٥] .

(منوتُه) ـ بالنون ـ أي : (اختبرتُه) وجرّبتُه (مَنَيتُه) . وهما في القاموس[٣٦] .

(نحيته) ، أي (قصدتُه) وكذا (نحوتُه) ولم يذكره في القاموس إلا في مادة الواو) فقال : نحاه ينحوه وينحاه : قصده[٣٧] انتهى

(أسَيتُ) ـ بمهملة ـ أي داويت (جُرْح زيدٍ أي : أسوتُه) وليس منه في القاموس الا الواويّ[٣٨] .

(أتَوتُه) ـ بالمهملة ـ اي : (ختلتُه ، اديتُه) وفي القاموس[٣٩] : أتَوتُ له وأديتُ له : ختلتُ[٤٠] .

(بَهَوت) زيداً (إذا باهيتُه) أي غالبته في البهاء والجمال (بهيتُه) غلبتُه في البهاء . وليس في القاموس غير الواو[٤١] وهو القياس لان باب المغالبة يُبنى على مثل نصَرتُه أنصُره وإن لم يكن منه نحو : كارمني فكَرَمتُ ـ بفتح العين ـ أكرُمُه بضمِّها الا معتلّ الفاء مطلقاً كوَعَد ويَسَر ، ومعتلّ العين واللام اليائيين كباع ورمى ، فيُبنى منها أفعِله بالكسر ، وبَهُو ليست من المستثنيات .

(جلوتُ) ـ بالجيم ـ (سيفي) مثلًا (صاقلًا) ، يعني صقلتُه (جليتُه) وهما في القاموس[٤٢] .

(غَطَوتُه) ـ بمعجمة فمهملة ـ وكذا (غطيتُه) أي : (غطّيتُه) من التغطية[٤٣] .

(دأوته) ـ بمهملة ـ أي : (ختلتُه) و (دأيتُه) هما في القاموس . وعبارته في الواو : دأى الذئبُ دأواً وهو شبه الختل والمراوغة ، وفي الياء : دأيت الشيء ـ كسعيتُ : ختلتُه انتهى .

(حَبَوتُه) ـ بمهملة ـ أي (أعطيتُه) بلا جزاء ولا منٍّ أو عام ، ومنعتُه ضدّ كما في القاموس ، و (حَبَيْتُه) ، وليس في القاموس الا الواو[٤٤]

(حزوتُ) ـ بمهملة فمعجمة ـ اي : (جئت مسرعاً) و (حَزِيتُ) هكذا في منظومة ابن مالك[٤٥] ولم أقف عليه مع أني نظرت سائر تصاحيفه فلم أجده كذلك في كتب اللغة[٤٦] والله تعالى أعلم .

(دهوتُه بفتنةٍ) و (دهَيتُ) في القاموس : دَهَاه دهياً : أصابه بداهية ، وداهية دهواء ودُهوِيّة بالضم : شديدة جداً[٤٧] .

(جاوت) ـ بالجيم ـ (لي بُرْمةً ، أي : جايتا)[٤٨] ، أي : أصلحتها بالترقيع . ولم يعقد في القاموس فيه للياء مادةً إلّا إنّه قال : وسِقاء مَجْيِيّ ـ كمرميّ ـ قُوبِل بين رقعتين من وجهيه انتهى .

(حكَوتَ فِعْلَ المرء أي : حكيتا) ، اذا فعلتَ مثل فعله ، والقولُ كذلك ، وهما في القاموس ، لكن عبارته : حكوتُ الحديث أحكوه كحكيتُه أحكِيه ـ وحكيتُ فلاناً ، وحاكيتُه : شابهتُه ، وفعلتُ مثل فِعلهِ أو قوله سواء انتهى .

(دَحَيتُه) ـ بمهملتين ـ أدحاه دَحْياً (بسطتُه) و (دحوتُه) أدحوه وأدحاه . وهما في القاموس[٤٩] .

(شكيتُه) ـ بالمعجمة ـ (أيضاً أتى شكوتُه) وهما في القاموس[٥٠] .

(بَغَوْتَ جُرماً جاء في بغيتَه) ، هما في القاموس لكن لا بهذا المعنى[٥١] ، قال في الواو : وبغا الشيء بغواً نظر إليه كيف هو . وفي الياء : بغى الشيءَ : نظر إليه كيف هو .

(شَرَوتَ) هذا العبدَ ، أي : شَرَيتَه) ، إذا ملكته بالبيع ، أو بِعْته كاشتريت فيهما ، ضدّ كما في القاموس[٥٢] .

(ساوتُه) ـ بمهملة ـ أي : (مددتُه ، سايتُه) ، هما في القاموس . قال : ساى الثوبَ ساواً وساياً : مدّه فانشقّ .

(رَعَوتُ سَرْحَ جعفرٍ) أي : مالَه السارحَ ، (رعيتُه) وليس في القاموس غير الياء ، الا أنّه قال : راعى أمرهُ : حفِظه كرعاه ، والاسم الرَّعْوى والرُّعْيا ، ويُفتح انتهى .

(طبوتُه) ـ بمهملة فموحّدة ـ صرفته (عن رأيه ، وطبيتُه) ، وليس في القاموس بهذا المعنى الا بالياء . بخلافه بالمعنى الآتي[٥٣] فإنّه فيه بهما .

(نَقَوْتُ) ـ بنون وقاف ـ (مُخَّ عَظْمهِ ، نقيتُه) ، ليس في القاموس غير الواو[٥٤] .

(طَبَوْتُه) ، أي : (دعوتُه ، طَبَيْتُه) .

(عَشَوتُه : اطعمتُه ، عَشَيتُه) ، قال في القاموس : عشاه عشواً وعَشْياً : أطعمه العَشاء كعشّاه وأعشاه .

(طَحَوتُه) ـ بمهملتين ـ (دَفَعتُه ـ طحيتُه) . ليس في القاموس الا الواو وهو كسعى[٥٥] ، إلّا أنّ فيه : مِظَلّةٌ طاحيةٌ ومَطْحِيّةٌ ، ومَطْحُوّةٌ : عظيمةٌ .

(فاوتُه) ـ بالفاء ـ أي : (شَقَقْتُه) وضربته و (فايتُه) ، وهما في القاموس .

(عنوت) ـ بمهملة فنون ـ مكتوبي : كتبتُ له العُنوان و (كذا عنيتُه) وقال في القاموس : العُنْيان : والعنوان .

(فَلَوتُه من فُلُل : فليتُه) ، والاسم الفِلاية ـ بالكسر ـ وهما في القاموس .

(إنْ تسقف البيتَ فقُلْ) ـ إذا أردتَ أن تخبر عن ذلك الفِعل ـ (غميتُه) ـ بالمعجمة ـ و (غَمَوْتُه) ، وهما في القاموس[٥٦] .

و (قَنَوتُه) ، أي : تَبِعْتُه ، و (قَفَيتُه) ـ وليس في القاموس غير الواو[٥٧] .

(عَظَيتُه) ـ بمهملة فمعجمة ـ أي : (آلمتُه : عَظَوتُه) ، وليس في القاموس بهذا المعنى غير الواو . قال : عظاه يعظوه : ساءه أو اغتاله فسقاه سُمّاً[٥٨] .

(شَحِيتَ) ـ بمعجمة فمهملة كرضِي ـ شحياً ـ كما في القاموس ـ (فاكَ فاغِراً) : فتحت و (شَحَوْتُه)[٥٩] .

(عَدَوْت) ـ بمهملتين ـ (عَدْواً ، جاء في عَدَيْتَ) ، وليس في القاموس غير الواو[٦٠] . غير أنّه قال فيه : وهو مَعْدُوّ ومَعْدِيّ عليه انتهى .

(أثوتَ) به وعليه ـ بمثلثة ـ أثواً وإثاوةً ـ بالكسر ـ (أي وَشَيْتَ) به عند السلطان ، (أو) مطلقاً ، جاء (أثيتا) أثْياً وإثايةً . وهما في القاموس[٦١] كالصحاح .

(كَرَوْتُ) ـ بالمهملة ـ (نَهْرِي حافراً) أي : حفرتُه و (كَرَيتُه) وهما في القاموس[٦٢] .

(لَصَوتُه) ـ بمهملة ـ أي : (قَذَفْتُه) ، و (لَصَيْتُه) وفي القاموس في الواو : لصاه وإليه : انضمّ لرِيبةٍ ، والمرأةَ : قَذَفَها وفي الياء : لصى ـ كرمى ورضِي ـ انضمّ إليه لريبةٍ[٦٣] .

(عُودِي بروتُ) ـ براء مهملة ـ (ناحتاً) ، أي : نحتُه ، و (بَرَيتُه) . وليس في القاموس غير الياء[٦٤] .

(غَذَوْتُ) ـ بمعجمتين ـ (طِفْلي ، وكذا غَذَيتُه) هما في القاموس . وأنكر الجوهري الياء[٦٥] .

(نَثَوتُه) ـ بنون فمثلثة ـ أي : الحديث والخبزَ ، يعني : (أشعتُه) وحدثت به و (نَثَيتُه) ، وهما في القاموس .

(حَمَوْتُه الماكولَ أي : حميتُه) ، وليس في القاموس الا الياء ، غير أنّه قال : حَمِيَتِ الشمسُ والنارُ ـ كرضي ـ حَمْياً وحُمُياً وحُمُواً : اشتدّ حرّهما . وفي تثنية الحِمى على حِموان إشارة إلى إثباتهما ، إلّا أنّ الكسائي[٦٦] قال : والوجه حِمْيان ، وقول الجوهري : حَمَيتُ المريضَ الطعامَ حِمْيةً وحُمْوةً .

(صَغِيتُ) ـ بمهملة فمعجمة كرضِي ـ أي : (مِلتُ ، جاء في صَغَوْتُ)[٦٧] وجاء أيضاً كسعى . صَرّح بالكل في القاموس .

(وجاء في دَرَيتُه) ـ بمهملتين ـ (دَرَوتُ) . هكذا وقع في نظم ابن مالك[٦٨] . ولم أقف عليه في كتاب . وأمّا بالذال المعجمة فسيجيء .

(بَقَوتُه) ـ بالموحدة والقاف ـ أي (انتظرتُه) أو نظرتُ إليه كما في القاموس ، (بَقَيتُ) صرّح بهما في القاموس[٦٩] .

(رَبَوتُ) ـ بمهملة فموحدة ـ رَبْواً ورُبُوّاً (في الاكراد) ـ وهما في

جمع كُرْد بالضمّ وهم جيل معروف ، قال في القاموس : وجَدُّهم كُرد ابن عمرو مزيقيا بن عامر بن ماء السماء ، انتهى . قال الشاعر :

لعمـرك مـا الاكـراد أبنـاء فـارس
ولكنّـه كُرد بن عمـرو بن عامـرِ[٧٠]

- (أي : رَبَيْتُ) رِباءً ، وربْياً ، يعني نشات بينهم[٧١] .

(مَقَوْت) - بالقاف وتاء الخطاب - (طشتي جالياً) - بمهملتين فمثنّاة فوق - وهو الطسّ - قال في القاموس : أبدِل من إحدى السينين تاء ، وحُكي بالشين المعجمة انتهى - جالياً أي : صَقلتُه و (مقيتا)[٧٢] .

(وناقتِي مَسَوْت) - بالمهملة - جاء (في مَسَيتا) : إذا أدخلت يدك في حيائها فنقّيته ، وكذلك الفرس . وهما في القاموس ، لكنّه عَدّى الواويّ بعلى واليائيّ بنفسه[٧٣] .

(عَزوتُه) - بمهملتين - أي : (أتيتُه) طالباً معروفه كاعتريته و (عَزيتا) وهما في القاموس[٧٤] .

(ناوت) عنه بالنون (أي : بَعُدْت) جاء (في نايتا)[٧٥] وهما في القاموس[٧٦] .

(غَفَوتُ) - بمعجمة ففاء - (في النوم) أي : جاء بمعنى نِمتُ ونعستُ كاغْفَيتُ ، بل قال ابن السكيت : ولا تَقُل غَفوتُ[٧٧] (كذا غفيتُ) - كرضي - كما في القاموس ناصّاً على يائيته . وأمّا غفا بمعنى : طفا على الماء فواويّ لا غير .

(نضَوتُ) - بنون فمعجمة - أي : (جئتُ خفيةً ، نَضيتُ) كذا في نظم ابن مالك[٧٨] ، ولم أعثر عليه في كتاب[٧٩] .

(تهمو وتهمي) - كترمي - (عينُه) : صبّتْ دموعها ، هَمْياً وهُمِيّاً وهَمَياناً ، وكذا الماءُ والدمعُ[٨٠] .

و (مَضَيْتُ) و (كذا مَضَوْتُ بهما) ، أي بالياء والواو ، (رأيتُ) في صحاح الكتب كالقاموس[٨١] .

طَفَوتُ (تطفو على الماء وقُل) إن شئتَ (طَفَيتُ) فلا حَرَج ، وليس في القاموس غير الواو[٨٢] .

(قَنَوتُه) قَنْواً وقُنواناً وقَنْوَاً[٨٣] بالقاف والنون - أي (اتّخذتُه) واكتسبتُه ، و (قَنيتُ) قَنْياً وقُنياناً - بالضمّ والكسر - كاقتنيتُه وهما في القاموس[٨٤] .

(رَطِيتُها) - بمهملتين كرضيتُ ، بتاء الخطاب ، أي (جامَعْتَها) و (رَطوتَا)[٨٥] . وهما في القاموس[٨٦] .

(غشيتُه) - كرضي - أي (أتيته ، غشوتا) ، والغين معجمة وهما في القاموس[٨٧] .

(زَقَوْتَ) - بمعجمة فقاف - (باديكَ) أي : صِحتَ زَقْواً وزُقاءً و (كذا زَقيتا) زَقْياً[٨٨] .

(هَذَوْتَ) - بذال معجمة - (في الكلام ، أي هَذَيْتا)[٨٩] .

نما (ينمو) نُمُوّاً (وينمي) نُمْياً ونُمِيّاً ونُمِيّةً وأنمى ونمّى

(زاد) وهما في القاموس[٩٠] :

و(قل أسيتُ) و (أسوتُ اي : في صلحهم سعيتُ) والسين مهملة ، وفي القاموس والصحاح ليس الا الواو[٩١] .

و(حَفَوْتُ) - بالفاء والحاء مهملة - (بِأبْني مُشْفِقاً) أي : بالغتُ في إكرامه (حَفِيتُ) ، وكونه يائياً لم يصرّح به في القاموس[٩٢] .

قال : حفِي به - كرضِي - حَفَاوة - ويُكسر - وحِفاية - بالكسر - وتَحفاية : بالغ في إكرامه . وقال : حفا الله تعالى ، به حَفْواً : أكرَمه انتهى .

تامل (ضَحَوْتُ) - بمعجمة فمهملة - (للشمس) أي : برزتُ لها ضد استكْنَنْتُ (كذا ضحيتُ) كرضيتُ عبارة القاموس ضَحا ضُحُوّاً وضَحْواً وضحياً : برز للشمس ، وكسعى ورضِي : ضَحْواً وضِحِيّاً : أصابته الشمس ، أي كما ترى ليست صريحة بيائيته . وعبارة الصحاح : ضحِيتُ بالكسر ضَحىً : عَرِقتُ ، وضحِيتُ أيضاً للشمس ضَحاءً - ممدوداً - إذا برزتُ ، وضَحَيتُ مثله بالفتح ، والمستقبل تضحى في اللغتين ، وهي كما ترى ليست صريحة في واويّته ، ولا يثبتُ المُدّعى بالتحقيق من عبارتيهما الا بالتلفيق[٩٣] .

وجاء (جَنَوْت) - بجيم فنون وتاء خطاب - (في) قولك (جنايةً) بالنصب مصدر (جَنَيْتا) ، وليس في القاموس كالصحاح غير الياء[٩٤] (كما أتى دَنَوْت في دَنَيْتا) ، وليس فيهما رائحة كونه يائياً[٩٥] .

وتقول : غَنَتْ (غَنْواً وغَنْياً أرضُنا) بالنبات (إذا أنبتتْ) ، والعين المهملة بعدها نون وليس في القاموس غير الواو[٩٦] . وأمّا الياء فرواه الجوهري عن الكسائي قال ذو الرمّة :

ولم يبقَ بـالخَلْصاء ممـا عَنَتْ بـه
من الـرُّطب يَبْسَها وهَجيـرُهـا[٩٧]

(والله يطحو الارضَ) أي : يبسطها ، و (يطحِيها[٩٨] ، ثَبْتُ) ، وليس في القاموس من هذا المعنى غير الواو وكذا الصحاح ، لكن يُفْهم من عبارته أنّ طحى كسعى بمعنى : اضطجع ، وهو واويّ كما في القاموس[٩٩] . جاء يائياً نقلاً عن أبي عمرو .

وتقول خفا - بمعجمة ففاء - (يخفو ويخفِي البرقُ في الغيم) إذا (أضا) ء (إضاءة ضعيفة معترضاً) في نواحي الغيم . فإنْ لمع قليلاً ثم سكن فهو الوميض . وإن شقّ الغيمَ فاستطال في الحوالي وسط السماء من غير أن ياخذ يميناً أو شمالاً فهو العقيقة . كذا في الصحاح مثبتاً الواو والياء فيه[١٠٠] . وليس في القاموس الا الواو .

(يلغَى) - كيرضى - (ويلغو في الكلام) قال في القاموس : لغى في قوله كسعى ودعا ورضِي لغاً وملغاةً : أخطأ ،

وهو ليس صريحاً في ذلك ، و (طما) الماء : (إذا علا ، يطمو ويطمي) - كيرمي - (عُلِما) .
وهما في القاموس والصحاح[١٠١] .
ضَبْتُه (ضَبْواً وضَبْياً : غيَّرتْهُ النارُ) وشَوَتْه ، وليس فيها غير الواو ، (أو) غيَّرتْه (شمس)[١٠٢] .
(وفي تذرو الرياحُ) التراب وغيره (ذا) أي الوجهين - الواو والياء - (حَكَوا) كما هو في الصحاح[١٠٣] . وفي القاموس ليس الا الواو[١٠٤] .

(تَسْنَى) - بمهملة فنون (كترضى) كما هو في القاموس - (نؤتُه) أي سُقِي عليها ، و (تسنو له) ، أي : تُسقي الارض . قال في القاموس : والأرضُ مَسْنُوَّة ومَسْنِيَّة[١٠٥] .
وعَجَتْ الامُّ الولدَ (عَجْواً) - بمهملة فجيم - (وعَجْياً) أي (أرضَعَتْ في مُهْلَه) . قال في القاموس : العَجْوة والمُعَاجاة أن تؤخّر الامُّ رِضاع الولدِ عن مواقيته ، وليس فيه غير الواو[١٠٦] كالصحاح .

(نقلتُ) هذه الافعال (من منظومة) الامام العلّامة محمد (ابن مالك) المعروف ، (من كامل البُحور)[١٠٧] أوّلها :

قُـــلْ إنْ نَسبتَ عَـزْوتَـه وعَـزَيْتَـهُ
وكَنَــوتَ زيــداً كُنْيَــةً وكَنَيْتَــهُ

وقولي : (هَدْي السالِكِ) مصدر هداه أي : أرشده كالهُدى - بضمٍّ ففتح - والهداية والهِديَة - مكسورتين - نعت ثانٍ لمنظومة (أوردها) - أي تلك المنظومة - (الحَبْر) - بفتح المهملة وكسرها كما هو في القاموس وسكون الموحّدة - وهو العالم او الصالح (إمامُ أعْصُرِه) - جمع عصر - مثلّثة وبضمتين ويُحرّك[١٠٨] - كأعْصار وعُصور وعُصُر - بضمتين - وجمعه باعتبار اليوم والليلة لأنه يطلق على الدهر واليوم والليلة والعشا إلى احمرار الشفق والغداة - (أعني) العلّامة المتبحّر شيخ السُنّة عبد الرحمن ابن أبي بكر (السيوطي) رحمه الله تعالى - قال في القاموس : سُيوط أو أسْيُوط - بضمّهما - قرية بصعيد مِصْر (الفتى في مُزْهِره) كتاب له في نوادر اللغة . وقد أبدع فيه ، وقولي (لكن) اعتذار عن نقل تلك المنظومة التي هي من بحر الكامل الى الرجز ، (رأيت أسهل البحور للحفظ بحر الرَّجَز المشهور) ولهذا ترى أكثر المناظيم في العلوم منه (ثُمَّتَ) - بضمّ المثلثة - والتاء فيه للتانيث اللفظي كالتي في لاتَ ورُبَّتَ ولا رابع لهما في الحروف (في القاموس ، قد وجدتُ أفعالاً) مثل المذكورات (أخرى) بدرج الهمزة ضرورة (ههنا أوردتـ) وهي : (ثَفَوتُه) - بمثلّثة ففاء - أي : (تبعتُه) و (ثَفَيتُه)[١٠٩] .

و(سَنَوتُه) - بمهملة فنون - أي البابَ ، بمعنى (فتحتُه) و (سنيتُه)[١١٠] .
(ذأوتُ) - بمعجمة - (إبْلِي) : سُقْتُها و (ذأيتُها)[١١١] .

(رَحَوْتُ لي تلك الرَّحَى) - بالفتح - أي : عَمِلتُها وأدَرْتُها و (رحَيْتُها) وكذلك الحيّةُ رَحَتْ - كغزا ورمى - استدارت والياء نادرة فيهما كما في القاموس[١١٢] .

(وغَذَوْتُ) - كسَرُو - و(غَذِيتُ) - كرضي - (أرضي) أي : طابت ويلزم من عبارة القاموس فيه لغة ثالثة : غَذَتْ - كغزا[١١٣] .
(علا يَعْلو ويَعْلي) بالواو والياء[١١٤] .
(كفتا) السَّيْلُ المُرْتَعُ[١١٥] - بمعجمة فمثلثة - يغثو : جمع بعضه الى بعض وأذهب حلاوته كغثَى يغثي[١١٦] .

و (عسا) النبات - بمهملتين - عساءً وعُسُوّاً : غلظ ويبس كعسِي يعسَى عَسًا[١١٧] . ومنه قول الشاعر :

لــولا الحياءُ وأنَّ رأسي قد عسا
فيه المشيب لزُرْتُ أمَّ القاسم[١١٨]

وقولى (انجلى) مُتَعلِّق كفتا .
(نَفَوتُه) - بنون ففاء - أيْ (نَحَيْتُه) - بنون فمهملة - من التنحية الإبعاد ، و (نَفَيْتُه)[١١٩] .
(متوته) - بمثناة فوق - أي الحبلَ يعني : (مَدَدْتُه ومَتَيْتُه)[١٢٠]

(طغي زيدٌ) - كرضي - جاوز القدر (وطغا يطغو أتى)[١٢١]
(نَغيتُ) - بمهملتين - (في نَغوتُ جاء مثبتا)[١٢٢] .
(وخَنَتْ) (تخنو) - بمعجمتين - (و) خذِيتُ (تَخْذَى مثل ترضى) وقولي : (الأتُنُ) فاعل تخنو (أي : ارتختْ بالواو والياء بيّنوا)[١٢٣] .

(يكرو) الاميرُ (ويكري في كَرَى أي : لعبا[١٢٤] بالكرة) - وهي كُتُبَة - ما أنزت من شيء (الوجهان أيضاً كُتِبا)[١٢٥] .

(يَرْدي) - بمهملتين - (ويَرْدو فَرَسي) . وهذا يقال (للراجم) أي للفرس الذي يرجم (في عَدْوه المضمارَ بالقوائم) . عبارة القاموس : رَدَى الفرسُ رَدْياً ورَدَياناً : رجمت الارض بحوافرها ، وأرديتُها انتهى[١٢٦] .

أزَى (يأزو ويأزي) - بالمعجمة - كيرمي - وأزي - كرضي - (الظلُّ أي : تقلّصا) وانزوى[١٢٧] .

(هروتُه) - بالمهملة - و (هريتُه أي بالعصا : ضربتُه)[١٢٨] وفي هذا تضمين ، وهو تعليق قافية بيت بصدر بيت بعده وهو عيبٌ ، لأنّ القافية محلُّ الوقف للاستراحة ، فإذا افتقرتْ إلى مابعدها لم يجز الوقف ، فيفوتُ الغرضُ منها ، وهو مأخوذ من الهِراوة - بالكسر - للعصا كقولهم : آرها يؤورها وينيرها ، إذا جامعها ، من الاير بالفتح وهو الذَّكَر .
(نَسيتَ) - بمهملتين بتاء الخطاب - جاء (في نَسَوتا)

وهو (نقيض معنى قولهم : زكوتا) ، إذا زاد ونما[129] .
(فَلَوتُه) ـ بالفاء ـ (بالسيف) جاء (في فَلَيتُه)[130] .

(لَخَوتُه) ـ بالمعجمة ـ أي : (سَعَطتُه) ـ بمهملة ـ (لخيتُه)[131] .

(ثدِي) ـ كرضِي بمثلثة فمهملة ـ (يعني ابتلّ) يُثْدَى .
(قُلْ) إن شئت : (ثداهُ) كدعاه (أي : بلّه ، يثدو)[132] لانّ العرب (بكلٍّ فاهُوا) نطقوا .

كذا (أبوتُ) ـ بموحدة ـ (جاء في أبيتُ ، تعني بهذين أبا غَذَيتُ) أي صِرتُ[133] .

(وقُلْ عثا) ـ بمهملة فمثلثة ـ (يعثو ويَعْثي) أي : (أفسدا)[134] .

ونغا (ينغو) ـ بنون فمعجمة ـ (وينغِي في تكلُّم بدا) يقال : نغا : تكلمَ بكلام يُفْهم كانغى[135] .

(وغسِيَ الليلُ) ـ بمعجمة فمهملة كرضِي ـ أي : أظلَمَ (أتى يائياً ، كما غسا الليلُ أتى واوياً)[136] .

(عتا) ـ بمهملة ومثناة فوق ـ عُتُوّاً وعُتِيّاً : استكبر يعتو ، كعتى يعتي[137] .

(عكا) ـ بمهملة ـ إزارَه ، أي : أعظَمَ حُجْزتَه يعكو ويعكي[138] .

و(عناه) ـ بمهملة فنون ـ الامر يعنيه ويعنوه عناية : أهمّه[139] . و (يعقو) ـ بمهملة فقاف ـ ويعقي ، جاء كلٌّ منهما (في عقاه) أي الامرَ : إذا كرِهَهُ[140] .

(تلوتُه) ـ بمثناة فوق ـ أي : (تبعته) و (تَلَيتُ)[141] .

(باوتُ) ـ بموحدة كسعى ودعا ـ (أي : فَخَرتُ) ـ بخاء معجمة ـ ونفسي رفعتُها ، والناقة جهِدتْ في عدوها ، وتسامت وتعالت ، أباى كاسعى ، وأبؤو قليل بأواً وبأواء ، وجاء (في) كُلِّها (بايتُ) أباى[142] .

(ولحمُه خظا) ـ بمعجمتين ـ (بمعنى كثُرا) واكتنز يخظو ، (ولحمُه خَظِيَ) ـ كرضِي ـ (مثلهُ جرى) على ألسنة العرب . والمماثلة في أصل الجريان وإلّا فالاوّل أشهر واكثر دوراناً حتى أن الثاني لم يذكره الجوهري[143] .

(جثا) ـ بجيم فمثلثة ـ (على ركبته ، أي : قعدا يجثو كيجثي فيه أيضاً وردا)[144] .

(يقال : يحنو) ـ بمهملة ومعجمة ـ (اللّبنُ اللسانا) من شِدّة حموضته أي : (يقرصه) و (يحذيه أيضاً جانا) أي : أتانا من العرب .

(فهاك) أي خُذْ (نظماً في انسجام نثرٍ ، يكاد كالماء الزلال) ـ وهو كغُراب وأمير وصبور وعُلابط ـ السريع المَرِّ في الحَلْق ، العذب الصافي السهلُ السلسُ (يجري) من رقَّتِه (ولا يَكُفَّنْك) أي : يمنعنَّكَ (كفُّ الحَسَدِ عن حفظ ماغي ضمنهِ) من الفوائد . (واجتهدِ ، فَرُبَّ نظمٍ لي يُقْلى) أي : يُبغض ، ويُترك قراءتُه (في الملا) أي : محضرا الناس (من حَسَدٍ) أهل (العصرِ ويُتلى في الخلا) ، لما فيها من الفوائد ، وقد قيل المعاصرة حجاب ، ولله القائل :

إنّ الفتى يُنكـرُ فضـل الفتى
خُبثـاً ولـؤمـاً فـاذا مـاذهبْ
لـحـوجـه النـاس إلى نُكتـةٍ
يكتبهـا عنـه بمـاء الـذهبْ[145]

ولقد أحسن من قال : « حَدُّ الإحسان حتى يكلُّ اللسان » :

قل لمن لا يـرى المعـاصر شيئـاً
ويـرى لـلاوائـل التقـديمـا
إنّ هـذا القديمِ كـان حـديثـاً
وسيبقى هـذا الحـديث قـديمـاً[146]

(فالحمدُ لله على الاتمام) لهذا المرام (بعونه وحُسْن الاختتام) والصلاة والسلام على أفضل الانام واله الكرام وصحبه مصابيح الظلام إلى قيام الساعة وساعة القيام ، تمّت نسخاً من مسودة المؤلف حفظه الله وأعانه ووالى عليه برّه واحسانه آمين .
انتهى من شرح منظوماته[147] سنة ١١٩٠ هـ في البصرة أيام محاصرة العجم اكمل نسخاً من خطّ ناظمه في ربيع الثاني سنة ١١٩٨ هـ .

* الهوامش *

(١) كتب عنه الدكتور خطاب عمر بكر رسالة شاملة استوفت ماكتب عن حياته وآثاره . فآثرنا الاكتفاء بما كتبه ملتقطين منه مايمكن ان يكون مقدمة موجزة لكتابه شرح منظومة الافعال الواوية اليائية (٢) البيتوشي حياته وآثاره د . خطاب عمر بكر ، رسالة ماجستير قدمها إلى كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٨٤ م ص٧٣ ـ ٨٩

(٣) في ملحوظاته التي قدّمها على النص المحقق

(٤) ص١٨٢ ـ ١٨٣ .

(٥) العمود ١٣٤٤ .

(٦) ٢/٥٤٤ .

(٧) في ملحوظاته التي كتبها على النص المحقق .

(٨) مجلة الاستاذ (مجلة كلية التربية) العدد الرابع ١٩٩٠ م .

(٩) هذا ماورد على صفحة الغلاف ولكن الذي رجحه د . خطاب عمر بكر كان في حدود سنة ١٢١١ هـ .

(١٠) كُسِرت الدال مراعاة لكسرها في الشطر السابق .

(١١) في التاج (مادة « عزو » ومادة « عزي ») : عزاه الى أبيه يعزوه عزواً : نسبه إليه ، وعزا هو إليه : انتسب . وعزاه إليه يعزيه كيعزوه . ومنه : إلى من تعزي هذا الحديث ، أي : تسنده وتنميه .

(١٢) في التاج مادة (كني) : كنى به عن كذا يكني ويكنو كيرمي ويدعو كناية : تكلّم بما يستدلّ عليه ، أو الكناية أن تتكلّم بشيء وأنت تريد غيره . وقد

كنيت عن كذا بكذا ، وكنوت ، نقله الجوهري وأنشد أبو زياد :

وإنّي لأكنـــو عن قـــذور بغـيرهـــا
وأعــرب أحيـانـاً بهـا فـاصـارحُ .

قال ابن بري وشاهد كنيت قوله الشاعر :

وقـــد أرسلتُ في السرّ أن قـــد فضحتني
وقـــد بُحت بـــاسمي في النسيب ولاتكني

(١٣) في التاج مادة (لحو) ومادة (لحى) : لحوتُ العصا ولحيتُها : قشرتها . ولَحَيتُه كسعيتُه ألحاه لحياً ولحواً قشرتُه . وأنشد الجوهري لاوس :

لحيتُهم لحيَ العصـــا فطـــــردتهم
إلى سنـــة قِـــردانهـــا لم تُحَلّم

ولحيتُ العود ولحوتُ بالياء والواو .

(١٤) في التاج مادة (حنو) : حناه يحنوه حنواً : عطفه فانحنى . قال ابن سيده قال سيبويه : المحنية : ما انحنى من الارض رملًا كان أو غيره ، ياؤه منقلبه عن واو لأنّها من (حنوتُ) . قال : وهذا يدلُّ على أنه لم يعرف (حنيت) وقد حكاها أبو عبيدة وغيره . وفي مادة (حني) قال : حنى يده يحنيها حناية بالكسر لواها ، واوية يائية ، وحنى العود : قشره . قال ابن سيده في معتل الياء والاعرف في كلّ ذلك الواو .

(١٥) قال في التاج مادة (قلو) : قال ابن السكيت : قَلَيتُ البرّ والبُسْر وبعضهم يقول (قلوتُ) . قال الكسائي : قليتُ الحَبّ على المِقلى وقلوتُه . وقال الجوهري : قليتُ السَّويق واللحم فهو مَقْلِيّ ، وقلوته فهو مَقْلُوّ لغة .

(١٦) في التاج مادة (رثو) : قال الجوهري : رثيتُ الميت مرثيةً ورثوتُه أيضاً إذا بكيته وعددت محاسنه وكذلك نظمت فيه شعراً .

(١٧) جاء في التاج مادة (شاو) : شاءني الشيء : حزنني وشاقني يشووني ويشيئني مقلوب شاني كسعاني .

(١٨) قال الجوهري في مادة (شاو) : الشأو : السبق ، وشاوتُ القوم شأواً إذا سبقتهم .

(١٩) في التاج (حلي) : « حليتُ المرأة أحليها حلياً جعلتُ لها حلْياً وكذلك حلوتُها نقله الجوهري » .

(٢٠) في مادة (سخي) من التاج مثل ذلك .

(٢١) وزاد في اللسان والتاج (طُهِياً) بضمّ فكسر .

(٢٢) ضبطه في القاموس بفتح الطاء ونبه عليه الزبيدي في التاج ونقل عن المحكم أنّه بالكسر ، وضبطه ابن منظور في اللسان بكسر الطاء أيضاً .

(٢٣) في الاصل (الشيء) والسياق يقتضي ما اثبتناه .

(٢٤) جاء في التاج (جبي) و (جبو) : « قال الجوهري : جبيت الخراج جباية ، وجبوتُه جباوة » وجاء أيضاً : « ومنه جبيتُ الماء في الحوض وجبوتُ » .

(٢٥) قال جبأ ـ مثلثة ـ ولم يرد فيها غير فتح الجيم وكسرها . اما الضمّ فغير معروف في كتب اللغة .

(٢٦) جاء في التاج في مادة (جبي) : « قال شيخنا هذه لا تعرف ولاموجب للفتح لانتفاء حرف الحلق في العين واللام . قلت هذه اللغة حكاها سيبويه وهي عنده ضعيفة . وقال ابن الاعرابي : جبى يجبى مما جاء نادراً كأبى يأبى وذلك أنّهم شبّهوا الالف في أخره بالهمزة في قرأ يقرأ وهدأ يهدأ » .

وجاء في اللسان في مادة (جبي) : « وحكى سيبويه جبا يجبى وهي عنده ضعيفة » ولهذا يكون تنظير صاحب القاموس صورتي الفعل بـ (سعى) صحيحاً .

(٢٧) الملحوظة في مكانها ، ولم نعثر على لغة يكون فيها الماضي بالالف (جبا) والمضارع بالياء (يجبي) حتى يكون تمثيله بـ (رمى) صحيحاً . وقد نبه الزُبيدي في التاج على ذلك ، وعقّب على قوله في باب الواو : (جبى كسعى ورمى) بقوله : « ولو قال كدعا ورمى كان أقعد لان الباب واويّ » والمعنى ان الفعل يأتي على صورتين الاولى (جبا يجبو) والثانية (جَبي يجبي) .

(٢٨) جاء في التاج (حزا) : قال ابن سيده : الكلمة واويّة ويائيّة .

(٢٩) جاء في القاموس في مادتي (محا) و (محى) : « محاه يمحوه ومحاه يمحيه : أذهب أثره »

(٣٠) كذا في القاموس والتاج وزادا « سحا الكتاب يسحيه ويسحوه : شدّة بسُحاءة » . « والسُحاءة ماسُحي من الشيء أي : أُخذ » و « سحا الشعر يسحيه ويسحوه : حلقه » .

(٣١) في التاج (حثو) حثى التراب عليه يحثوه ويحثيه حثواً وحثياً : هاله ورماه والياء أعلى

(٣٢) في التاج (طلي) : « طليتُه أي الطَّليَ طَلْياً وطلوتُه : ربطتُه » .

(٣٣) قوله : « وذكر منه في القاموس اليائي فقط » غريب . فقد ذكر الواويّ في (ماو) ، اذ قال : داوتُ السقاء والدّلْوَ ماواً مددتُه ليتّسِعَ فتمأى « اتسَعَ » . وصرّح الزُبيدي في التاج بالبابين إذ قال في مادة « ماي » : مايتُه ماياً وماوتُه ماواً » .

(٣٤) ذكر المصدر (الحشو) ولم يذكر الفعل ، وصرّح الزُبيدي بالواوي فقط في مادة (حشو) ولم يشر إليه في مادة (حشي) قال : حشاها ـ أي الوسادة ـ يحشوها حشواً .

(٣٥) قال في القاموس في مادة (أتي) : أتيتُه أتْيا : جئتُه » وقال في مادة (أتو) : « أتوتُه : أتيتُه) . ونقل الزُبيدي في التاج عن الجوهري قول خالد بن زهير :

يـــاقـــومُ مـــالي وابي ذؤيب
كنت إذا أتـــوتـــه من غيب

(٣٦) قال صاحب القاموس في (مني) : (مناه يمينه : ابتلاه واختبره) وقال في (منو) : « ومناه يمنو ابتلاه واختبره » .

(٣٧) ولم أجد اليائي في التاج ولكنني وجدتُ في القاموس والتاج في مادة (نحو) : « نحاه ينحوه : صرفه ، ونحا بصره إليه ينحاه : ردّه » . وفي مادة (نحي) : « ونحى بصره إليه صرفه » .

(٣٨) في شرح المنظومة (زيذ) بالمنع من الصرف . ويمكن أن تكون (زيدٍ) على ان توصل همزة (أي) تخفيفاً .

(٣٩) وليس في التاج منه الا الواوي كذلك . وكذا الأمر في اللسان .

(٤٠) في التاج (أدو) : أدوتُه وأدوت له : ختلتُه ، وشاهد أدوت له ما أنشده أبو زيد :

ادوتُ لــه لاخـذه
فـهـيهـات الـفـتـى حـذرا .

وشاهد أدوته ما أنشده ابن الاعرابي :

تَبُطُ ويـــادوهـــا الافـــال مُـــربَـــة
بـــاوطـــابهـــا من مطـــرفـــات الحمـــائـــل

وصرّح الزبيدي في التاج نقلًا عن الجوهري بأن الفعل واويّ يائيّ . قال : أدوتُه أدواً وأديتُه أدياً : ختلتُه . (ينظر مادة أدو ومادة أدي) .

وأورد الزُبيدي الفعل بصورتيه بمعنى آخر فقال في (أدو) : « أدا اللبنُ أدْواً : خثر ليروب ، وأدا اللبن يادو وهو اللبن بين اللبنين ليس بالحامض ولا الحلو . وأدوتُ اللبنَ : مخضتُه » .. وقال في (أدي) : أدى اللبن يأدي : خثر

ليروب » .

(٤١) في عبارة المؤلف نظَر . فقد ذكر صاحب القاموس : « والبهاء الحُسْن والفعْل بَهُو كسرُوَ ورضِي ودعا وسعى » . والملاحظ أنّه لا يقول كدعا الا إذا كان مضارعه (يبهو) ولا يقول كسعى إلا اذا كان مضارعه (يَبْهى) ومصدره (بَهْياً) . فهو واويّ يائيّ . وصرّح الزَّبيدي في التاج (بهو) نقلًا عن اللحياني بذلك قال « باهاني فبهَوْتُه وبهَيتُه أي : صِرتُ أبهى منه » .

(٤٢) قال في القاموس (جلو) و (جلي) . « جلا السيف والمرآة جلواً صقلهما » و « جليتُ الفضة جَلوتها » . وزاد صاحب القاموس والزَّبيدي في التاج معنى آخر لـ (جلا) واوياً يائياً هو (كشف وأظهر) . ينظر مادتا (جلو) و (جلي) .

(٤٣) الفعلان في القاموس وجاء في التاج في مادتي (غطو) و (غطي) شرحاً لمادة القاموس : « غطى الشيء غطياً : ستره وعلاه ، وغطا الشيء غطواً : واراه وستره » . وصرّح بان الفعل واويّ يائيّ .

وزاد معنى آخر هو : غطى الليلُ غطياً وغطا غَطْواً وغُطُوّاً : أظلم . وصرّح الزَّبيدي بانه واويّ يائي .

(٤٤) ولم أجد الزَّبيدي في التاج يستدرك اليائيّ .

(٤٥) قال ابن مالك في منظومته : « وحزوت مثل حزيت جنتُك مسرعاً » ينظر المزهر ٢ / ٢٨٠ .

(٤٦) ولم اقف عليه في مراجعاتي كتب اللغة .

(٤٧) في التاج نقلًا عن المحكم والتكملة : ذهَيتُه ودهوتُه : نسبتُه إلى الدهاء » وعن ابن السكيت : « داهية دهياء ودهواء شديدة جداً » وهذا أوضح من عبارة المؤلف .

(٤٨) جاء في التاج : « جاى السقاء حاياً : رقعه » و « جاى السقاء جاواً : رقعه » . وزاد الزَّبيدي معاني أخرى للفعل بصورتيه قال : « جاى الثوب جاواً وجاياً : خاطه ، وجاى السِرّ جاياً وجاوا : كتمه » . انظر مادتي (جاو) و (جاي)

(٤٩) قال الفيروز آبادي : « دحا الله الارض يدحوها ويدحاها دحواً : بسطها » و « دحيتُ الشيء أدحاه دحياً : بسطتُه » .

وصرّح الجوهري في الصحاح والزَّبيدي في التاج بانّ المادة واويّة يائية .

(٥٠) قال صاحب القاموس في (شكي) : « شكيتُ : لغة في شكوتُ » .

(٥١) تصحّف علي البيتوشي الفعل الذي يشرحه فهو بالعين المهملة لا بالغين المعجمة . وفي القاموس « البعو الجناية والجرم . وقد بعا كنهى ودعا ورمى بعواً وبعياً ... » . وجاء في التاج : « بعا الذنب يبعوه ويبعيه ويبعاه : اذا اجترمه واكتسبه » . والفعل الذي ذكره البيتوشي (بغا) فعل آخر بالغين المعجمة وهو كما شرحه . والغريب أن الفعلَين واويّان يائيان .

(٥٢) قال صاحب القاموس : « شراه يشريه ملكه بالبيع وباعه كاشترى فيهما ضدّ » . والملاحظ أن صاحب القاموس لم يذكر الواويّ هنا . فعبارة المؤلف فيها نظر .

(٥٣) يقصد المؤلّف هنا : أن طبوتُه وطبيته بمعنيين الاول : صرفته ، والثاني : دعوتُه ، ولم يرد المعنى الاول في القاموس الا في الفعل اليائي ، اما المعنى الثاني فقد ورد في البابين الواوي واليائي ، وسيرد الثاني بعد قليل .

(٥٤) استدرك الزَّبيدي في التاج « نقي » قول الجوهري في الصحاح : « نقيتُ العظمَ نقياً لغة في نقوتُ »

(٥٥) تعبير المؤلف غريب فهو يقول : « ليس في القاموس الا الواو وهو كسعى » واذا كان التنظير كذلك فهو يائيّ لان سعى يائيّ ومصدره السعي . ومما يؤكدّ ذلك قول الزَّبيدي في التاج عند شرحه عبارة صاحب القاموس : « وطحا كسعى يطحى طحياً : بسط ، هكذا ذكره ابن سيده ، وفيه لغة أخرى طحاه طحواً كدحاه دحواً : بسطه . فهي يائيّة واويّة ، فإشارة المصنف بالواو فقط قصور » . ومما يؤكد ذلك أيضاً أنّ الزَّبيدي استدرك في مستدركه « طحاه يطحوه كدحاه زنةً ومعنى » ومعنى ذلك أنّ صاحب القاموس قدّم اليائيّ لا الواويّ . وسيذكر المؤلف المادة مرة أخرى قريباً .

(٥٦) ذكره صاحب القاموس فقال في (غمو) : « غما البيت يغموه : غطّاه بالطين والخشب » وقال في (غمي) : « غميتُ البيت » . وعقّب الزَّبيدي في التاج في مادة (غمو) : بقوله : « وهو واويّ يائيّ » .

(٥٧) وكذا الامر في التاج (قفو) . واستدرك الزَّبيدي في التاج (قفو) « قفوتُه : ضربت قفاه ، وقفيتُه كذلك » . و « قفوتُه وقفيتُه : قذفته بالفجور »

(٥٨) وزاد الزَّبيدي في التاج في مادة (عظي) : « عظاه عظياً : ساءه بامر ياتيه إليه » . وأشار الزبيدي في مادة (عظو) إلى المثل العربي : « طالبتُ مايلهيني فلقيت مايعظيني » ، ومثله : « أراد مايحظيها فقال مايعظيها » . وعقب على ذلك بقوله : فهذا يدلُّ على أن الحرف يائيّ فانظر ذلك .

(٥٩) قال في : (شحي) شجِي فمه ـ كرضي ـ شحياً لغة في شحا شحواً ، وعقب الزبيدي في التاج على ذلك بقوله : « والذي في التكملة : شحى فلان يشحى شحياً أي كسعى لغة في يشحو شحواً عن الليث ، فقول المصنف كرضِي فيه نظر .

(٦٠) وكذلك الامر في التاج (عدو) و (عدي) .

(٦١) جاء في الصحاح (أثو) : « أثابه ياثو وياثي أيضاً إثاوة وإثاية ، أي : وشى به » . وجاء في القاموس : « أثوث أثواً وأثيث أثياً : وشيت به عند السلطان او مطلقاً » .

(٦٢) هما في القاموس (كرو) و (كري) . وصرّح الزَّبيدي في التاج بذلك بقوله في مادة (كرو) : واويّ يائيّ .

(٦٣) والمعنى الاخر ورد في الياء أيضاً قال في التاج (لصي) : « ومما يستدرك عليه ـ أي صاحب القاموس ـ لصاه لصياً : عابه »

(٦٤) قوله وليس في القاموس غير الياء مردود بما صرّح به صاحب القاموس ، فقد قال في الواو : « وبروتها : جعلت في أنفها بُرَة » ـ والسهمَ والعود والقلم : نحتُها : وقال في الياء : « برى السهم يبريه برياً : نحته » .

(٦٥) قال الجوهري في (غذو) : « غذَوتُ الصبيّ باللبن فاغتذى ، أي ربيّتُه ، ولايقال غذيتُه بالياء » .

(٦٦) عليّ بن حمزة امام مدرسة الكوفة في النحو . وقوله المنقول مذكور في صحاح الجوهري (حمي) .

(٦٧) قال صاحب القاموس : « صفا يصفو ويصفَى : مال » وعقبَ الزَّبيدي في التاج « على قوله (يصفَى) بقوله : « هكذا هو في النسخ ـ أي في نسخ القاموس ـ ومثله في نسخ المحكم . وفي الصحاح : يصفِي بالكسر وهو الصحيح » وجاء في الصحاح : « صفا يصفو ويصفِي صُفُوّاً أي : مال » . وجاء في اللسان : « قال شمر : صَفَوتُ وصفَيتُ والاكثر صَفَيتُ أي : مِلتُ » .

(٦٨) قال ابن مالك في منظومته : « ونَزَوْتُ شيئاً قُلْه مثل دريتُه » المزهر للسيوطي ٢ / ٢٨٠ . ولم نقف عليه في كتاب .

(٦٩) قال في القاموس في (بقو) : « بقاه بعينه : نظر إليه ، وبَقَوتُه : انتظرته » وقال في (بقي) : « وبقاه بقياً : رَصَده أو نظر إليه ، واويّة يائيّة » وفي التاج (بقي) : « قال اللحياني : بقَيتُه وبقوتُه نظرت إليه .

(٧٠) لم نقف على قائله .

(٧١) هما في القاموس ، ولم يقل المؤلف ذلك على عادته في المواد الاخرى .

(٧٢) قوله « مقيتا » أي : مقيتُ ، والالف ألف الاطلاق . وجاء في التاج (مقو) : « مقا السيفَ يمقوه مَقْواً ؛ والسنّ ونحوه كالطست والمرآة ، إذا جلاه » وقال في (مقي) : « مقيتَ أسناني مقياً : مقوتُها ، ومقى الطستَ مقياً : جلاه

كمقاه عقواً » .

(٧٣) قال في (مسو) : « مسوتُ على الناقة : إذا أدخلتَ يدكَ في حيائها فنقيته » وقال في (مسي) : « مسى الناقة والفرس كرمي : نقى رحمهما » .

(٧٤) جاء في القاموس (عرو) : « عراه يعروه : غشيه طالباً معروفه » وجاء في (عري) : « عَرِيتُه غشيتُه كعروتُه » وعقب الزبيدي في التاج على ذلك بقوله : « واوي يائيّ » .

(٧٥) الالف ألف الاطلاق .

(٧٦) انظر مادة (ناي) . وجاء في التاج (ناي) : « ناوتُ أهمله الجوهري ، وقال ابن سيده هي لغة في نايتُ بمعنى بعدتُ ، ونقلها الصاغاني أيضاً » .

(٧٧) جاء في التاج (غفو) : « قال الازهري : كلام العرب : أغفيتُ وقلما يقال : غفوتُ » .

(٧٨) ينظر منظومة ابن مالك في المزهر للسيوطي ٢ / ٢٨٠ .

(٧٩) ولم نقف عليه نحن في معجم من معجمات اللغة .

(٨٠) ماذكره المؤلف عبارة القاموس ، فقد جاء فيه : « همى الماءُ والدمعُ يهمي همْياً وهُمِيّاً وهَمَياناً ، وهَمَتِ العينُ : صبّت دمعها . وهما الدمعُ يهمو كيهمي » ينظر (همو) و (همي) . وينظرُ التاج في المادتين لوجود تفصيل فيه .

(٨١) جاء في القاموس (مضي) : « مضى يمضي مُضِيّاً ومُضُوّاً : خلا وفي الامر مضاءً ومُضُوّاً : نفذ وأمرٌ ممضوٌ عليه » . وجاء في الصحاح (مضي) : « مَضيتُ على الامر مُضِيّاً ومَضَوتُ على الامر مَضْواً ومُضُوّاً ... وهذا الامر ممضوّ عليه » .

(٨٢) وليس في الصحاح واللسان والتاج غير الواو أيضاً .

(٨٣) في الاصل (تنيا) والتصحيح من القاموس .

(٨٤) عقب الزبيدي في التاج في مادة (منو) على عبارة صاحب القاموس بقوله « واويّ يائيّ » .

(٨٥) الالف في (رطوتاً) ألف الاطلاق .

(٨٦) جاء في القاموس : رطا المرأة رطواً : جامعها كرطيها يرطي رطياً .

(٨٧) في القاموس (غشو) : (غشي فلاناً : أتاه كغشاه يغشوه) .

(٨٨) في التاج (زقي) : « واويّة يائيّة » .

(٨٩) في الصحاح (هذو) : « هذى في منطقه يهذي ويهذو هَذْواً وهَذَياناً » .

وفي القاموس (هذو) : « هذوتُ في الكلام : هذيتُ » .

(٩٠) وفي التاج : « نما المالُ وغيره ينمو نُمواً . قال الكسائي : ولم أسمعه بالواو الا من أخوين من بني سُلَيم ، ثمّ سألتُ عنه في بني سُليم فلم يعرفوه بالواو . وحكى أبو عبيدة ينمو وينمي . وفي المحكم : قال أبو عبيد قال الكسائي فساق العبارة كسياق الجوهري ثم قال : هذا قول أبي عبيد ، وأمّا يعقوب فقال : ينمو وينمي فسوّى بينهما ، قال شيخنا : واقتصر ثعلب في فصيحه على ينمي وأمّا ينمو فانكرها بعضٌ » .

(٩١) وكذلك الامر في اللسان والتاج .

(٩٢) ولم يصرح بذلك صاحب اللسان وصاحب التاج .

(٩٣) عبارة اللسان : ضحوت وضحيت للشمس والريح برزت .

(٩٤) وكذلك الامر في اللسان والتاج (جني) .

(٩٥) وليس في تاج العروس أية إشارة إلى كونه يائياً فتأمّل .

(٩٦) جاء في القاموس (عنو) و (عني) : « عنت الارضُ بالنبات : أظهرته » ويتضح ان وجود العبارة في الموضعين دليل كون (عنى) واوية يائية . وقد شرح الزبيدي في التاج الفعل على هذا الاساس فقال في (عنو) : « عَنَت الارضُ بالنبات تعنو : أظهرته » وقال في (عني) : « عنتِ الارضُ بالنبات تعني : أظهرته » . ويتّضح من ذلك ان عبارة المؤلف « وليس في القاموس غير الواو » ليست في محلّها . وجاء في القاموس في (عنو) : « عَنَوتُ الشيء : أبديتُه » وذكر الزبيدي في المستدرك في مادة (عني) : « عَنَيتُ الشيء أبديتُه لغة في عنوتُ عن ابن القطاع » .

(٩٧) البيت في الصحاح (عنو) (٩٨) أعاد المؤلف المادة هنا ، فقد ذكرها بمعنى الدفع والملاحظ ان صاحب القاموس لم يذكر الدفع وانما ذكر البسط وحده .

(٩٩) راجع تعليقنا على ماذكر المؤلف في مادة (طحا) المُتقدّمة .

(١٠٠) ومثل ذلك في التاج (خفو) و (خفي) .

(١٠١) جاء في القاموس (طمي) و (طمو) : « طمى الماء يطمي طَمْياً : علا ، والنبتُ : طال ، وهِمَّتُه : عَلَتْ ، والبحر : امتلا ، كيطمو طُمُوّاً في الكلّ » .

وجاء في الصحاح : « طما الماءُ يطمو طُمُوّاً ويطمي طُمِيّاً فهو طام : اذا ارتفع وملأ النهر . ومنه طمتِ المرأة لزوجها : اذا ارتفعت به » .

(١٠٢) في التاج الواو والياء ، فقد جاء في (ضبو) : « ضَبَتْه النار والشمس تضبوه ضَبْواً ـ بالفتح ـ غيرّته وشوته . وفي المحكم لفحته ولوّحته الا أنّه ذكر مصدره ضَبْياً بالياء ، وجمع بينهما ابن القطاع فإنّن الكلمة واويّة يائيّة » .

(١٠٣) جاء فيه : « ذرت الريحُ الترابَ وغيره تذروه وتذريه ذَرْواً وذَرْياً أي : سفتْه » .

(١٠٤) ونبه في التاج (ذرو) إلى ذلك فقال في المستدرك : ومما يستدل عليه : ذريتُ الحبّ ونحوه ذرياً وذرته الريح ذرياً وهي لغة والواو أعلى ... واهمال المصنف اياها قُصور كيف وقد أشار إليها الجوهري وغيره » .

(١٠٥) جاء في التاج (سني) : « ولم يعرف سيبويه سنيتُها واما مسنيّة عنده فعلى يسنوها وانما قلبوا الواو والياء لخفتها وقربها من الطرف » .

(١٠٦) جاء في التاج (عجي) : « وعجت المرأة صَبيّها عَجْياً لغة نقله ابن القطاع » .

(١٠٧) أي من بحر الكامل .

(١٠٨) أي غَضر وغُضْر وعِضر وعُصُر وعَصَر .

(١٠٩) عبارة القاموس : « تقاه يتقيه ويتقوه : تبعه » وعقبَ الزبيدي في التاج على ذلك بقوله : « وهي واويّة يائيّة » .

(١١٠) كذا في القاموس (سني) وعقب الزبيدي على ذلك بقوله : يائيّة واويّة .

(١١١) أشار في القاموس في مقدمة المادة إلى أنّها واويّة يائيّة ونظر الزبيدي الفعل (ذأى) ـ بمعنى ساق ـ بـ « سعى » و « دعا » .

(١١٢) في القاموس : « رحوتُها : عملتُها أو أدرتُها ، وزخت الحيّة استدارت كترحّت ، كرحيتُها نادرة فيهما » وعقّب الزبيدي في التاج على ذلك بقوله : « وقوله نادرة مخالف لما في الاصول : الصحاح والتهذيب والمحكم أنهما لغتان صحيحتان » .

(١١٣) ليس في عبارته مايشير صراحةً الى يائيته ولكنّ صاحب القاموس قال في (عذي) : « واستعذيتُ المكان وافقني واستطبته) فهنا إشارة صغيرة إلى يائية الفعل .

(١١٤) في القاموس « علو » : « علا عُلُوّاً » ، وفي (علي) : « على السطح يعليه » وقال الزبيدي في الثانية : « من حَدّ ضربَ » .

(١١٥) في القاموس : « المزنع » وعقبَ الزبيدي في التاج على ذلك بقوله : كذا في النسخ بالموحدة والصحيح « المرتع » بالفوقية كما هو نصّ الصحاح .

(١١٦) ينظر التاج (غثي) فقد أشار الزبيدي إلى الاستعماليين .

(١١٧) ذكره صاحب القاموس في الواو والياء ، وكذا عمل الزبيدي في التاج .

(١١٨) لم نصل إلى معرفة القائل.
(١١٩) جاء في القاموس (نفي) : « نفاه ينفيه وينفوه : نحاه » وجاء في (نفو) : « نفاه ينفوه لغة في ينفيه » . واللغتان عن المحكم إذ جاء فيه : « ونفوتُه لغة في نفيتُه » .
(١٢٠) في القاموس (متو) : « مَتَوتُ الحبلَ : مددتُه » وفي (متى) : « متيته : متوتُه » .
(١٢١) في القاموس (طفي) : « طفِي كرضِي طفياً ... جاوز القدر » وقال في (طفو) : « طفا يطفو » وعقّب الزبّيدي في التاج في مادة (طفي) على قول صاحب القاموس : (طفِي كرضِي طفياً) بقوله : « كذا في النسخ - أي نسخ القاموس - والصواب طفى بالقصر كما هو نصّ المصباح ، وسقط منه - بعد قوله كرضِي - وسعى فإنّ طفياً من مصادره » . وقال في المستدرك : « ومما يستدرك عليه : طفى يطفى كسعى يسعى لغة صحيحة ذكرها الجوهري والازهري وابن سيده ولا معنى لتركها إن لم يكن سقطاً من النساخ فتنبه ومنه قوله تعالى « إنه طغى » وقوله تعالى « إنّا لما طغى الماء » .
(١٢٢) جاء في القاموس في مادة (دعي) : « ذغيتُ لغة في نغَوتُ » .
(١٢٣) جاء في القاموس (خنو) : (خذا يخذو خذواً : استرخى) وجاء في (خذي) : « خذِيت أذنه - كرضي - خذًى : استرخت من اصلها وانكسرت مقبلة على الوجه » .

(١٢٤) الالف في لعبا الف الاطلاق.
(١٢٥) جاء في التاج (كرو) : « كرا بالكرة ويكري كرواً وكرياً - لغتان - ضرب بها ولعب » .
(١٢٦) نقل المؤلف عن القاموس الفعل اليائيّ وأغفل الواويّ ، فقد قال صاحب القاموس : « رداه بحجر : رماه به ، ولغة في ردى الفرسُ - كرمى - رَدْياً ورديانا : رجَمَتْ الارضَ بحوافرها ... وأرديتُها » .
(١٢٧) أشار الزّبيدي في التاج الى انّها واويّة يائيّة » .
(١٢٨) في القاموس : « هراه هَزواً كهراه هَزياً » أي : ضربه بالهراوة وهي العصا .
(١٢٩) جاء في القاموس (دسو) : دسا يدسو دسوة نقيض زكا يزكو » . وقال في (دسي) : « دَسَى كسعى ضد زكا » .
(١٣٠) عبارة القاموس (فلي) : « فلاه بالسيف يفليه كيفلوه » . وجاء في التاج (فلو) : « فلاه بالسيف فلواً وفلياً ضربه به واويّ يائيّ » .
(١٣١) مثل ذلك في القاموس والتاج (لخو) و (لخي) .
(١٣٢) جاء في التاج (ثدي) : « يُقال ثَدِي يثدَى كرضِي : ابتلّ ، وقد ثداه كدعاه ورماه يثدوه ويثديه بَلّهُ » .
(١٣٣) في القاموس والتاج (أبي) : « أبوت وأبيت : صرت أباً وماكنت أباً » .
(١٣٤) في القاموس : « عثى كرمى وسعى ورضي عُثيّاً وعِثيّاً وعَثَيَاناً ، وعثا يعثو عُثُوّاً : أفسدَ » .
(١٣٥) مثل ذلك في القاموس (نفو) . ونقله الزبيدي في التاج .
(١٣٦) في التاج « غَسا الليلُ يغسو غُسُوّاً : أظلم ... وغسِيَ الليلُ كرضِي يغسى غسَىً : اذا أظلم » .
(١٣٧) في التاج (عتو) : « عتا يعتو ... عُتِيّاً وعُتُوّاً .. استكبر وجاوز الحد » وفي (عتي) : « عِتيتُ كرضيت بمعنى عَتَوتُ وقد أنكره الجوهري وغيره فانّهم قالوا ولاتقل عتِيتُ وضبطوه كسَمَيتُ » . ونحن نقول : إذا كان كرضِيت فلا شاهد فيه على اليائي لانه قد يكون على البدل إي : « إبدال الواو ياء لكسر ماقبلها ، وإذا كان كسَمَيتُ أمكن عدّه يائياً .
(١٣٨) مثل ذلك في القاموس ، وعقّب الزّبيدي على ذلك بقوله : « واويّ يائيّ » .
(١٣٩) مثل ذلك في القاموس (عنو) . ونقله الزّبيدي في التاج .
(١٤٠) هما في القاموس .
(١٤١) في التاج (تلو) : « تَلَوتُه كدعوته وتليتُه مثل رميتُه ... تبعتُه » .
(١٤٢) مثل ذلك في القاموس (باو) و (باي) (١٤٣) جاء في القاموس : « خظا لحمه خُظُوّاً كسُمُوّ اكتنز » وخظِي لحمهُ كرضِي خظىً اكتنز » وعقب الزبيدي في التاج على (خظِي) بقوله : أهمله الجوهري وأنكره فقال ولاتقُلْ خظِي . وقال القزاز في جامعه خظِي خظىً بالفتح مقصوراً اكتنز ، ولم يذكر خظى بالفتح ، وذكر ابن فارس الكسر والفتح ، قال والفتح اكثر ، قال واما قولهم : خظِيت المرأة وبظِيتُ فهو بالحاء ، ولم اسمع فيه الخاء ... وهذا الذي أنكره الجوهري أثبته ابن دريد وسلمة الازهري ، وأيدهما الصاغاني كذلك واياه تبع المصنف » أي صاحب القاموس .
(١٤٤) في القاموس (جثو) : « جثاً كدعا ورمى : جلس على ركبتيه » وذكر الزبيدي عن ابن جني انهما لغتان (١٤٥) مثل ذلك في القاموس والتاج .
(١٤٦) في التاج ١ / ٩٤ من غير نسبة . وفيه « ترى الفتى » و « لجّ به الجرضُ على نكتة » .
(١٤٧) في التاج ١ /٩٣ . وفيه « وشيسمى هذا الحديث ». وجاء في الحاشية : هذان البيتان في رسائل البلغاء ص٢٥٣ ضمن مقالة لابن شرف القيرواني منسوبان له وهو معاصر لابن رشيق .
(١٤٨) ماننشره منظومة من إحدى منظوماته .

مصادر التحقيق والدراسة

١ - البلغة في تاريخ أئمة اللغة لمجد الدين الفيروز آبادي ٨١٧ هـ .
٢ - البيتوشي حياته وآثاره : د . خطاب عمر بكر ... رسالة ماجستير قدّمها إلى كلية الاداب - جامعة بغداد ١٩٨٤ م .
٣ - تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الزَّبيدي ١٢٠٥ هـ طبعة الكويت .
٤ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حمّاد الجوهريّ (ت في حدود ٤٠٠ هـ) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار . مطابع دار الكتاب العربي مصر ١٩٥٦ م .
٥ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - حاجي خليفة
٦ - القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي - المطبعة المصرية ط٣ ١٩٣٥ م .
٧ - مجموع مهمات المتون ، ط٤ مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٩
٨ - المزهر في اللغة لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق محمد أحمد جاد المولى وجماعة من الاساتذة . دار احياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركاه .
٩ - هدية العارفين - اسماء المؤلفين وآثار المصنفين - اسماعيل باشا البغدادي .

شعر القاضي الجرجاني
(٣٩٢ هـ)

دراسة وجمع وتحقيق

د . سامي علي جبار
كلية التربية ـ جامعة البصرة
قسم اللغة العربية

حياته :

هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن اسماعيل الجرجاني(١) ولد في جرجان سنة ٣٢٣ هـ(٢) في اسرة عربية استوطنت جرجان شانها شان غيرها من الأسر العربية الكثيرة التي جاءت مع الفتح العربي واستوطنت بلاد الري وغيرها »(٣) وجرجان بناها يزيد بن المهلب بن ابي صفرة عام ٩٨ هـ ٧١٦ م)(٤).

ويرجح احد الباحثين ان أباه توفي في سن مبكرة فعني بأمره أخوه محمد(٥) وكنيته ابو بكر ، فقد وردا نيسابور وكان علي صبياً ، وذلك سنة ٣٣٧ هـ (٩٤٨ م) وسمعا على الشيوخ(٦) سمع الحديث الكثير وترقى في العلوم حتى برع في الفقه والشعر والنحو وغير ذلك من العلوم فاقر له الناس بالتفرد »(٧) .

وأسرة القاضي اسرة علمية فاخوه محمد ، وكان يكنى أبا بكر ، وأبا جعفر ، وكان فقيهاً مناظراً(٨) وقد ترجم له حمزة السهمي (٤٢٧ هـ) في تاريخ جرجان وذكر أنه ولي القضاء بدمشق قبل الستين وثلثمائة ومات فيها (٩) وذكر حمزة أيضاً أن للقاضي ابنَ عم هو أبو الصقر احمد بن محمد الجرجاني(١٠) .

اما علي بن عبد العزيز فكان اكثرهم شهرة ويبدو انه بعد أنْ قصد مع أخيه محمد نيسابور أصبح السفر والرحلة سمة من سمات حياته ، فقد رحل الى عدة اقطار ، ولقي من العلماء فاستفاد كثيراً(١١) قال ابن خلكان(١٢) : « ورد به اخوه محمد نيسابور سنة سبع ثلاثين وثلثمائة وهو صغير غير بالغ » وقد شبهه الثعالبي في رحلاته بالخضر ، اما الاشارة الى المدن التي رحل اليها القاضي ففي كتبه وشعره مايفيدنا انه اقام في بغداد وزار مصر ومكة(١٣) .

وخير من وصفه أبو منصور الثعالبي (٤٢٩ هـ) في اليتيمة بقوله :

القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز حسنة جرجان وفرد الزمان ونادرة الفلك وانسان حدقة العلم ودرة تاج الادب وفارس عسكر الشعر يجمع خط ابن مقلة ، الى نثر الجاحظ ونظم البحتري »(١٤) وقال ابن خلكان(١٥) : انه كان حسن السيرة في قضائه صدوقاً وفيه يقول احد معاصريه وهو أبو القاسم العلوي الأطروشي :(١٦) :

لقد نَمَتْكَ ثقيفُ يا عليُّ الى ... مَجْدٍ سيبقى على الايام والزمنِ
مَجْدٌ لو أنّ رسولَ الله شاهده ... لقال إيهِ ابا اسحقَ للقننِ

والمعروف ان القاضي اشتهر بكنيته أبي الحسن ولكن كنيتَه ابا القاسم ربما جاءته من طفل صغير توفي فلم يترك اثراً كبيراً في كنية ابيه ابي الحسن ولعل اسحق هذا هو المعني بقول القاضي :(١٧)

إذا قُلْتُ لم يبلغ بنيَ السنُّ مبلغاً ... وعُظت بطفلٍ صار قبلي الى التُّرْبِ

وقد أصبح القاضي الجرجاني من المقربين من الصاحب بن عباد (٣٨٥ هـ) فجعله الصاحب قاضياً ثم قاضي القضاة بالري ، فلم يعزله الا وفاته(١٨) .

ثقافته

القاضي الجرجاني فقيه شافعي وأديب مؤلف وشاعر له ديوان شعر ومؤرخ روت المصادر له كتابين احدهما في التاريخ واخر

سماه (صفوة التاريخ) اختصر فيه تاريخ الطبري[١٩] وهو مفسر له كتاب في التفسير وقد جعله الداودي في طبقات المفسرين ، وهو في كل ذلك ناثرٌ وخطاط يجمع بين نثر الجاحظ وخط ابن مقلة وشعر البحتري كما مر بنا في نص الثعالبي .

اما اسلوبه الادبي فيكفينا ان نطالع كتاب الوساطة لنقف على اسلوب ادبي رشيق يجمع غرابة ومتانة الفاظ القدماء الى سهولة وبساطة الفاظ المحدثين وبلاغة اسلوب القاضي تتجلى في اختياره من البلاغة ماحدده القدماء عندما قالوا : ان البلاغة في الكلام كالملح في الطعام .

وكتاب الوساطة يدل على حافظة القاضي من شعر القدماء والمحدثين كما يدل على معرفته وعمق ثقافته اللغوية والنحوية ما جعله محيطاً بغريب اللغة واساليب الفصحاء ونوادرهم فقد « اقتبس من انواع العلوم والادب ماصار به في العلماء عَلَماً ، وفي الكمال عالماً »[٢٠]

اما ثقافته العامة فتتجلى في المامهِ بالفقه والمناظرة ، وهو القاضي الشافعي اللامع ، كما ان معرفته بالحساب والفلك وغير ذلك من المعارف العامة دليل على عمق ثقافة الرجل وتحصيله العلمي الغزير فالثعالبي يسأله اسئلة في مختلف المعارف وهو يجيب عنها ، فيضمن الثعالبي اجوبته في كتبه من امثال « ثمار القلوب » و (لطائف المعارف) واخباره تتناقلها الرواة في مختلف المعارف والعلوم[٢١] .

ولعل محصلة هذه المعارف والعلوم هي التي اهلته ليكون قاضي القضاة ، بل من كبار القضاة الشافعية[٢٢] وليكون مفسراً في عداد المفسرين[٢٣] وليكون ناقداً ادبياً يشار اليه بالبنان ، ولغوياً ينقل عنه الثعالبي في فقه اللغة وسر العربية ويخصه بالمدح قائلاً : « انه من ظرفاء الادباء الذين جمعوا فصاحة العرب البلغاء الى اتقان العلماء ووعورة اللغة الى سهولة البلاغة كالصاحب بن عباد وحمزة بن الحسن الاصبهاني وابي الفتح المراغي وابي بكر الخوارزمي »[٢٤]

وعلى الرغم من هذه الدرجة العلمية فان المصادر لا تفيدنا بشيء من تلمذته على الشيوخ او ذكر احد منهم سوى ما قاله ياقوت في تلمذة عبد القاهر عليه « وكان الشيخ عبد القاهر قد قرأ عليه واغترف من بحره ، وكان اذا ذكره في كتبه تبخبخ به ، وشمخ بانفه بالانتماء اليه »[٢٥]

غير انه يناقض نفسه في موضع اخر من (معجم الادباء) فيذكر ان عبد القاهر ليس له استاذ سوى محمد بن الحسين ابن اخت ابي علي الفارسي »[٢٦] .

كتبه

كان من نتائج غزارة علم القاضي وتعدد اتجاه ثقافته ان تكثر مؤلفاته وتختلف في موضوعاتها ، ومن هنا وجدنا اكثر المصادر التي ترجمت لحياته تذكر اسماء هذه الكتب وتنقل منها نصوصاً ، ولكن لم يصل الينا مما ذكروه الا كتاب الوساطة ومجموعة اشعار متناثرة في الكتب وبعض الاخبار ونصوص من رسائله .

فمن اسماء مؤلفاته التي ذكرتها كتب التاريخ والطبقات :

١ ـ كتاب الوكالة : وفيه اربعة الآف مسألة[٢٧]

٢ ـ تفسير القرآن المجيد : قال ابن كثير بانه « كبير »[٢٨]

٣ ـ تهذيب التاريخ : يقول حمزة السهمي « كان من مفاخر جرجان صنف تاريخاً »[٢٩]

٤ ـ صفوة التاريخ : قال الداودي : « قال ابو شامة له اختصار تاريخ ابي جعفر الطبري في مجلدة سماه « صفوة التاريخ »[٣٠]

٥ ـ كتاب الانساب : ذكره ابن خلدون (ت٨٠٨ هـ) في تاريخه[٣١] ولابد ان يكون قد انتفع به .

٦ ـ كتاب الرؤساء والجلة : نقل منه الثعالبي في (لطائف المعارف)[٣٢] وقال المحقق : لم يذكر للجرجاني هذا الكتاب الا في لطائف المعارف ،

٧ ـ رسائل القاضي الجرجاني : وهي نصوص ما كتبه القاضي من رسائل وقد ذكرها ياقوت (١٤ / ١٤) ولم يصل الينا منها شيء .

٨ ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه[٣٣] وصفه الثعالبي بقوله : « فاحسن وابدع واطال واطنب واصاب شاكلة الصواب واستولى على الامر في فصل الخطاب ، واعرب عن تبحره في الاداب ، وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ وقوة النقد »[٣٤] وقال ابن خلكان « وله كتاب » الوساطة بين المتنبي وخصومه ابان فيه من فضل غزير واطلاع كثير ومادة متوفرة »[٣٥] .

٩ ـ وفي الوساطة اشارة الى نيّتهِ تأليف كتاب في الاغراض البلاغية[٣٦] .

١٠ ـ ديوان شعره : وقد ذكره اكثر من ارخ له ومنهم (الشيرازي : ٤٧٧ هـ) قال : كان فقيهاً اديباً شاعراً وله ديوان شعر »[٣٧] وابن الجوزي (ت٥٩٧ هـ) قال : « وان له اشعاراً حساناً »[٣٨] ونقل ابن خلكان (٦٨١ هـ) قول الشيرازي فقال : « كان فقيهاً اديباً شاعراً وشعره كثير »[٣٩] اما الذهبي (ت٧٤٨ هـ) فقال : العلامة الفقيه الشافعي صاحب الديوان المشهور »[٤٠] ، واليافعي (٧٦٨ هـ) « كان الجرجاني فقيهاً اديباً شاعراً »[٤١] والسبكي (٧٧١ هـ) « جمع بين الفقه والشعر وان له ديوان شعر مشهوراً وانه كان فصيح العبارة »[٤٢] وابو الفداء ابن كثير (٧٧٤ هـ) « وله اشعار حسان »[٤٣] وحاجي خليفة في كشف الظنون ، وقد سماه (ديوان جرجاني)[٤٤] والبغدادي في (هدية العارفين)[٤٥] ومن المعاصرين الزركلي في الاعلام[٤٦] وكحالة في (معجم المؤلفين)[٤٧] .

وفاته

توفي القاضي الجرجاني وعمره ستة وسبعون عاماً قال ياقوت « مات بالري يوم الثلاثاء لست بقين من ذي الحجة ، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وهو قاضي القضاة بالري حينئذ »[٤٨] ويقول غيره انه توفي بنيسابور وهو زعم الحاكم النيسابوري ، الذي ارخ لوفاته عام ٣٦٦ هـ وهو تاريخ ضعفه المعاصرون ، فقد اثبت بروكلمان وفاته قائلاً « توفي في ٢٤ / ذي الحجة ٣٩٣ هـ / ١٤ نوفمبر / ١٠٠١ م »[٤٩] ، وقد حقق د . عبده قلقيلة تاريخ وفاته وقال : « ولهذا فلا يسعنا الا ان نقرر مطمئنين انه مات بالري وليس بنيسابور يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة ٣٩٢ هـ »[٥٠] .

ونقل جثمانه الى مسقط رأسه جرجان ودفن فيها[٥١] .

شعر القاضي الجرجاني

كان ديوان القاضي الجرجاني مشهوراً ، وشعره متداولاً بين الرواة والادباء ، وقد رواه جل من ترجم له ، واولهم الثعالبي ، وهو اكثر من نقل شعره ثم ياقوت الذي روى له بيتين من قصيدته الميمية فقال « انها طويلة ومشهورة ، وقد روى له صاحب (المنتظم) و (المضنون به على غير اهله) والسبكي شعراً متصل السند .

وقد امتدح هؤلاء شعره واثنوا عليه فالسبكي يقول « كان ذا نظم ونثر عديم النضير »[٥٢] وقال ابن خلكان : وشعره كثير وطريقه فيه سهل »[٥٣] وقد وصف الثعالبي شعره بقوله : انه فارس عسكر الشعر حسن الشعر ، وشبهه في نظمه بالبحتري . وكان القاضي نفسه يميل الى تشبيه شعره بالبحتري وابي تمام فيقول[٥٤] :

احبت حبيباً والوليد ففصلا
منها وشائح نسجها تفصيلا
فافادها الطائي دقة فكره
والبحتري دماثه وقبولا

وقد اكثر المؤلفون من نقل عبارة الثعالبي « وشعره كثير وطريقه فيه سهل » ومع ان ابن شاكر الكتبي لم ينص على ان له ديوان شعر الا انه اطرى ادبه وشعره وبلاغته وعرض نماذج من شعره شغلت اكثر من ست ورقات من كتابه عيون التواريخ »[٥٥] .

واغراض شعره تتوزع على : الوصف ، والاخوانيات ، والمدح ، والحكم ، والغزل ، وسهولة الالفاظ سمة من سمات شعر القاضي الجرجاني ، وقد شهرت ابياته في ابائه وعزة نفسه ومنها قوله :

يقولون لي : فيك انقباض وانما
رأوا رجلاً عن موقف الذل احجما
اذا قيل : هذا منهل قلت قد ارى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهانوا ودنسوا
محياه بالاطماع حتى تجهما

وقوله في اخرى :

وقالوا توصل بالخضوع الى الغنى
وما علموا ان الخضوع هو الفقرُ
وبيني وبين المال بابان حرما
علي الغنى نفسي الابيةُ والدهرُ

وشعر القاضي في بداية حياته تصوير لجانب من لهوه وشبابه ثم وصف لحنينه لبغداد ، ويبدو من حبه لهذه المدينة انه يذكر محلاتها ومناطقها فكأنه يتذكر جانباً عزيزاً على نفسه وذكريات امدته بالقوة والمعرفة فاصبحت تراثاً خالداً لا ينسى .

وشعره في المدح اخلصه للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م)[٥٦] يقول الثعالبي « ثم عرج على حضرة الصاحب فالقى بها عصا المسافر ، فاشتد اختصاصه به ، وحل منه محلا بعيداً في رفقته ، قريباً في اسرته ، وسيَّر فيه قصائد اخلصت على قصد ، وفرائد اتت من فرد ، وما منها الا صَوْبُ العقل ، وذوبُ الفضل »[٥٧] .

وقد اثنى المعاصرون على شعر القاضي الجرجاني وشاعريته يقول الدكتور احمد بدوي « القاضي الجرجاني من المولعين بالجمال ، وهو في شعره يبين عن اعجابه به وشوقه اليه »[٥٨] .

ويقول الدكتور محمود السمرة : « وهو في شعره شاعر يعجب ويطرب وتفتنه الموسيقى ، ويقع على اللفظة الموحية الحافلة بالظلال والالوان دون تكلف »[٥٩] .

ولا ننسى ان القاضي قبل ان يكون شاعراً اعد نفسه ليكون رجلاً موسوعياً ومن هنا لا نستطيع ان نقيّم شاعريته الا في ضوء هذه الشخصية المتعددة الجوانب ، يقول الدكتور عبده قلقيلة :

« ان الجرجاني الشاعر هو الجرجاني العالم ، هو المفسر والمؤرخ والفقيه ، هو الكاتب والناقد ، ثم هو القاضي وقاضي القضاة ... وان الجرجاني من شعراء العلماء »[٦٠] .

والحقيقة التي يجب عدم اغفالها ان الجرجاني شاعر وان كان اقل شاعرية من غيره من الشعراء المشهورين فلم يكن بشهرة الشعراء المغمورين ممن شاع شعرهم في ديوان خاص امثال خالد الكاتب وغيره من الشعراء الذين اخمل شعرهم الشعراء الكبار كابي تمام والبحتري .

فالقاضي الجرجاني لم ينصرف للشعر انصراف غيره اليه ولم يدخلوا غماره شعراء متكسبين ، لكنه استطاع ان يعبر بصدق عن نفسه وشخصيته وترك لنا قصائد ومقطوعات وابياتاً لا تقل شاعرية عن سواه وان تفاوتت في درجة القوة والفنية . فهو اديب ناقد بالدرجة الاولى ، مثقف بالدرجة الثانية ربما يعد حلقة وصل بين موسوعية الجاحظ (٢٥٥ هـ) وموسوعية الثعالبي (٤٢٩ هـ) .

شعر القاضي الجرجاني واراؤه النقدية

الوساطة كتاب نقدي خصصه الجرجاني للانتصار للمتنبي وجعله في مرتبة الشعراء الكبار الفحول ونفي التهم التي رماه بها خصومه . وقد انتصر معاصره ابن جني (٣٩٢ هـ) لابي الطيب عندما ندب نفسه لشرح ديوانه وصب ثقافته اللغوية في اثناء الشرح كذلك وجد القاضي فرصته في اظهار براعته العلمية والقضائية في الدفاع عن ابي الطيب والرد على خصومه .

وفي كتاب الوساطة مختارات شعرية تدل على ذوق القاضي تذكرنا بقول المرزوقي في ابي تمام : انه كان في مختاراته في الحماسة اشعر منه في شعره . فالقاضي الجرجاني لم ينتصر للمتنبي فحسب بل انتصر للشعراء المحدثين بما اختاره لهم من ابيات وقصائد وبما حشد في الوساطة من اسماء كثيرة جدا من الشعراء المحدثين بعضهم لم يرد شعره الا في الوساطة فكأنَّ الوساطةَ مختاراتٌ شعرية او ديوانٌ مختار من دواوين الشعراء المحدثين .[٦١]

ومن هنا قد يخطر ببال القارىء ان يسأل : أفي كتاب الوساطة من شعر القاضي الجرجاني ؟ الواقع ان هذا السؤال خطر ببالي وانا اقرأ الوساطة والذي يقوّي هذا الامر ان القاضي لم ينسب كثيراً من اشعار المحدثين لاصحابها بل وضعه تحت الفاظ احد المحدثين) (محدث) (اخر) (الاخر) .. الخ وقد قمت باحصاء لمثل هذه الكلمات وما ادرج تحتها فوجدته يبلغ نسبة كبيرة ، وقمت بنسبة بعضها الى اصحابها ، فلم اجد منها ما يمت بصلة لشعر القاضي في المجموعة التي اعددتها من شعر القاضي الجرجاني . ولكن القاضي لم ينج من التأثر بشعر غيره ولعل القاضي نفسه سوّغ ذلك وهو يعرض في الوساطة لما سمي بالسرقات الادبية فارجعها لتوارد الخواطر في اكثر الاحيان .

ومن التشابه الذي لاحظته بين شعر القاضي والشعر الذي اورده القاضي في الوساطة ، ماجاء في (ص٣٣٦) من الوساطة قول احد الشعراء[٦٢] :

وفــارقت حتى مــا أحنُّ الى هــوى
وإنْ بــان جــيرانٌ عــليٌ كــرامُ
وقد جعلت نفسي على النأي تنطوي
وعيني عــلى قصْــد الحبيب تنامُ

ويبدو ان القاضي تأثر بهما في قوله[٦٣] :

وفــارقت حتى مــا اسر بمن دنــا
مخــافــة نــاى او حــذار صدود
وقــد جعلت نفسي تقــول لمقلتي
وقــد قربوا خوف التباعد جــودي
فليس قــريبــاً من يُخــاف بعــاده
ولا من يُــرجَى قــربُــه ببعيــد

وقد لاحظ الثعالبي مالاحظه القاضي في اشعار الشعراء من الشبه في الالفاظ والمعاني والموسيقى فقد اورد في اليتيمة (٢ / ١٢٥) وهو يعرض لشعر السَّري الرفّاء ابياتاً للسري وقال انه « انما اخذ هذا المثال من قول ابي تمام[٦٤] »

فــــذاكي خَلْبــــةِ وشروبُ دَجْنِ
وســـامــرُ قينــةٍ وقــدورُ صــادِ
وأعـــينُ رَبْـــربٍ كُحِلتْ بسخْــرٍ
واجســـادٌ تضمَّخُ بـــالجِســـادِ

ثم قال الثعالبي : « وممن اخذ هذا المثال مع ركوب هذه القافية القاضي ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني حيث قال من قصيدة : (من الوافر)

واجفـــانٍ تـــروّي كـــلَّ شيءٍ
ســوى قلب الى الاحبــاب صــادى
بــذاك جــريتُ اذ فــارقت قــومــاً
لبست لبينهم ثــوبَيْ حــدادِ
معـــادنُ حكمــةٍ وعيــونُ جَــدْبٍ
وأنجُمُ حَيْــرةٍ ، وصــدورُ نــادي

وقد يثار سؤال ونحن نعرض لشعر القاضي الناقد صاحب الكتاب الذائع الصيت (الوساطة بين المتنبي وخصومه) والسؤال هو : هل افاد القاضي الشاعر من القاضي الناقد ؟

الواقع ان القاضي الشاعر اسبق من القاضي الناقد ، فالوساطة اخر المطاف في مسيرة الرجل الادبية والعلمية فلقد دخل النقد ومارسه من خلال معاناة تجربة الشعر ، وعندما اقدم على ممارسة النقد وضع امامه تلك المعاناة فهو عندما يعتذر للمتنبي كأنه كان يعتذر لنفسه وهو الشاعر الذي ارقته القصيدة ووجد في ظلالها شخصه وامتحن امامها علمه وثقافته : اتتغلب العاطفة على العلم ام العلم على العاطفة ؟

ولابد انه ادرك قابليته على قول الشعر ونقد نفسه قبل ان ينقد غيره فهو القائل في الوساطة (ص١٥) « ان الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية ، والذكاء ، ثم تكون الدُّرْبَةُ مادة له ، وقوة لكل واحد من اسبابه » .

وهو القائل في شعره[٦٥]

وما الشعر الا ما أستفز ممدَّحاً
واطرب مشتاقاً ، وارضى مُغاضباً
اطاع فلم توجد قوافيه نفَّراً
ولم تأته الالفاظُ حسرى لواغبا
وفي الناس اتباع القوافي تراهم
يبثون في آثارهن المقانبا
اذا لحظوا حرف الروى تبادروا
وقد تركوا المعنى مع اللفظ جانباً

وان منعوا حر الكلام تطرقوا
حواشيه فاجتاحوا الضعيف المقاربا

فهل كان شعره هنا اسبق ام رايه النقدي اسبق؟

نرجح ان يكون شعره اسبق وهو الذي مهد في معاناته لارائه النقدية التي حشدها في الوساطة.

ونعود الى سؤالنا عن اثر الاراء النقدية في شعره لنقول ان شعره لم يصل الينا كاملاً وديوانه لا اثر له حتى الان في فهارس المخطوطات وما رواه الاقدمون له لا يمدنا بكثير من القصائد لكنهم اختاروا له بعضها واقتصروا على رواية مقطوعات قصيرة في الغزل وعلى ابيات متفرقة وكثيراً ما يقول الثعالبي وهو يروي له البيت والبيتين انها من قصائد له.

وقد حفظ لنا القاضي الجرجاني في ديوانه اشعاره التي قالها في (حياته اللاهية) ، ولم يأنف من تدوينها بالرغم من ان اشعاره الاخيرة تصور اباءه وعزة نفسه وعدم مدّ يد الخضوع للسلطان او المال.

ويصور لنا علي بن عبد العزيز الجرجاني في اشعاره الاخيرة ميله للوحدة والانفراد وانصرافه الى حياة العلم والزهد فيقول[66]

مـــــاتطعَمْتُ لـــــذّةَ العيش حتى
صرت للبيت والكتـــــاب جليســـــا
ليس شيء عنـــدي اعـــز من العلْـ
ــــــم فما ابتغي سواه انيســــا
انمــا الــذل في مخــالطــة النــا
سِ فــدعهم وعش عـزيـزاً رئيسـا

فهو قد كلل حياته العلمية بكتابه النقدي ، الوساطة بين المتنبي وخصومه « ومات وهو قاضي القضاة بالري وقد ترك اثراً حميداً في نفوس معاصريه فاصبحوا يحيطونه باكاليل المجد والفخار لانه حفظ ماء وجهه وخلف من الاثار ما يخلده الزمن بها.

اما المعاصرون فيكفيهم ان يرد اسمه ليعرفوا به ناقداً يمتلك الذوق والحس الرفيع الذي كان محصلة شاعرية خصبة وعلم غزير أهّلاه لخوض غمار النقد تاركاً من الاراء الصائبة في النقد والادب واللغة ما يعد معياراً للنقاد واسساً لم يتجاوزها الزمان وانما عمقها المعاصرون واثنوا على صاحبها.

هذا هو القاضي الجرجاني في حياته وشعره ونقده وعلمه واستطيع القول ان الرّجل هو في كل هذه المحصلة لابد ان يكون لشعره ما لعلمه ونقده من اهمية فان كان ديوانه قد ضاع فان جمع مابقي من شعره لابد ان يجعل من القاضي الجرجاني واحداً من الشعراء حتى لو عذذناه من شعر العلماء كالجاحظ والخليل وابن دريد وغيرهم ممن جمع شعرهم واصبح في متناول الدارسين.

« هوامش الدراسة »

١ ـ ترجمة القاضي الجرجاني في : تاريخ جرجان : ٢٢٧ ، يتيمة الدهر : ٤ / ٣ ، طبقات العبادي ١١١ ، طبقات الشيرازي : ١٠١ ، المنتظم : ٧ / ٢٢١ ، معجم الادباء : (مرغليوث) ٥ / ٢٤٩ ـ ٢٥٨ ، وفيات الاعيان : بيروت ٣ / ٢٧٨ ، مرآة الجنان : ٢ / ٣٨٦ ، طبقات السبكي : ٣ / ٤٥٩ طبقات الاسنوي : ١ / ٣٤٨ ، شذرات الذهب : ٣ / ٥٦ ، البداية والنهاية : ١١ / ٣٣١ النجوم الزاهرة : ٤ / ٢٠٥ ، وطبقات الداودي : ١ / ٤١٠ ـ ٤١١ شذرات الذهب : ٣ / ٥٦ ، روضات الجنات : ٣٢٥ ، هداية العارفين : ١ : ٦٨٤ ، الاعلام ٥ / ١١٤ ، بروكلمان : ٢ / ٢٧٠ .

٢ ـ القاضي الجرجاني : د. عبده قلقيلة : ٢ ، ١٥ .

٣ ـ القاضي الجرجاني : د. عبده قلقيلة : ٣٠ .

٤ ـ معجم البلدان : ٢ / ١١٩ ، الكنى والالقاب : ٢ / ٤٣ ، دائرة المعارف الاسلامية : ٦ / ٣٣١ .

٥ ـ القاضي الجرجاني : د. احمد بدوي : ٢٥ .

٧ ـ المنتظم : ٧ / ٢٢١ ، البداية والنهاية : ١١ / ٣٣١ ، النجوم الزاهرة : ٤ / ٢٠٥ .

٦ ـ بروكلمان : ٢ / ٢٧١ .

٨ ـ معجم الادباء : ١٤ / ١٤ .

٩ ـ تاريخ جرجان : رقم ٨٣٨ ، ص٣٩٩ .

١٠ ـ تاريخ جرجان : ص٨١ .

١١ ـ انوار الربيع : ٤ / ١٨٦ .

١٢ ـ وفيات الاعيان : بيروت ٣ / ٢٨١ .

١٣ ـ ينظر اشارة القاضي الى زيارته مكة واقامته فيها : الوساطة ص١٦١ .

١٤ ـ يتيمة الدهر : ٤ / ٣ ، معجم الادباء ، ١٤ / ١٦ .

١٥ ـ وفيات الاعيان : ٣ / ٢١٨ .

١٦ ـ يتيمة الدهر : ٤ / ٤٧ (ط. الجاوي) ثمانية ابيات للاطروشي (ابي القاسم العلوي) ضمن رسالة له في مدح القاضي الجرجاني ، ولم يذكر شيئاً عن ولادة الاطروشي ووفاته .

١٧ ـ مُحاضرات الادباء : ٣ / ٤٩٤ .

١٨ ـ يتيمة الدهر : ٤ / ٣ ، بروكلمان : ٢ / ٢٧٠ ، الاعلام ٥ / ١١٤ .

١٩ ـ طبقات الداودي : ١ / ٤١١ .

٢٠ ـ يتيمة الدهر : ٤ / ٣ ، معجم الادباء ١٤ / ١٦ .

٢١ ـ ينظر اخبار القاضي في المصادر الاتية / ثمار القلوب : ٥٣ ـ ٥٤) ، ٢٨٠ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، لطائف المعارف ، ص٢٣٢ ، خاص الخاص : ٥٣ ، انوار الربيع (يراجع الاعلام) محاضرات الادباء : مجـ٢ ص٧٠١ .

٢٢ ـ ترجم له اصحاب طبقات الشافعية ومنهم ، العبادي (ت٤٥٨ هـ) في (طبقات الشافعية) حيث وصفه في الطبقة الخامسة . و (ابو اسحق الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) في (طبقات الفقهاء) والسبكي (ت٧٧١ هـ) في (طبقات الشافعية الكبرى (٣ / ٤٥٩) والاسنوي (ت٧٧٢ هـ) وتقي الاسدي (٨٥١ هـ) في (طبقات الشافعية) .

٢٣ ـ ترجم له الداودي المالكي (ت٩٤٥ هـ) في (طبقات المفسرين) وهو تكملة كتاب السيوطي (طبقات المفسرين) المطبوع بليدن ١٨٣٩ . وينظر / طبقات المفسرين للداودي (٩٤٥ هـ) تحقيق علي محمد عمر ، القاهرة

١٩٧٢ (١/٤١٠ـ ٤١١).
٢٤ ـ فقه اللغة : ص١٠ .
٢٥ ـ معجم الادباء : (ط. المامون) : ١٤/١٦ ، د ط. مرغليوث : ٥/٢٤٩ .
٢٦ ـ معجم الادباء : ٧/٣ ، روضات الجنات (ترجمة عبد القاهر في صفحة ٣٢٥ .) وبغية الوعاة للسيوطي ص٣٤٠ .
٢٧ ـ طبقات العبادي : ١١١ ، هدية العارفين : ١/٦٨٤ . وقد نقل منه العبادي نصاً ، كما نقل منه ابن معصوم فصلًا في (انوار الربيع : ٦/٢١٩) وينظر طبقات الاسنوي : ١/٣٤٨ .
٢٨ ـ معجم الادباء : ١٤/١٤ . هدية العارفين : ١/٦٨٤ طبقات الداودي ١/٤١١ .
٢٩ ـ تاريخ الجرجاني : ٢٢٧ ، معجم الادباء : ١٤/١٩ ، هدية العارفين : ١/٦٨٤ ، طبقات المفسرين للداودي : ١/٤١١ .
٣٠ ـ (طبقات المفسرين للداودي : ١/٤١١ .
٣١ ـ (ديوان العبر) : ١/١١٠ ، وبروكلمان (٢/٢٧١) .
٣٢ ـ لطائف المعارف : ٢٣٢ .
٣٣ ـ طبع في صيدا سنة ١٣٣١ هـ ، وفي القاهرة باشراف عبد المتعال الصعيدي وعبد المنعم خفاجي (مطبعة صبيح) ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م . وطبع عدة طبقات بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ، اخرها الطبعة الرابعة / ١٩٦٦ م .
٣٤ ـ يتيمة الدهر : ٤/٣ ، معجم الادباء : ١٤/١٤ .
٣٥ ـ وفيات الاعيان : (بيروت) ٣/٢٨١ .
٣٦ ـ الوساطة : ص٤ .
٣٧ ـ طبقات الفقهاء الشافعية : ص١٠١ .
٣٨ ـ المنتظم ١٨/٢٢١ .
٣٩ ـ وفيات الاعيان : (ط. القاهرة) ٢/٤٤٠ .
٤٠ ـ سير اعلام النبلاء : نقلًا عن د . قليقلة ص٣٢ .
٤١ ـ مرأة الجنان : ٢/٣٨٦ .
٤٢ ـ طبقات الشافعية الكبرى : ٢/٣٠٨ .
٤٣ ـ البداية والنهاية : ١١/٣٣١ .
٤٤ ـ كشف الظنون : ١/٧٨٢ .
٤٥ ـ هدية العارفين : ١/٦٨٤ .
٤٦ ـ الاعلام : ٥/١١٤ .
٤٧ ـ معجم المؤلفين : ٧/١٢٣ .
٤٨ ـ معجم الادباء : ١٤/١٥ ، وفيات الاعيان : (ط. بيروت) ٣/٢٧٨ وط. القاهرة ٢/٤٤٠ البداية والنهاية : ١١/٣٣١ ، المنتظم : ١٨/٢٢٢ ، النجوم الزاهرة : ٤/٢٠٥ ، السبكي ٣/٤٥٩ ، طبقات المفسرين للداودي : ١/٤١١ ، وتاريخ جرجان لحمزة السهمي : ص٢٧٧ .
٤٩ ـ بروكلمان : تاريخ الادب العربي : ٢/٢٧١ ، معجم المؤلفين : ٧/١٢٣ ، د . قلقيلة : ص٢٦ .
٥٠ ـ د . عبده قليقلة ، القاضي الجرجاني : ص٢٦ .
٥١ ـ المنتظم : ١٨/٢٢٢ ، البداية والنهاية : ١١/٣٣١ ، معجم الادباء : ١٤/١٤ وذكر ابن خلكان ان ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) توفي بالري ودفن مقابل مشهد القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني » وفيات الاعيان ١/١١٩ ط. بيروت .
٥٢ ـ طبقات الشافعي الكبرى : ٣/٤٥٩ .
٥٣ ـ وفيات الاعيان : ٣/٢٨٠ .
٥٤ ـ اليتيمة : ٤/٢٠ .
٥٥ ـ د . عبده قلقيلة : ص١٥١ ـ ١٥٦ .
٥٦ ـ ينظر ترجمة الصاحب (معجم الادباء : ٢/٤٠١ . بغية الوعاة : ١٥٦ . يتيمة الدهر ٣/٣٦) .
٥٧ ـ يتيمة الدهر : ٤/٢ . ومعجم الادباء : ١٤/١٤ .
٥٨ ـ القاضي الجرجاني / ص١٠١ .
٥٩ ـ القاضي الجرجاني الاديب الناقد : ص٨٩ .
٦٠ ـ القاضي الجرجاني والنقد الادبي : ص٦٥ .
٦١ ـ اعددت دراسة مفصلة في الوساطة : الكتاب ، ومنهج التحقيق ، في طريقتها الى النشر .
٦٢ ـ البيتان غير منسوبين في الوساطة ص٣٣٦ ، ولم ينسبهما المحققان ، وقد وجدتهما منسوبين للمؤرج بن عمرو في (اخبار ابي القاسم الزجاجي) بتحقيق الدكتور عبد الحسين المبارك ص٥٣ ، وينظم مقدمة تحقيق كتاب (الامثال) لابي مفيد مؤرخ السدوسي (١٩٥ هـ) تحقيق د . رمضان عبد التواب ، القاهرة ١٩٧١ .
٦٣ ـ اليتيمة : ٤/١٠ ، معجم الادباء (مرغليوث) : ٥/٢٥٤ .
٦٤ ـ ديوان ابي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ١/٣٧٠ .
٦٥ ـ يتيمة الدهر : ٤/٢٠ .
٦٦ ـ المنتظم : ٧/٢٢١ ، معجم الادباء : ٥/ ٢٥١ .

ما تبقّى من شعر القاضي الجرجاني

ـ قافية الباء ـ
(١)

قالَ يُهنّيء الصاحب بن عباد : (من الطويل)

١ . بكَ الدَّهْـرُ يَنْدى ظلُّـهُ ويطيبُ ... ويُقْلـعُ عمـا ساءنـا وينـوبُ
٢ . ونَحْمَدُ آثارَ الـزَّمـانِ ورُبَّمـا ... ظَلَلْنـا واوقـاتُ الـزمـانِ ذنـوبُ

٣ . افي كلِّ يوم للمكارم روعةٌ
لهـا في قلوبِ المكرمات وجيبُ
٤ . تقسَّمت العلياءُ جسمَك كلَّهُ
فمنْ أين فيــه للسقامِ نصيبُ ؟
٥ . اذا ألِمَتْ نفسُ الاميرِ تـألَّمت
لهـا انفسٌ تحيـا بهـا وقلـوبُ

ومنها :

و٦ . ووالله لا لاحظتُ وجهـاً أحبُّه
حيـاتي وفي وجهِ الوزير شحوبُ
٧ . وليس شحوباً مـا اراه بوجهـه
ولكنـه في المكـرمـات نـدوبُ
٨ . فلا تجزعَنْ تلك السماءُ تغيَّمَتْ
فعمّـا قليـلٍ تبتـدي فتصـوبُ
٩ . تَهلَّلَ وجهُ المجدِ وآبتسم النَّدى
واصبح غُصْنُ الفضلِ وهــو رطيبُ
١٠ ـ فـلازالتِ الدُّنيا بمُلْكِكَ طَلْقَةً
ولازال فيهـا من ظِـلالـكَ طيبُ
١١ . وقد تتجلى الشمس بعد استتارها
وينقص ضـوء البـدرِ حين ينـوبُ
١٢ . فـإنَّ دعـائي مستجابٌ لانَّـهُ
مـلالـةُ قلبي والقلوبُ ضـروبُ

التخريج

الابيات (عدا الثاني عشر) في اليتيمة : ٤/ ١٨ .
الابيات ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ في (وفيات الاعيان) : ٣/ ٢٧٨ (دار الثقافة)
والابيات (عد ٩ ، ١٢) في (معجم الادباء) : ٥/ ٢٥٧ وهي في (المنتحل : ٢٢٧ ـ ٢٧٨)
عدا البيتين : ٢ ، ٤) وفيها زيادة (٩ ، ١٢) .
والابيات (٣ ، ٤ ، ٥) في (مرآة الجنان) : ٢/ ٣٨٦ وفيه الثالث روايته (وفي كل يوم) وهناك اختلاف طفيف في بعض الالفاظ .

(٢)

وقال من قصيدة كتبها الى ابي القاسم علي بن محمد الكرخي : (من الوافر)

١ . فإنْ يكُ قـد سلا وثناهُ عني
رُضــاعُ الكـاسِ او ظبيٌ ربيبُ
٢ . تسلُّطه النفوسُ على هـواهـا
وتُعطيـــه ازمتهـــا القلـــوبُ
٣ . بـاعطافٍ تبـاحُ لهـا المعاصي
والحـاظٍ تحـلُّ لهـا الـذنـوبُ

٤ . فلي كبـدٌ بـه حـزى وقلبٌ
على مـا فيــهِ من كَمَـدٍ طـروبُ

التخريج : الكناية والتعريض : ١٩ .

(٣)

وقال القاضي ابو الحسن الجرجاني : (من الكامل)

١ . وشكــرتُ مـا اوليتني ونشرتُـهُ
في النَّــاس فهـو مشرقٌ ومغـرِّبُ

التخريج : المنتحل ٨٣ .

(٤)

وقال : (من البسيط)

١ . من أين للعارض الساري تلهُّبُه
وكيفَ طبَّق وجْــهَ الارض صيِّبُــهُ
٢ . هل أستعان جفوني فهي تُنْجِدُه
أم أستعـار فـؤادي فهـو يُلهِبُـهُ
٣ . بجانبِ الكرخِ من بغداد لي سَكَنٌ
لـولا التَّجمـلُ مـا أنفكُّ اندبُـهُ
٤ . وصاحبٍ ماصحبْتُ الصَّبر قد بعُدَتْ
ديــارُه ، وأراني لستُ أصحَبُــهُ
٥ . في كلِّ يوم لعيني مـايؤرِّقُها
مِنْ ذكـره ولقلبي مـايُعـذِّبُـهُ
٦ . مـازال تُبعدُني عنـه وأتْبَعُـهُ
ويستمِــرُّ عَلَي ظُلمي وأعتبُـــهُ
٧ . حتى لوَتْ لي النَّوى من طول جفوته
وسَهْلت لي سبيـــلاً كنتُ أرْهَبُــهُ
٨ . وما البعادُ دَهاني بلْ خَـلائِقُهُ
ولا الفـراقُ شَجـاني بـلْ تَجَنُّبُهُ

التخريج : الابيات في : اليتيمة : ٤/ ١٤ .
٣ ـ ٨ في : معجم الادباء (ط . المامون) : ١٤/ ٢٩ و (ط . مرغليوث) ٥/ ٢٥٦ .
١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٨ في : خاص الخاص : ١٨٧ (والرابع فيها : صحبت الدهر) البيتان ١ ، ٢ في انوار الربيع : ٥/ ١٢٦ .

(٥)

وقال يمدح الصاحب (من مجزوء الكامل)

١ . يـامن اذا نظـر الـزمـا
نُ اليـــه اكثـــرَ عُجْبَـــهُ

٢ . رحـل المصيفُ فـلاتـزلْ
ابـدا تـودعُ ركبَـه

٣ . وبـدا الخـريفُ فحيِّ خـا
لصـةَ الـزمـان ونُبـه

٤ . زمن كخُلقـكَ نـاظـرٌ
ان كـان خلقـك يُشبـه

٥ . رقّ الهـواءُ فمـا تـرى
نفسـا يعـالـجُ كـربَـه

٦ . وصفـا ، وإنْ لاحظت أبْـ
ـعَـدَهُ ظننتـكَ قُـربَـه

٧ . فلـو أستحال مـدامـةً
مـاكنت احظـر شـربَـه

٨ . فتهنَّـه يـافـزدة
وتملَّـه يـاقُطبَـه

التخريج : اليتيمة : ٤ /١٧ .

(٦)

وقال في وصف الشعر :

(من الطويل)

وما الشعرُ الا ما أستفزَّ ممدَّحاً
وطربَ مشتاقاً وارضى مغاضبا

٢ . أطاع فلم توجد قوافيه نُفَّراً
ولم تأته الالفاظ حَسْرى لواغِبا

٣ . وفي الناس أتباعُ القوافي تراهمُ
يبيتُون في اثـارهنَّ المقـانبا

٤ . اذا لحظوا حرفَ الرويِّ تبادروا
وقد تركوا المعنى مع اللفظِ جانبا

٥ . وان مُنِعوا حرَّ الكلام تطرقُوا
حواشيه فاجتاحوا الضعيفَ المغاربا

٦ . ولكنني أرمي بكـلِّ بديعـةٍ
يبِتْن بالبـاب الرِّجـال لواعِبا

٧ . تسيرُ ولم ترحلْ وتدنو وقد نأتْ
وتكسِبُ حفّاظ الرجـالِ المراتبا

٨ . ترى الناس إمّا مستهاماً بذكرها
ولُوعـا ، وإمّا مُستعيراً وغاصِباً

٩ . اذودُ لئامَ الناس عنهـا واتّقي
على حَسَبي إن لمْ أصنْها السعايبا

١٠ . وأعضلُها حتى إذا جاء كفؤها
سمحتُ بها مستشرقاتٍ كواعِبا

١١ . وايُّ غيورٍ لا يجيبُ وقد رأى
مكـارمهَـا الـلاتي اتين خَـواطِبَـا

اللواغب من اللغب ، هو التعب والاعياء الشديد ، المقانب : الذئاب الضارية ، عضل المرأة منعها من الزواج ظلماً ، وأوفقه على القوافي تجوزا .

التخريج : اليتيمة : ٤ /٢٠

(٧)

وقال : (من الطويل)

١ . ألم تـز انواءَ الـربيـع كـأنّما
نَثَرْنَ على الآفاق وشيـاً مُذَهَّباً

٢ . فمنْ شجرٍ اظهَرْنَ فيـه طلاقةً
وكـان عبـوساً قبلهُنَّ مقطّبـا

٣ . ومن روضةٍ تقضي الشتاءَ حداذها
فـوشحْن عطفيهـا مـلاءً مُطَيَّبا

٤ . سقاها سُلافُ الغيثِ ريّاً فأصْبَحَتْ
تَمَـايَلُ سُكرا كلما هَبَّتِ الصَّبا

٥ . كـان سجايا شيرزادَ تمدُّها
فقـد أمنَتْ من ان تحـولَ وَتشحُبـا

التخريج : اليتيمة : ٤ /١٥ ـ ١٦ .

(٨)

وقال من قصيدة في ابي مضر محمد بن منصور وفيها حسن تخلص :
(من الطويل)

١ . اذا آستشرفتْ عيناك جانبَ تَلعَةٍ
جَلَتْ لك أخرى من رُبَـاها جَـوَانِبَا

٢ ـ يضـاحكنـا نُـوارُها فكـأنما
تُغـازلُ بَيْنَ الرَوض منها حبائبا

٣ . تَبسّمَ فيهـا الاقحوانُ فخلْتُـهُ
تلقّـاكَ مرتـاحاً إليكَ مُداعِبا

٤ . وحلَّ نقابَ الوردِ فآهتزَّ يدَّعي
بـواديهِ في وردِ الخدودِ مناسبا

٥ . أقول وما في الارض غيرُ قَرارةٍ
تُصافحُ روضاً حولها مُتقارِبَا

٦ . أباتتْ يدُ الاستاذِ بينَ رياضها
تَـدفُّقَ ، أمْ أهدَتْ اليها سحائبا ؟

٧ . ألبسها أخلاقـهُ الغرُّ فاغْتدَتْ
كـواكبُها تجلـو علينـا كـواكبا

٨ . اوشَّتْ حواشيها خـواطرُ فكرةٍ
فـابدت مَن الـزُّهر الانيق غرائبا

٩ . أهزُّ الصَّبا قُضْبـانَها كـآهتزازهِ
اذا لمسَتْ كفيْـهِ كفُـك طـالبـا

١٠ . أخالته يصبو نحوَهـا فتزيَّنَتْ
تـؤمِّلُ أن يختـارَ منها مـلاعِبا ؟!

التخريج : اليتيمة : ٤ / ١٥ ، وط الصاوي لليتيمة (٤ / ١٤) البيت السادس فيها (أبانت)

(٩)

في (تتمة اليتيمة) في ترجمة (ابي القاسم المحسن بن عمرو ابن المعلى) قال : انشدني ابو يعلي له في (المنتحل) :

لـو قيـل للشعـر الـذي يـدعي
ألحِق بمن قـالـك يـاشعـر
لم يبق في ديـوان اشعـاره
قصيـدة لا لا ولا سطـر

قال الثعالبي : واظرف والطَفُ منه قول القاضي ابي الحسن بن عبد العزيز في ابي بكر الخوارزمي : (وفي (احسن ماسمعت) على انه للقاضي في الاستاذ الطبري) :

(من الكامل)

١. لـو نُفِضَتْ اشعـاره نفضة
لانتثـرت تطلب اصحـابهـا

التخريج : تتمة اليتيمة : ١/ ٤٠ .
احسن ماسمعت : ١٤٥ .

(١٠)

ومن قصيدة له في الامير شمس المعالي قابوس بن وشمكير*، وفيها حسن تخلص :

(من الطويل)

١. ولمـا تداعَتْ للغـروبِ شموسُهم
وقُمنا لتـوديـعِ الفـريقِ المغـرِّبِ
٢. تَلَقَّيْنَ اطرافَ السجوفِ بمشـرِقٍ
لَهُنَّ واعطـافَ الخـدودِ بمغـربِ
٣. فما سِرنَ الا بين دَمـعٍ مُضَيَّعٍ
ولاقُمْنَ، الا فـوقَ قلبٍ معـذَّبِ
٤. كان فؤادي قِرْن قابـوسَ راعهُ
تـلاعبُـه بـالفيلقِ المتـاشِبِ

المتاشب : المختلط .

* ملك من ملوك الديلم على جرجان وطبرستان في القرن الرابع الهجري ، قتل سنة (٤٠٣ هـ) نشرت له رسائل (كمال البلاغة) في القاهرة ١٣٤١ هـ ، ينظر مقدمة الكتاب ، بروكلمان ، ٢/ ١٢١ .

التخريج : اليتيمة : ٤/ ١٦ ، معجم الادباء : ٥/ ٢٥٦ .

(١١)

علي بن عبد العزيز في (نم من يخاف الموت ولا يستعد له) :-

(من الطويل)

١ - اذا قلتُ لم يبلغْ بي السنُّ مبلغاً
وُعِظْتُ بطفلٍ صار قبلي الى التُّرابِ

التخريج : محاضرات الادباء : ٣/ ٤٩٤ .

(١٢)

وله في الصاحب بن عبّاد :

(من الطويل)

١ - وما بال هذا الدهر يطوي جوانحي
على نفس محـزونٍ وقلب كئيبِ ؟
٢ - تُقَسِّمني الايامُ قسمةَ جائـرٍ
على نظـرةٍ من حـالِهـا وشحُـوبِ
٣ - كـانّي في كف الوزيـرِ رغيبةٌ
تُقَسَّمُ في جـدوى أغـرَّ وَهُـوبِ

التخريج : اليتيمة : ٤/ ١٦ .
معجم الادباء : ٥/ ٢٥٧ .

(١٣)

وقال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني :

(من الطويل)

١ - اذا أنحازَ عنه الغوثُ واحتفلَ العدى
عليـك فصرخ بـاسمهِ الفَـرْدِ وأغلبِ
٢ - فلو طُبعَتْ بيضُ السيوفِ على أسمه
مَضَتْ وهي في الاغمادِ في كلِّ مَضْرِبِ
٣ - ومـا خُلقَتْ للمرء مسعاةُ والدٍ
إذا لم تقـابلْـه بخـالٍ مُهـذَّبِ

التخريج : التذكرة السعدية : ٢٤٥ (ط النجف) وص ١٦٣ (ط. تونس)

(١٤)

وقال :

(من الطويل)

١ - احب اسمـه من اجله وسَميّهُ
ويتبعـه في كـل اخـلاقـه قلبي
٢ - ويجتاز بالقوم العدى فـاحبهم
وكلهم طـاوى الضمير على حـربي

التخريج : معجم الادباء : (ط. المامون) : ١٤/ ١٤ و (ط. مزغليوث) ٥/ ٢٥٠ .

- قافية التاء -

(١٥)

ومن مقلوب المراثي قول (الجرجاني) :

(من مجزوء الرمل)

١ - ما لمخلوقٍ بمخلوقٍ لدى الموت شماتَهْ
٢ - غيز أنا نَحْمَدُ الله كثيراً اذْ أماته

التخريج : حماسة الظرفاء : ١/ ١٣٤ .

* لم يرد البيتان في غير (حماسة الظرفاء) وقد اكتفى المحقق الاستاذ محمد جبار المعيبد بالتعريف بالجرجاني ولم يذكر مصدراً اخر ولعلهما لجرجاني آخر .

- قافية الجيم -

(١٦)

(من المُسرح)

وقال :

١ - يـا قُبلـةً نِلتُهـا على دَهَشٍ
من ذي دلالٍ مُهفْهَفٍ غنـجِ
٢ - قـد صيّر الخشفُ غُنجُ مقلتِهِ
والـورد تـوريـدَ خـدِّه الضـرجِ
٣ - اذا تَثَنّى أوقـام معتـدِلاً
قـال لـه الغصْنُ : أنت في حَـرجِ

٤ ـ قد قسّم الحُسْنَ مقلتيك ابا الـ
قـاسم بـينَ الفتـور والـدَّعـجِ

٥ ـ قـلْ لهما يـرفقًا بقلب فتىً
طُـوِيَتْ احشـاءه على وَهَـجِ

٦ ـ فمنهما ـ لا عدِمْتُ ظلمتَهُمـا ـ
سُقمُ فـؤادي ومنهمـا فـرجي

التخريج: اليتيمة: ٤/ ١١.

ـ قافية الدال ـ

(١٧)

وقال القاضي أبو الحسن في (نار الغرام) :

(من الطويل)

١ ـ لو كنتُ أدري ما اقاسي من الهوى
لمـا حكمت للبين في وصلنا يـدُ

٢ ـ فلا يُنكر التخليدَ في النار عاقلٌ
فـانيَ في نـارِ الغـرام مخلَّـدُ

التخريج: ثمار القلوب: ٥٨٤.

(١٨)

وقال :

(من الطويل)

١ ـ تعاليت (عن)[1] قدرِ المدائح صاعداً
فسِيّـانِ عفوُ القـولِ عندك والجُهْـدُ

٢ ـ وإنَّ قليـلَ القولِ يكثرُ ريْعُـه
اذا عُـرِفَتْ فيـه المـوالاةُ والـودُّ

(١) زيادة يقتضيها الوزن.

التخريج: المنتحل: ٥٠.

(١٩)

وقال :

(من الطويل)

١ ـ وفارقتُ حتى ما أسَرُّ بمَن دنَا
مخـافـةَ نـأيٍ او خـذاز صدودِ

٢ ـ وقد جعلتْ نفسي تقولُ لمقلتي
وقـد قربوا خوفَ التباعدِ جودي

٣ ـ فليس قريباً مَنْ يُخـافُ بُعاده
ولا مَنْ يـرجّى قـربُـه ببعيـدِ

التخريج: اليتيمة: ٤/ ١٠، معجم الادباء: (ط. مرغليوث) : ٥/ ٢٥٤ و (ط. المامون) ١٤/ ١٤.

والاول في (المنتحل) : ٢٥٠.

(٢٠)

ومن قصيدة في عيادة الصاحب :

(من الطويل)

١ ـ بعينيَّ ما يُخفي الوزيرُ وما يبْدي
فنـورهُما من فَضْـلِ نُعمائه عندي

٢ ـ ساجْهَدُ أن أفدي مواطيءَ نَعْلِهِ
فإنْ أنا لم اقبلْ فمالي سوى جُهدي

٣ ـ لاعـدي تشكّيك البـلادَ واهلَها
وماخِلْتُ أنَّ الشكوَ يعدي على البعْدِ

٤ ـ ولم ادرِ بالشكوى التي عرضْتَ له
ونُعماه حتى أقبلَ المجـد يَستعدي

٥ ـ وما احسبَ الحُمّى وإن جَلّ قدْرُها
لتجسُر ان تدعو الى منبعِ المَجْـدِ

٦ ـ ومـا هي الا من تلهُّبِ ذهنِـهِ
تـوقدَ حتى فـاضَ من شدةِ الـوقد

٧ ـ ليفـدِك مِنْ نُعماك مـالُك رقَّـة
فكلُّ الورى بل كلُّ ذي مُهجَةٍ يفدي

٨ ـ ومازالتِ الاحرار تفدي عبيدَهـا
لتكفيهـا مـاتتقي مهجـةُ العبْـدِ

التخريج: اليتيمة: ٤/ ١٨.

(٢١)

وقال :

(من الوافر)

١ ـ جفـاؤك كـلَّ يـوم في مـزيـد
ومـا تنفـكُّ تُشمِتُ بي حَسُـودي

٢ ـ فـإنْ يكنِ الصُدودُ رضـاكَ فـأذهبْ
فـإنّي قـد وهَبْتُـكَ للصُـدودِ

٣ ـ فحسبي مِنـكَ أن يَهـواكَ قلبي
وحَسْبُـكَ أنْ أزورَكَ كـلَّ عيـدِ

التخريج: اليتيمة: ٤/ ٢٥.

(٢٢)

وقال من قصيدة كتبها الى اخوين له يعتذرُ من انقباضهِ عنهما واغبابه زيارتهما :

(من الطويل)

١ ـ ايا مَعْهَدَ الاحباب ذكْرُهم عهدي
ودُم لي، وإنْ دام البعادُ على الوُدِّ

٢ ـ ولي خُلُقٌ لا استطيـعُ فـراقَـهُ
يُفـوّتني حظي، ويمنعني رُشـدي

٣ ـ نُفورٌ عنِ الإخوانِ مِنْ غير ريبةٍ
تُغـذُّ جَفـاءً والـوفـاءُ لهُمْ وكُـدي

٤ ـ غذيتُ به طفلاً فإنْ رُمتُ هَجْرَهُ
تـأبّى وأغـرتني بـهِ ألفةُ المَهْـدِ

٥ ـ كما ألفتُ كفاكما البذْلَ والندى
فـاعياكمـا أنْ تمنعا كفَّ مستجدي

٦ ـ على أنني أقضي الحقوق بنيَّتي
وأبلغُ أقصى غاية القُرْبِ في بعدي

٧ ـ ويخدمُهُمْ قلبي ووُدي ومَنْطقي
وأبلغُ في رعي الزِّمـامِ لهم جُهدي

٨ ـ فإنْ أنتُما لم تقْبَلا لي عذرةً
والـزمتماني فيه أكثر من وَجْدي

٩ ـ فقـولا لطبعي أنْ يزولَ فـإنّـه
يرى لكما حقَّ المـوالي على العَبْدِ

التخريج : اليتيمة : ٤/٢٤ والمنتحل : ٢٥٢ (٢ ، ٣) .

(٢٣)

قال الثعالبي : وكما ان احسن ماسمعت في عين القصائد قول القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز من قصيدة في الصاحب :

(من الطويل)

١ - ولي فيكَ مالو أنصفَ الشعرُ صُيِّرَتْ
قــوافيه كُحْلاً في عيونِ القصـائـدِ

التخريج : ثمار القلوب : ٣٢٨ .

(٢٤)

قال من قصيدة :

(من الوافر)

١ - وأجفــانٍ تــروى كــلُ شيء
ســوى قلب الى الاحبـابِ صـادي
٢ - بــذاك جُزيتُ إذ فــارقتُ قوماً
نَبِئتُ لبينهمْ ثـــوينِيْ جِـــدادِ
٣ - معادِنَ حكمةٍ وعيــوثَ جُـذْبِ
وانجمُ خَيــرةٍ وصُــدور نـــادي

التخريج : يتيمة الدهر : ٢/١٢٥ .

(٢٥)

وقال القاضي أبو الحسن الجرجاني :

(من الطويل)

١ - ولستُ أحبُ المدحَ تُحشَى فُصولُه
بقــولٍ على قــدر العقيــدة زائـدِ
٢ - وما المدحُ الا بــالقلوبِ وإنّما
يُتمِّم حُسْنُ القَــول حُسْنَ القصائـدِ

التخريج : المنتحل : ٥٠ .

(٢٦)

وقال القاضي

(من الوافر)

١ فقــل في حالِ مــاسور ضعيف
يلــوذُ من الاعــادي بــالاعــادي

التخريج : المنتحل : ١٤٨ .

(٢٧)

وقال القاضي ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني :

(من الطويل)

١ - أقــولُ لسارٍ في شمــالٍ وراقــدِ
يُفتِّح فيــه البَرقُ أجفــانَ ســاهدِ
٢ - تجمَّــعَ مِنْ شتى ولكنْ تــألّفَتْ
نواحيهِ حتى صارَ في شَخصٍ واحدِ
٣ - وما أعجبتْني قطُّ دعوى عريضةٌ
ولو قام في تصديقِها ألفُ شــاهدِ

التخريج : الاول والثاني في : المنتحل : ٢٥٢ .
الثالث في نهاية الارب) : ٣/١٠٩ والتمثيل والمحاضرة : ١٢٣ .

(٢٨)

وقال :

(من السريع)

١ - انثُــز على خــديَّ مِنْ وردِكْ
أودَعْ فمي يقَطُفُ من خـــدِكْ
٣ - ارحَمْ قضيبَ البــانِ وارفقْ بـهِ
قــدْ خِفْتُ أنْ يتقــدُ من قــدِكْ
٣ - وقــلْ لعينيــكَ بنفسي هما
يُخَفّفــــانِ السُقْمَ عنْ عَبْـــدِكْ

التخريج : اليتيمة : ٤/١٠ ، معجم الادباء : ٥/٢٥٤ (مرغليوث) و (١٤/ ١٤) ط المامون .

(٢٩)

وقال يمدح الصاحب :

(من الطويل)

١ - ولا ذنبَ لــلافكــارِ أنتَ تــركتَهــا
اذا احتشَدَتْ لم تنتفِعْ باحتشادِهــا
٢ - سبقت بــافراد المعــاني وألِفَتْ
خــواطرُكَ الالفاظَ بعدَ شِــرادِهــا
٣ - فإنْ نحن حاولنا أختراعَ بديعةٍ
حَصلْنـا على مسـروقِهـا ومُعـادِهـا

ومنها في وصف الابل :

٤ - يقرِّبنَ طلابَ العلا من سمائِهــا
ويهــدينَ رواد النــدى لجــلادِهــا
٥ - فلاقينَ مولانا وقد صَنع السُرى
بِهن صنيــغ كفّــه بتــلادِهــا

التخريج : وردت ابيات في (اليتيمة) في موضعين : ٤ ، ٥ في (٤ / ١٦) و (١ ، ٢ ، ٣) في اليتيمة : ٤ /١٧ ، ومرآة الجنان : ٢ /٣٨٦ و (المنتحل : ١٤) وفيه (لم تحتفِلْ) بدل (لم ننتفع) في البيت الاول .
ووردت ايضاً في (الكنى والالقاب) : ٢ /١٤٣ . و (معجم الادباء) : ط . المامون ١٤ /٣١ ، وط مرغليوث : ٧ /٢٥٧ هـ و (وفيات الاعيان) ٣ /٢٧٨ .

-قافية الراء-

(٣٠)

وقال

(من الطويل)

١ - على مُهجتي تجني الحوادثُ والدهرُ
فــاما أصطبــاري فهــو ممتعٌ وغــرُ
٢ - كــاني الاقي كلَّ يــوم تَنُــويني
بــذنبٍ وما ذنبي ســوى أنني حُــرُ
٣ - فإن لم يكن عندَ الزمانِ سوى الذي
أضيقُ به ذَرْعا فعنــدي له الصَبر
٤ - وقالوا : توصَّلْ بالخضوع إلى الغنى
ومــا علموا أنَّ الخضُوعَ هو الفقْرُ
٥ - وبيني وبينَ المالِ بابانِ حرّما
عليَّ الغنى نفسي الابيّةُ والـدَهــرُ

ومنها :

٦ـ إذا قيل : هذا اليُسْرُ أبصرتُ دونه
مواقفَ خير من وقوفي بها العسر

٧ـ إذا قدموا بالوفر أقدمت قبلهم
بنفس فقير كل اخلاقه وفر

٨ـ وماذا على مثلي إذا خضعت له
مَطَامِعُهُ في كف من حصل التبر ؟

التخريج: (اليتيمة) : ٤/٢٤ ، (معجم الادباء) (مرغليوث) : ٥/٢٥٨ ، و(المامون) : ١٤/٣٣ ، (وفيات الاعيان) : ٣/٢٧٨ (الابيات ٤ ، ٥ ، ٦) ، وفي (انوار الربيع) : ٦/٢٦٩ ، و(مرأة الجنان) : ٢/٣٨٦ .

(٣١)

وقال على لسان غيره :

(من الطويل)

١ـ أبا حَسَنٍ طال انتظارُ عُصابةٍ
زَجَتْكَ لما يُرجى له الماجدُ الحرُّ

٢ـ وقد حانَ بلْ قدْ هان لولا المطالُ أنْ
يُحَلَّ لهم عن وعدك الموثقُ الاسر

٣ـ وقد فاتهم من قربك الانسُ والمُنى
وحاربَهُمْ فيك اختيارُك والدَّهْرُ

٤ـ فان كنتَ قد عوَّضْتَ عنهم بغيرهم
فعوِّضْهُمُ راحاً يزولُ بها الفِكْرُ

٥ـ فانْسُ الفتى في الدَّهْرِ خِلٌّ مساعد
وإنْ خانَهُ الخِلُّ المساعدُ فالخَمْرُ

٦ـ فامّا رسولٌ بالنبيذِ مبادِرٌ
وإلّا فلا تَغْضب إذا اغضبَ الشِّعْرُ

التخريج: اليتيمة : ٤/٢٤ والخامس (فإنه) بدل (خانه) في ط. الصاوي.

(٣٢)

وقال القاضي :

(من الخفيف)

١ـ هنأتْنا بكَ الليالي وسُرَّتْ
فيك اعيادُ دهرنا والشهورُ

٢ـ ومن العجْزِ أنْ يهنى بيوم
مَنْ بايامِهِ تُحَلَّى الدهورُ

٣ـ ما لشمسِ الضُّحى اختصاصٌ بوقتٍ
فيه تعلو على الورى وتُنيرُ

التخريج : المنتحل: ٤٣ .

(٣٣)

وكتب اليه بعض اهل رامهرمز ابياتاً يمتدحه فيها ، وقد كان بلغه عنه ابيات يشكو فيها اهل ناحيته ، فقال : هلا انتقل ، واتصل ذلك بقائلها ، فضمن ابياته اعتذاراً من المقام لتعذر النقلة فكتب اليه مجيباً له بقصيدة منها :

(من الطويل)

١ـ بداتَ فاسلفتَ التفضُّلَ والبِرَّا
وأوليتَ إنعاماً ملكتَ بها الشُّكْرا

٢ـ وللسابقِ البادي مِنَ الفضل رتبةٌ
تقصِّرُ بالتالي وإنْ بلغَ العُذْرا

٣ـ أتتنا عذاراك اللواتي بعثْتَها
لتوسِعَنا علماً وتُلبسنا فخْرا

٤ـ فافصحْن عن عذرٍ وطَوَّقْنَ مِنَّةً
وقُلْن كذا مَنْ قال فليقلِ الشِّعرا

٥ـ اذا لحظتْ زادت نواظِرَنا ضيا
وإن نُشرتْ فاحتْ مجالسُنا عِطْرا

٦ـ تنازعَها قلبي مَلِيّاً وناظري
فاعطيتُ كلًّا مِنْ محاسنِها شَطْرا

٧ـ فنزّهْتُ طرْفي في وشي رياضِها
والقطْتُ فِكْري بين ألفاظِها الدُّرا

٨ـ تُضاحِكُنا فيها المعاني فكلَّما
تاملْتُ منها لفظةً خِلتُها سِحْرا

٩ـ فمِنْ ثَيِّبٍ لم تُفترَعْ غيرَ جِلْسَةٍ
وبكرٍ من الالفاظِ قد زُوِّجَتْ بِكْرا

١٠ـ يظلُّ اجتهادي بينَهُنَّ مقصِّراً
وتُمسي ظنوني دونَ غايتِها حَسْرى

١١ـ إذا رُمْتُ انْ أدنو اليها تمنَّعَتْ
وحقٌّ لها في العَذْلِ أنْ تُظهِرَ الكِبْرا

١٢ـ وقد صدرتْ عن معدِنِ الفضلِ والعُلا
وقد صحبَتْ تلك الشمائلَ والنَّجْرا

١٣ـ فتمَّتْ لك النعمى وساعدك المنى
ومُلِّيتَ في خفْضٍ أبا عُمرَ العُمْرا

١٤ـ كَفَتْنا وإيّاك المعاذيرَ نيَّةٌ
إذا خَلَصَتْ لم تذكرِ الوصلَ والهجْرا

١٥ـ قدحتَ فعددتَ الذي فيك من عُلا
والبستني اوصافك الزُّهْرَ الغُرّا

١٦ـ وما أنا الا شعبةٌ مستمدةٌ
لمغرز فَيْضٍ ، فيك قد غمر البحرا

١٧ـ وقد كان ما بُلِّغْتَهُ مِنْ مقالةٍ
أنِفْتُ بها للفضل أنْ يالفَ الصُّغرى

١٨ـ إذا البلدُ المغمورُ ضاق برحبهِ
على ماجدٍ فليسكنِ البلدَ القَفْرا

١٩ـ وكم صاحبٍ لم يرضَ بالخسف فانبرى
يقارعُ مِنْ هِمّاتِه البيضَ والسُّمْرا

٢٠ـ ومن علقتْ نيلَ الاماني همومُه
تجشَّم في آثارِها المطلبَ الوعرا

٢١ـ فلا تشكُ احداثَ الزمان فانني
أراه بمن يشكو حوادثَه مُغرى

٢٢ـ وهل نصرتْ من قبل شكواك فاضلا
لتاملَ منهنَّ المؤونةَ والنُّصرا

٢٣ـ وما اغلب الايامَ مثلُ مجرِّبٍ
اذا غلبتْهُ غايةٌ غلبَ الصَّبْرا

التخريج: القصيدة عدتها (٢٣) بيتاً في يتيمة الدهر (ط. محيي الدين عبد الحميد) ٤ /٥٣، وفي طبعة (الصاوي) بلغت ابياتها اربعاً وعشرين بيتاً، بزيادة البيتين الاتيين بعد البيت الرابع.

فاوليتُها حسنَ القبولِ معظماً
لحقِّ فتىً أهدى بهن لنا ذكرا
تناهى النُّهى فيها وابدَع نظمها
خواطرَ ينقادُ البديعُ لها قسرا

والبيت (٦) في (ط. عبد الحميد) (تنازعها) غير موجود في (ط الصاوي).

(٣٤)

وقال القاضي ابو الحسن:

(من المتقارب)

١ - وجوّابةِ الافقِ موقوفةٍ
تسيرُ ولم تبرح الحَضرة

التخريج: البيت في (أسرار البلاغة) : ١٢٠، وتسلسله (٤٣٠).

(٣٥)

وقال:

(من الطويل)

١ - سقى جانِبَي بغدادَ اخلافُ مُزْنةٍ
تحاكي دموعي صَوْبَها وانحدارَها
٢ - فلي فيهما قلبٌ شجاني اشتياقه
ومهجةُ نفسٍ ما أمَلُّ ادّكارَها
٣ - ساغفر للايام كلَّ عظيمةٍ
لئن قرَّبَتْ بعدَ البعادِ مزارَها

التخريج: اليتيمة: ٤/ ١٣.
معجم الادباء: ٥/ ٢٥٥، والثاني روايته (فلي منهما)

(٣٦)

وقال: (من الطويل)

١ - اتتنا العذارى الغيدُ في حُلَلِ النُّهى
تُنشر عن عِلمٍ وتطوي على سِحرِ
٢ - تلاعَبُ بالاذهانِ رَوعةُ نشرِها
وتشغلُ بالمرأى اللطيفِ عن البَذرِ
٣ - الذُّ مِنَ البُشرى أتَتْ بعد غيبةٍ
وأحسنُ من نُعمى تقابَلُ بالشكرِ
٤ - فلم ار عقداً كان أبهى تألُّقاً
واشبهَ نظماً مُتقَناً منه بالنثرِ
٥ - ترى كل بَيْتٍ مستقلاً بنفسه
تباهي معانيه بالفاظه الغُرِّ
٦ - تحلت بوصفِ الجسم ثم تنكّرَتْ
ومالت مع الاعراضِ في حيزِ تجري
٧ - أرتْ سحاب الفكر فيها فابرزَتْ
لالِيءَ نورٍ في حدائِقها الزُّهرِ
٨ - فجاءَتْ ومعناها ممازجُ لفظِها
كما امتزجت بنتُ الغمامةِ بالخمرِ
٩ - اشدُّ اليه نسبةً من حروفه
واحوجُ من فعلِ جميلٍ الى نَشرِ
١٠ - نظمتُها عقداً كما نَظَم الحِجى
وفاءك في عقدِ السماحةِ والفَخرِ
١١ - كانك اذ مَرَّت على فيك أفرَعت
ثناياك في الفاظها بهجةَ البِشرِ
١٢ - كفتْنا خُفيا الخَفرِ رقةُ لفظِها
وأمننا تهذيبُها هفوةَ الشُّكرِ

التخريج: اليتيمة: ٤/ ٢٢.

(٣٧)

وفي (ثقل أحد) قال القاضي ابو الحسن علي بن عبد العزيز من قصيدة له:

(من البسيط)

١ - وصِرتُ في ثِقَلِ أحدٍ عندهُ ورأى
في طَلعتي رأيَ أهلِ الرفضِ في عُمَرِ

التخريج: ثمار القلوب: ٥٨٤.

(٣٨)

قال في المنتظم: « انشدنا ابو مضر احمد بن محمد الطوسي قال: انشدني ابو يوسف القزويني قال انشدني والدي قال انشدني القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني نفسه:

(من الطويل)

١ - إذا شئْتَ أنْ تستقرِضَ المالَ مُنفِقاً
على شهواتِ النَّفسِ في زمَنِ العُسْرِ
٢ - فسَلْ نفسك الإنفاقَ مِنْ كَنْزِ صَبْرِها
عليك وإنظاراً الى زمنِ اليُسْرِ
٣ - فإنْ فَعَلتْ كُنْتَ الغنيَّ وإنْ أبَتْ
فكلُّ مَنوعٍ بعدَها واسعُ العُذْرِ

التخريج: المنتظم لابن الجوزي: ١٨/ ٢٢١، البداية والنهاية: ١١/ ٣٣١، معجم الادباء (ط. المامون) ١٤/ ١٤، و(ط مرغليوث) ٥/ ٢٢٥ وشرح المضمون به على غير اهله: ١١١ وقد نسبها الى الشافعي مع اختلاف في بعض الالفاظ. ووردت الابيات منسوبة الى الامام علي (ع) في ديوانه / المكتبة الشرقية (طبع دار العربية = بغداد د. ت ص ٦٥).

(٣٩)

وقال ابو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي (اورده الثعالبي في باب: من الامثال السائرة لاهل هذا العصر):

(من البسيط)

١ - الهجر اروحُ مِنْ وصلٍ على خَذرٍ
والموتُ اطيب مِنْ عيشٍ على غَرَرِ

(الغرَر: الغفلات)

التخريج: التمثيل والمحاضرة: ١٢٣، زهر الاداب: ١/ ٢٧١.

(٤٠)

ـ قافية الزاي ـ

ونفق برذون أبي عيسى بن المنجم بأصبهان فعزاه الجرجاني فيه بقصيدة : (من الخفيف)

١ . جل والله مادهاك وعزا
فعزاءً إنّ الكريمَ مَعَزّى

٢ . والحصيفُ الكريمُ مَنْ إنْ أصابَتْ
نكبةٌ بعدَ ما يَعِزّ يعزّى

٣ . هي ما قد علمت أحداثُ دَهْرٍ
لم تدعْ عُزّةً تصانُ وكنزا

٤ ـ قصدتْ دولةَ الخلافةِ جهرا
فأبادت عمادَها والمُعِزّا

٥ . وقديماً افنت جديساً وطِسْماً
حفزتهم الى المقابر حفزا

٦ . أصغ والحظ ديارَهم هلْ ترى مِنْ
أحدٍ فيهم وتسمعُ رِكْزا ؟

٧ . ذهبَ الطِرفُ فاحتسِبْ وتصبَّرْ
للرزايا فالحرّ من يتعزّى

٨ . فعلى مثله استطيرَ فؤادُ الـ
ـحازمِ النَّدْبِ حَسرةً واستفزّا

٩ . لم يكن يسمح القيادَ على الهو
نِ ولا كان نافراً مشمئزّا

١٠ . ربَّ يوم رأيتهُ بينَ جُرْدٍ
تنقفّاه وهو يجمزُ جَمزا

١١ . وكانَ الابصارَ تعلقُ منه
بحسامٍ يُهزُّ في الشمسِ هَزّا

١٢ . وتراه يلاعبُ العينَ حتّى
تحسبَ العينُ أنّه يتهزّا

١٣ . وسواء عليه هَجْرٌ أو أسـ
ـرى أو انحطَّ أو تسنّم نَشْزا

١٤ . وكأنَّ المضمارَ يبرز منه
متْنَ جنّيٍ ينزُّ بالماءِ نزّا

١٥ . استراحتْ منه الوحوشُ وقد كا
نَ يراها فلا ترى منه حِرزا

١٦ . كم غزالٍ انحى عليه وعَيْرٍ
نالَ منه ، وكم تصيّدَ فِزّا[1]

١٧ . وصروفُ الزمانِ تقصدُ فيما
يستفيدُ الفتى الأعزّ الاعزّا

١٨ . فاذا ما وجدت من جَزَعِ النكـ
ـبةِ في القلبِ والجوانحِ وَخْزا

١٩ . فتذكرْ سوابقا كانَ ذا الطّر
فُ اليهنَّ حينَ يمدحُ يُعْزى

٢٠ . أين شقّ وداحسٌ وصبيبٌ
غمزتْها حوادثُ الدهرِ غمزا[2]

٢١ . غِلَّنَ ذا اللمةِ الجوادُ ولزّتْ
طرباً واللِّزازَ والسلبَ لَزّا

٢٢ . ولقد بزّتْ الوجيهَ ومكتو
ماً بني أعصرٍ وأعوجَ بزّا

٢٣ . وتصدتْ للاحق فرمته
وغرابٌ وزهدمٌ فاستُفِزّا

٢٤ . فاحمد الله انّ أهونَ ماترْ
زامَا كنتَ أنت المُعَزّى

٢٥ . قد رَثينا ولم نقصر وبالغـ
ـنا وفي البعض ماكفاه وأجزى

٢٦ . ومن العدل أن نثاب أباعيـ
ـسى على قدر ما فعلنا ونُجْزى

(١) الفز : الظبي الفزع .

(٢) شق وداحس وحبيب ، وذا اللمة ، وطرب ، واللزاز ، والسلب ، والوجيه ، وكلثوم واعصر وأعوج ولاحق ، وغراب ، وزهدم ، كلها أسماء أفراس سوابق للعرب .

التخريج : القصيدة (٢٦) بيتاً أوردها الثعالبي في (يتيمة الدهر) : ٣/٢٢٠ في ترجمة (الصاحب ابن عباد) .

(٤١)

ـ قافية السين ـ

قال في المنتظم (٤١) : اخبرنا اسماعيل بن أحمد انبانا سعد بن علي الزنجاني كتابة من مكة ، قال : انشدني عبد الله بن محمد بن احمد الواعظ ، قال : أنشدني قاضي القضاة علي بن عبد العزيز الجرجاني لنفسه : (من المخيف)

١ . ما تطعمت لذة العيش حتى
صرتُ للبيت والكتابِ جليسا

٢ . ليس شيءٌ عندي أعزَّ من الـ
ـعلمِ فما أبتغي سواه أنيسا

٣ . انما الذلُّ في مخالطةِ النا
سِ فدَعْهُمْ وعِش عزيزاً رئيسا

التخريج : ثلاثة أبيات في : المنتظم لابن الجوزي : ١٨ / ٢٢١ ، معجم الادباء (ط . المامون) ١٤/١٤ ، (ط مرغليوث) : ٥/٢٥١ .

ورواية البيت الثاني فيه :

ليس شيء أعزّ عندي من العلم
فلم أبتغي سواه جليسا

الكنى والالقاب : ٢/١٤٣ ، مرآة الجنان : ٢/٢٨٦ . وفي (وفيات الأعيان) (ط بيروت) : ٣/٢٧٨ ، و (ط القاهرة) : ٢/٤٤٠ .

شذرات الذهب : ٣/٥٧ ، البداية والنهاية : ١١/٣٣١ (البيتان ١ ، ٢)

والأول في (شرح المضمون به على غير أهله) : ٤ وروايته (صرت في وحدتي لكتبي جليساً)

(٤٢)

- قافية العين -

وقال القاضي ابن عبد العزيز:

(من الوافر)

١ . وما أخشى قصوراً عن مرام
ومثلك [لي] الى الدنيا شفيعُ

٢ . ومثلك لا ينبه غير أنا
أتانا الأمر بالذكر النفوعُ

قال الثعالبي: «يريد قوله تعالى: «وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين» الذاريات: ٥١ : ٥٥ .

التخريج: بيتان أوردهما الثعالبي في «الشعر والشعراء وأنواع اقتباساتهم من ألفاظ القرآن ومعانيه» رسالة حققها الدكتور مجاهد مصطفى بهجت ونشر الباب العشرين منها في: مجلة المورد المجلد ١٧، العدد ٤، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٩ م. ص٢١٧.

(٤٣)

وقال أيضاً:

(من الخفيف)

١ . لا تزل تستجدُّ ايام أنس
كل يوم بمثله مشفوعُ

٢ . تستنير السعود فيها جديداً
كلما غاب عنك وقتٌ خليعُ

التخريج: المنتحل: ٤٣ .

(٤٤)

القاضي علي عبد العزيز في الحث على اللهو أيام الربيع وعلى التمتع بها:

(من الخفيف)

١ . قد صفا الجوُّ واستحال نسيماً
وتندى الهواءُ وهو يميعُ

٢ . بشّرتنا أوائلُ الزهرِ بالور
دِ فكلّف صِباكَ ما تستطيعُ

التخريج: محاضرات الأدباء: ٣/٥٦٩ .

(٤٥)

وقال من قصيدة يتشوق فيها بغداد، ويصف موضعه بناحية أهله ويمدح صديقاً له من اهلها:

(من الطويل)

١ . أراجعة تلك الليالي كعهدها
الى الوصل أم لا يرتجى لي رجوعها

٢ . وصحبة أقوامٍ لبستُ لفقدهم
ثيابَ حدادٍ مستجدٌ خليعُها

٣ . اذا لاح لي من نحو بغداد بارق
تجافت جفوني واستُطير هجوعُها

٤ . وان أخلفتها الغادياتُ وعودها
تكلّف تصديقَ الغمام دموعُها

٥ . سقى جانبَيْ بغدادَ كلُّ غمامةٍ
يحاكي دموعَ المستهامِ هموعُها

٦ . معاهد من غزلان أنس تحالفتْ
لواحظُها أن لا يداوى صريعُها

٧ . بها تسكنُ النفسُ النفورُ ويغْتدي
بانس من قلب المقيمِ نزيعُها(١)

٨ . يحنُّ اليها كل قلب كأنما
يشاز بحباتِ القلوب ربوعُها

٩ . فكل ليالي عيشها زمنُ الصبا
وكل فصول الدهر فيها ربيعُها

١٠ - ومازلتُ طوعَ الحادثاتِ تقودُني
على حُكمِها مستكرها فاطيعُها

ومنها:

١١ . فلمّا حللتُ القصرَ قصّرَ مسرتي
تفرّقْنَ عني آيساتٍ جموعُها

١٢ . بدارٍ بها يَسلى المَشوقُ اشتياقه
ويامن رنيبَ الحادثاتِ مروعُها

١٣ . بها مسرحٌ للعينِ فيما يروقُها
ومُشترَوحٌ للنفسِ مما يروعُها

١٤ . يرى كلّ قلب بينها ما يسرّه
اذا زهرت أشجارُها وزروعُها

١٥ . كان خريرَ الماء في جَنَباتِها
رعودُ تلقَّتْ مزنةٌ تستريعُها

١٦ . اذا ضربتْها الريحُ وانبسطتْ لها
ملاءة بدر فصّلتها وشيعُها(٢)

١٧ . رأيتَ سيوفاً بين أثناءِ أدرعٍ
مذهبة يغشى العيونَ لميعُها

١٨ . فمن صنعةِ البدر المنير فصولُها
ومن نسج أنفاسِ الرياحِ دروعُها

١٩ . صفا عيشنا فيها وكادت لطيبها
تمازجها الارواح لو تستطيعها

(١) النزيع والنازع: الغريب يشتاق الى وطنه.

(٢) الوشيع: أعلام الثوب.

التخريج: القصيدة عدتها (١٩ بيتاً) في (اليتيمة) ٤،: ١٣/ . ١ - ٩ في (معجم الادباء) : ٥/٢٥٥، والثاني فيه (صحبة أحب ب)

(٤٦)

وقال القاضي:

(من الوافر)

١ . تركنا أرضَ مصرَ كل فَدْم
له باعٌ يقصُر عن ذراعي

٢ . نفوسٌ لا تليقُ بها المعالي
وأخلاقٌ تضيقُ عن المساعي

٣ . أقمتُ (بها) ومن محن الليالي
مقامُ الاسْدِ في كهْفِ الضباع

٤ . أقــول وقد نـاؤا بُعداً وسحقـاً
لشرُ الخلقِ في شرّ البقـــــــاعِ
٥ . وكم خلّفت من كرمٍ مهينِ
بعرضَتها ومَن عِرضٍ مُضَاعِ
٦ . ونقصٍ في أكابرِها حضيضٍ
وجهلٍ في أصاغرها مشاعِ
٨ . لئن ناءت سريرُتكم وكانَتْ
فضيحتكم قناعا للقناعِ
٩ . جعلتم ذَنْبنا أنّا سمِعْنَا
وما الاذانُ الا للسمَاعِ

التخريج : المنتحل / ١٤٩ .

(٤٧)

قال علي بن عبدالعزيز : في (الشاكي كثرة ما يعرض له من فرقة الاحباب) .

(من الوافر)

١ . كـــان البيْنَ محتـــومٌ عنينـــا
فليس ســـوى التـــلاقي للـــوداعِ

التخريج : محاضرات الادباء : مجـ ٢ ص٧٠

(٤٨)

في معجم الادباء ، قال ياقوت : « ثمّ قال - (أيْ) الثعالبي - وسمعته - أي القاضي - يقول : ان الصاحب يقسم لي من اقباله باكرامه بجرجان اكثر من ما يتلقاني به في سائر البلاد وقد استعفيته يوماً من فرط تحفيه بي وتواضعه لي فانشدني :

(من الكامل)

اكـــرم أخـــاك بـــارض مـــولـــده
وأمـــــده من فعلـــــه الحسَنِ
فـــالعـــزّ مطلـــوبٌ وملتَمس
وأعـــزّه مـــانيـــل في الـــوطن

ثمّ قال : قد فَرِغْتُ من هذا المعنى في العينية ، فقلت لعل مولانا يريد قولي :

(من الطويل)

وشيّدتَ مجدي بين قومي فلم أقل
الا ليت قـــومي يعلمـــون صنيعي

فقال : ما أردت غيره » .

وقد أورده الشيخ محمد حسن ال ياسين في شعر الصاحب (ديوانه ط٣ ، بيروت ١٩٧٤) ص٢٤٣ ولعله وهم من المحقق .

التخريج : معجم الادباء : ١٤/١٤ .
يتيمة الدهر ٢ : ٢٠٢ (ترجمة الصاحب بن عباد)

- قافية الفاء -

(٤٩)

وأهدى الى صديق له بعض أخوانه تحفة فيها أفراخ وباقلاء وباذنجان فقال على لسانه يذكر ذلك :

١ . أبى سيـــد الساداتِ الّا تظرفًا
والّا وصـــالًا دائمـــاً وتعطفـــاً
٢ . وســاعدني فيـه الزمـان فخلته
تحـرج من ظلمي فتـــاب وأسعفـــا
٣ . وأهيف لـــوللغصن بعض قوامـه
تقصف ، عـــار أن أسمّيـــه أهيفـــا
٤ . تحيّف غفــلات الوشــاة فزارنــا
يعـرج عن قصد الطـريق تحـوّفـــا
٥ . فما باشرت رجلاه موضع خطوه
من الارض الّا أورثــــاه تصلّفـــا
٦ . وتلحظ خـذيـه العيـــون فتنثني
تســاقط فــوق الارضِ ورداً مقطفاً
٧ . فقلت : أحلمٍ أم خواطر صبـوةٍ
تصــوّره ، أم أنشـــر الله يـــوسفـــا
٨ . وفيما تجلى البدر والشمس لم تغب
أحـــاول منهـــا أن تحـــول وتكسفـــا
٩ . اما خشيت عيناك عينا تصيبها
وغصنـــك ذا اذ مـــال أن يتقصّفـــا
١٠ . ولم يحذر الواشين من لحظاته
تقلّب سيفـــاً بين جفنيـــه مـــرهفـــا
١١ . فقال اشتياقاً جئتكم وصبابـــة
اليكم وإكـــرامـــاً لكم وتشـــوقـــا
١٢ . وليس الفتى من كان ينصف حاضراً
أخـــاه ، ولكن من اذا غـــاب أنصفـــا
١٣ . ومرّ فلم أعلم لفرط تحيـــري
أطيـــرُ ســـروراً أم أمـــوت تـــاسّفـــاً
١٤ . فيا زورة لم تشف قلباً متيّما
ولكّنهـــا زادت غـــرامي فـــاضعفـــا
١٥ . فلمـــا تمثلنـــا الهـــديّة خلتـــه
تمثّـــل فيهـــا بهجـــة وتظـــرّفـــا
١٦ . ولمّـــا مددنـــا نحوهن أنـــاملًا
بـــراهـــا الضنى في حبـــةٍ فتحيفـــا
١٧ . الى بـــاقـــلاء خيف الّا تقلّـــه
يـــداي لمـــا بي من هـــواه فتضعفـــا
١٨ . حملنا باطراف البنان ولم نكد
بنـــانـــا زهـــاهـــا الحسنُ أن تتطـــرّفـــا
١٩ . وسودا تروت بـــالدهـــان وبدّلت
بتـــوريدهـــا لـــونـــا من النـــار أكلفـــا
٢٠ . كافواه زَنْجٍ تُبصر الجلد أسودا
وتُبصـــر ان مـــزُتْ لجينـــا مـــولّفـــا
٢١ . كخلق حبيب خاف اكثار حاسد
فـــاظهر صرماً وهـــو يعتقد ألـــوفـــا
٢٢ . ومنتـــزع من وكـــرامٍ شفيعـــةٍ
يعـــزّ عليهـــا أن يصـــاد فيعسفـــا

٢٣ . يغذي غذاء الطفل طال سقامه
فحنّ عليه والداه فرفرفا
٢٤ . فلما بدت أطراف ريش كانه
مبادي بنات غب قطر تشرفا
٢٥ . تكلّفه من يرتجي عظم نفعه
فكان به أحفى وأحنى وأرهفا
٢٦ . يزق بما يهوى ويُعلف ما اشتهى
ويمنع بعد الشبع أن يتصرّفا
٢٧ . فلما تراته العيون تعجبًا
وقيل : تناهى ، بل تعدى وأسرفا
٢٨ . اراق دماً قد كان قبل يصونه
كدمعة مضنى القلب روّعه الجفا
٢٩ . تضرّب حتى خلت أن جناحه
فؤادي حيناً ، ثمّ عوجل وانطفا
٣٠ . فجيء به مثل الأسير تمكّنت
أعاديه منه بعد حرب فكتفا
٣١ . له أخوات مثله ألفت ثنى
على مثل ما كانت زماناً تألفا
٣٢ . وقال لي الفال المصيب مبشراً
كذا أبداً ما شئتما متألفا
٣٣ . فيالك من أكل على ذكر من به
تطيب لنا الدنيا تعطفّ ام جفا
٣٤ . ولم أر قبل اليوم تحفة مُتحِف
أسرّ وأبهى بل أجلّ وأشرفا
٣٥ . علمنا به كيف التظرّف بعده
ومن عاشر الحُرّ الظريف تظرّفا

التخريج : القصيدة (٣٥ بيتاً) في : اليتيمة : ٤ /٢٥.
الأبيات : ١٦ ، ٢٠ ، ٢١ في : محاضرات الادباء : ٢ /٦١٧ بدأها بقوله (قال عبد العزيز) والتاسع عشر فيه (وسود) بالجر.
البيتان : ٤ /٣٥ في المنتحل : ٢٥٠.

(٥٠)

وقال : (من السريع)

١ . من ذا الغزالُ الفاتنُ الطرفِ
الكاملُ البهجةِ والظرفِ ؟
٢ . مابال عينيه والحاظِهِ
دائبةٌ تعمل في حتفي ؟
٣ . واها لذاك الورد في خدّهِ
لو لم يكن ممتنعَ القطفِ
٤ . أشكو الى قلبك ياسيدي
ما يشتكي قلبي مِنْ طرفي

التخريج : اليتيمة : ٤ /١١.

ـ قافية القاف ـ

(٥١)

وقال : (من الطويل)

١ . وقالوا اضطرب في الارض فالرزق واسعٌ
فقلت : ولكن مطلبَ الرزقِ ضيّق
٢ . اذا لم يكن في الارض حرٌّ يعينني
ولم يك لي كَسْبٌ فمِنْ أين أرزقُ ؟

التخريج : اليتيمة : ٤ /٢٣ ، خاص الخاص : ١٨٨ ، التمثيل والمحاضرة : ١٢٣ ، معجم الادباء : (مرغليوث) : ٥ /٢٥٠ ، الوفيات : ٣ /٢٧٨ ، نهاية الارب : ٣ /١٠٩.

(٥٢)

وله : (من مجزوء الكامل)

١ . مالي ومالك يافراقْ
أبداً رحيلٌ وانطلاقْ
٢ . يانفسُ موتي بعدهم
فكذا يكون الاشتياقُ

التخريج : وفيات الاعيان : (بيروت) : ٣ /٢٢٨ و (ط. القاهرة) : ٢ /٤٤٠ ، انوار الربيع : ٤ /١٨٦ والبيتان مع ثالث لابن المعتز في ديوانه : ١ /٣٩٤ والثالث :

كذب الهوى متصنّع
الحبّ شيء لا يُطاقُ

(٥٣)

وللقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني من قصيدة هزل ومداعبة :

(من البسيط)

١ . تبيت تحلج طول الليل منكمشاً
وباختيار تنادي أدركوا الفرقا
٢ . وقام عمرو فأمّته أكف يد
لما أنثنى وتحسى منهم المرقا
٣ . اذا هوى منه مثل الرمح واتسعت
كالترس وافق شنّ عندها طبقا

التخريج : الكناية والتعريض : ١١.

(٥٤)

وقال :

(من السريع)

١ . قد برّح الشوقُ بمشتاقِكْ
فأوْلِهِ أحسنَ أخلاقِكْ
٣ . لاتجفُه وارعِ له حقَّه
فإنه خاتمُ عشاقِكْ

التخريج : اليتيمة : ٤ /١٠ ، خاص الخاص : ٢٨٦ (قد برح الحب) ، الكناية والتعريض : ٢٨ (أوردهما في فصل (الكناية عند خروج اللحية مدحاً وذماً) قال : « ومن بديع الكناية وخفيها في هذا الفصل ... قول القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز .. أوردهما باطلاق القافية (مشتاقكا باخلاقكا عشاقكا) الوفيات : ٣ /٢٧٨ (ط بيروت) ، بالاعجاز والايجاز : ١٩٤ معجم الادباء (ط مرغليوث) : ٥ /٢٥١ و (ط. المامون) : ١٤ /١٩ . أنوار الربيع : ٤ /١٨٦ ، دمية القصر : ١ /٢٣٠ (في ترجمة أبي العباس

الاندلسي) ،والبيتان في حماسة الظرفاء : ٢/١٢٢ قال انشدنا القاضي المؤمل بن الخليل خطيب غزنة)
(وفي دمية القصر ـ ط مصر ـ تحـ عبد الفتاح الحلو ص١٧٥)

(٥٥)

وقال (سامحه الله) :

(من السريع)

١ . وغنجِ عينيك وما أودعت
أجفانُها قلبَ شجٍ وامق

٢ . ما خَلق الرحمنُ تفاحتيْ
خديك الالغم العاشق

٣ . لكنني أمنعُ منها فما
حظي الّا خلسةُ السارق

التخريج : اليتيمة : ٤/١١ .

(قافية اللام)

ـ ٥٦ ـ

وقال يمدح الصاحب :

(من الطويل)

. ليَهْنَ ويَسْعَدْ من به سَعِدَ الفَضْلُ
بدارٍ هي الدُنيا وسائرُها فَضْلُ

٢ . تولّى له تقديرَها رَحْبُ صدرِه
على قدرِهِ والشَكْلُ يُعجبُه الشَكْلُ

٣ . بَنِيَّةُ مَجْدٍ يَشهدُ الارضُ أنها
ستطوي ، وما حاذي السماء لها مثل

٤ . تكلّف أحداث العيون تحاوصا
إليه كان الناس كلهم قَبْلُ

٥ . منارٌ لابصار الرواةِ وربّما
منارٌ لآمالِ العُفاةِ اذا ضلُّوا

٦ . سحابٌ علا فوقَ السحَابِ مُصاعِداً
وأحرِ بأنْ يعلو وأنْتَ له وَبْلُ

٧ . وقد أشبلَ الخيريّ كمي مفاخر
بصحن به للمُلك يَجْتمعُ الشَمْلُ

٨ . كما طَلَع النَسْرُ المُنيرُ مُصَفِقًا
جَناحيه لولا أن مطلعهُ عقل

٩ . بنيتَ على هام العُداةِ بنيّةً
تمكّن منها في قلوبِهم الغِلُّ

١٠ . ولو كنتَ ترضى هامُهم شرفاً لها
أتوك بها جُهْدَ المقلّ ولم يالوا

١١ . ولكنْ أراها لو هَممتَ برفعها
أبى اللهُ أنْ تعلو عليك فلم تعلُ

١٢ . تحِجّ لها الامالُ مِنْ كلّ وجهةٍ
ويُنحرُ في حافاتها البُخْلُ والمَحْلُ

١٣ . وما ضرَّها الّا تُقابِلَ دَجلةً
وفي حافتيها يلتقي الفيضُ والهَطْلُ

١٤ . تجلى لاطرافِ العراقِ سُعودُها
فعاد اليها المُلْكُ والافقُ والعدلُ

١٥ . كذا السَعْدُ قد ألقى عليها شُعاعَه
فليس لنحسٍ في مطارحِها فِعْلُ

١٦ . وقالوا : تعدّى خلقُه في بنائها
وكان ، وما غيرُ النوالِ به شُغْلُ

١٧ . فقلت : اذا لم يُلهِهِ ذاك عن ندىً
فماذا على العلياءِ انْ كان لا يَخْلو

١٨ . اذا النَصلُ لم يُذمِمْ نجارا وشيمةً
تانق في غِمدٍ يُصانُ به النصلُ

١٩ . تملّ على رغمِ العواذلِ والندى
علاك ، وعِشْ للجود ما قَبُحَ البُخْلُ

ومنها :

٢٠ . فتىً كيفما ملنا رأينا له يَدا
بعيدةَ مرمى الشُكر مَطلبها سَهْلُ

٢١ . خفيفٌ على الاعناقِ مَحْملُ مَتْنِها
ولكنْ على الافكارِ من عدِّها ثِقْلُ

٢٢ . وواللهِ ما أفضى من المالِ مانشا
الى كفِهِ الّا العِنَانُ أو النَّصْلُ

التخريج : ١ ـ ١٩ في اليتيمة : ٣/١١ (في ترجمة الصاحب بن عباد) والبيت (١١) فيه (فلم تعلو)

الابيات : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ في اليتيمة : ٤/١٦ (وترتيبها باجتهاد مني) والبيت (١٩) ، (الحواسد) بدل (العوانل) .

١ ، ٢ ، ١٨ ، ١٩ في المنتحل : ٤٠ .

البيت (١٨) في (التوفيق للتلفيق) : ١٤٤ وفيه (السيف) بدل ، (النصل) وقد اورده الثعالبي في (التلفيق بين السيف والغمد) والاول في (محاضرات الادباء) : ٢/٤١٣ تحت عنوان (تهنئة بدار)

(٥٧)

وقال :

(من المنسرح)

١ . ولو تراني وقد ظَفِرْتُ به
ليلًا وسِتْرُ الظلامِ مُنْسَدِلُ

٢ . وللكرى في الجفونِ داعيةٌ
وقد حداها حادٍ له عَجِلُ

٣ . وخوصتْ أعينُ الوشاةِ كما
جُعْشَ معشوقةُ الفتى الغَزِلُ[1]

٤ . فذاك مُغفٍ وذاك مختلِطٌ
فهذي وهذا كانه ثمِلُ

٥ . وقلتُ : ياسيدي بدا علم الصُبْحِ وكاد الظلامُ يَرْتَحِلُ

٦ . ثمّ انثنى يبتغي وسادَي اذ
أيْقَنَ أن الوشاةَ قد غَفِلُوا

٧ . فبات يشكو وبتُّ أعذِرُه
وليس الّا العتابُ والعِلَلُ

٨ . لخِلْتَنا ثَمّةَ شعبتي غُصُنٍ
يومَ صَبًا ، نلتوي ونعتدِلُ

٩ . ياطيبتها ليلةً نعِمْتُ بها
غراء أدنى نعيمها القُبَلُ

(١) الحَوَص : (بفتح الحاء) والواو جميعاً) ضيف في مؤخرة العينين أو في احداهما .

التخريج : اليتيمة : ٤/١٢ .

(٥٨)

ومن قصيدة له :

(من البسيط)

١ . وما أقيمُ بدارٍ لا أعزُّ بها
ولا يقرُّ فراري حيثُ أبتذلُ

٢ . وقد كفاني انتجاعَ الغيثِ معرفتي
بأنّ دليرلي(١) من سيبه بدلُ

٣ . تجنّبت نشواتِ الخمرِ همّتُهُ
وأعلمتنا العطايا أنه ثَمِلُ

(١) دلير بن بشكر أحد الممدوحين .

التخريج : اليتيمة : ٤/١٥ .

(٥٩)

ومن قصيدة له في (الصاحب بن عباد)

١ . لا ، ويجفونِ يغضّها الغَذَلُ
عن وجناتٍ تُذيبها القُبَلُ

٢ . ومهجةٍ للهوى معرضةٍ
تعيث فيها القدود والمقلُ

٣ . ما عاش مَنْ غابَ عن ذُراكَ وإنْ
أخّرَ ميقاتَ يومِهِ الأجلُ

التخريج : اليتيمة : ٤/١٨ .

(٦٠)

وقال :

(من البسيط)

١ . قل للأمير الذي فَضْلُ الزمانِ بهِ
ما الدهرُ لولاك الا منطقٌ خطلُ

٢ . كفاك اثار كفيك التي أبتدعتْ
في المجدِ ما شاده اباؤك الأوّلُ

٣ . مازال في الناس أشباهٌ وأمثلةٌ
حتى ظهرتَ فغابَ الشكْلُ والمَثَلُ

التخريج : اليتيمة : ٤/١٩ .

(٦١)

وقال القاضي :

(من الخفيف)

١ . أنا الوليُّ الذي اذا كُشفتْ
أسرارُهُ قيل أخلص الرَّجُلُ

٢ . مَوَدّةٌ لا يشبنها ملق
ونيّةٌ لا يَشوبُها دَخَلُ

٣ . اذا دنا فالولاءُ مُشْتَهَرٌ
وإن نأى فالثّناءُ متّصِلُ

التخريج : المنتحل : ٢٥٢ .

(٦٢)

وقال القاضي علي عبد العزيز في المدح :

(من الطويل)

١ . لحاظُك أقدارٌ وكفُّك مُزنةٌ
وعزمُك صَمْصامٌ وريقُك غَيْلُ

التخريج : فقه اللغة للثعالبي : ٥٥٨ ، وفي هامشة (الغيل بفتح الغين واسكان الياء هو اللبن الذي ترضعه المرأة وهي حامل ، الغلام السمين العظم)

ـ ٦٣ ـ

وقال القاضي :

(من الطويل)

١ . سقى الغيثُ أو دمعي وقلَّ كلاهما
لها أربُعاً ، جَوْزُ الهوى بينها غذل

٢ . بحيث استرق الدعص وانبسط النَّقى
وحيثُ تناهى الحِقْفُ وانقطع الرَّمْلُ

٣ . أكثرُ من أوصافها وهي واحدٌ
ولكنْ أرى اسماءها في فمي تحلو

٤ . وفي ذلك الخِدرِ المكلّلِ ظَبيةٌ
لكلِّ فؤادٍ عندَ أجفانها ذَحْلُ

٥ . اذا خَطَراتُ الريحِ بينَ سُجُوفِها
أباحتْ لطرفِ العينِ ما خظرَ البُخْلُ

٦ . تلقت باثناءِ النصيفِ لحاظَنا
وقالتْ لاخرى : ما لمُستهتَرٍ عَقْلُ

٧ . أبي مثلَ هذا اليوم يمرحُ طرفُه ؟
وأعداؤنا خَولٌ وحسادُنا قَبلُ

٨ . وفدتْ لاسباب السجوف بنانُها
فغازلنا عنها الشمائلُ والشكْلُ

التخريج : معجم الأدباء (مرغليوث) : ٥/٢٥٨ ، (ط. القاهرة) : ١٤/٣٤ .

(٦٤)

وقال من قصيدة في الصاحب بن عباد (أبي القاسم اسماعيل) وفيها حسن تخلص :

(من الكامل)

١ . أو ما أثنيتَ عن الوداع بلوعةٍ
ملأتْ حشاك صبابةً وعويلا

٢ . ومدامعٍ تجري فيحسب أنّ في
اماقِهِنّ بنانَ إسماعيلا

التخريج : اليتيمة : ٤/١٥ (والاول فيها (وغليلا) بدل (عويلا) معجم الادباء (مرغليوث) : ٥/٥٦ و (المامون) : ١٤/٢٩ .

(٦٥)

وقال في مدح الصاحب :

(من الكامل)

١ . يا أيُّها القرمُ الذي بعُلوه
نال العلاءَ من الزمانِ السُّولا

٢ . قسمتْ يداك على الورى أرزاقها
فكنوك قاسمَ رزقها المسئولا

التخريج : اليتيمة : ٤ /١٧ .

(٦٦)

وقال :

(من الكامل)

١ . أهدت لمجدِكَ حلة موشية
تكسو الحسود كآبة وذبولا

٢ . أحيَتْ حبيباً والوليدَ ففضّلا
منها وشائِغ نسجها تفصيلا

٣ . فأفادها الطائي دِقّة فكره
والبحتريُّ دماثةً وقبولا

يريد بحبيب أبا تمام الطائي ، وبالوليد أبا عبيدة البحتري ، وقد أشار الثعالبي في اليتيمة الى أن القاضي الجرجاني يجمع بين خطِّ ابن مقلة ونثرِ الجاحظ وشعرِ البحتري (اليتيمة ٤ /٣)

التخريج : اليتيمة : ٤ /٢٠ .

وقال في الأمير شمس المعالي من قصيدة له :

(من الخفيف)

١ . ليلةٌ للعيونِ منها وللأسـ
ـماعِ ما للقلوبِ والآمالِ

٢ . نُظِمتْ للنُّدامِ فيها الاماني
مثلَ نظمِ الاميرِ شمسِ المعالي

التخريج : ٤ /١٦ .

(٦٨)

القاضي علي بن عبد العزيز :

(من البسيط)

١ . كلُّ الزمانِ إذا افضى تصرُّفُه
إليكَ وقتُ نُزُولِ الشمسِ في الحَمَلِ

التخريج : أورده الراغب في محاضرات الادباء : ٢ /٥٣٤ تحت عنوان (قصد من يتلقى زائره بالنجاح) .

– ٦٩ –

قال في مدح الصاحب :

(من البسيط)

١ . أغرُّ أروعُ تُغْرِبنا وقائِعُه
في المالِ والقَرْنِ عن صِفّينَ والجَمَلِ

٢ . مُسترضَعٌ بثَدْيِ المجدِ مفْتَرِشٌ
حِجْرَ المكارمِ مَفْطومٌ على البُخْلِ

٣ . أمضى من السيفِ لفظاً غيرَ مجلجة
تغشاه إنْ مالَ مُضطَراً الى العِلَلِ

٤ . وسائلٍ ليَ عن نُعماكَ قلتُ له
تفصيلُها مستحيلٌ فارضَ بالجُمَلِ

٥ . هذي صُبابة ما أبقتْ يداي وقد
عَرفتَ حرفهما ، فانظرْ ولا تَسَلِ

التخريج : الابيات في (اليتيمة) : ٤ /١٨ .
الاول في (المنتحل) : ٥٠ .
الثاني في (ثمار القلوب) : ٣٤٠ ، والتوفيق للتلفيق : ١٠٠
قال الثعالبي : (ولم أسمع في استعارة أحوال المولود والتلفيق بينهما في المدح أحسن من قول الجرجاني القاضي : مسترضع ... البيت) إلتلفيق للتلفيق : ٩٩ .

وقال في (ثمار القلوب) : ٣٤٠ في (ثَدْيَ اللؤمِ) أول من استعار ذلك أوس بن مغراء حيث قال :

يشيب على لؤمِ الفَعالِ كبيرُها
ويُغْدى بثديِ اللؤمِ منها وليدُها

أخذ القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز هذه الاستعارة ، فنقلها الى المدح زاد فيها أحسن زيادة فقال للصاحب : مسترضع ... البيت .

(٧٠)

وقال في المدح :

(من الطويل)

١ . كريمٌ يرى أن الرجاءَ قواعِدٌ
وأن انتظارَ السائلينَ مِنَ المَطْلِ

٢ . وخيرُ الموالي من أذا ما مدحتُه
مدحتُ به نفسي واخبرتُ عن فضلي

التخريج : اليتيمة : ٤ /١٩ .

– قافية الميم –

(٧١)

(وقال يذكر بغداد ويتشوقها :

(من الخفيف)

١ . يا نسيمَ الجَنُوبِ باللهِ بلِّغْ
ما يقولُ المتيَّمُ المُستهامُ

٢ . قلْ لأحبابِه : فداكُمْ فؤادٌ
ليسَ يسلو ومقلةٌ لا تنامُ

٣ . بِنْتُمُ فالسُهادُ عندي مقيمٌ
مذ نأيتُمْ والعيشُ عندي جِمَامُ

٤ . فعلى الكرخِ فالقطيعةِ فالشطُّ فبابُ الشعيرِ مني السّلامُ[1]

٥ . يا ديارَ السرورِ لازالَ يبكي
بكَ في مضحكِ الرياضِ غمامُ

٦ . ربّ عيشٍ صَحِبتُه فيكِ غضٍّ
وجفونُ الخطوبِ عنّا نيامُ

٧ . في ليالٍ كأنّهنَّ أمانٍ
في زمانٍ كأنّه أحْلامُ

٨ . وكانَ الأوقاتُ فيها كؤوسٌ
دائراتٌ وأنسهنَّ مُدامُ

٩ . زمنٌ مسعدٌ وألفٌ وصولٌ
ومنى تستلذها الأوهامُ

١٠ . كلُّ أنسٍ ولذةٍ وسرورٍ
قبلَ لقياكُم عليَّ حَرامُ

(١) الكرخ، القطيعة، باب الشعير (اماكن في بغداد)

التخريج : اليتيمة : ٤/١٢، معجم الادباء : (مرغليوث) : ٥/٢٥٥، و (ط. المأمون) : ١٤/٢٦.

أنوار الربيع : ٤/١٨٦.

(٧٢)

وقال : (من الطويل)

١ . ووفّاك وفدُ الشُّكرِ مِنْ كلِّ وجْهةٍ
ثنـاءٌ يُسـدَى أو مـديحٌ يُنَظَّمُ
٢ . يزف الى الاسماع كـلُّ خريـدةٍ
تكـادُ اذا مـا أنشِـدَتْ تتبسّمُ
٣ . أطافَتْ بها الافكارُ حتى تركتَها
يقـال : أأبيـاتٌ تـراهـا أو أنجُمُ ؟

التخريج : اليتيمة : ٤/٢٠.

– ٧٣ –

وقال :

(من الكامل)

١ . لو لم أشرِّفْ بامتداحِك مَنطقي
مـا أنقادَ نحوكَ خاطـري مزمـوما
٢ . لكنْ رأى شرفَ المصاهرِ فاغتدى
يهـدي إليـكَ لُبـابةَ المكتـومـا
٣ . فخباك من نسْجِ العقول بِغادةٍ
قطعتْ اليكَ مقـاصِـداً وغـزومـا
٤ . لمـا تبيَّنَتِ الكفـاءةَ أقسمَتْ
الّا تغـرِّبَ بعـدَهـا وتقيمـا
٥ . لا تُبغِها مَهراً فقد أمهرتَها
نُعمـاكَ عنـدي حـادثـاً وقديمـا
٦ . الـزمتُ شكرَكَ منطقي وأناملي
واقمتُ فكـري بـالـوفـاءِ زعيمـا

التخريج : اليتيمة : ٤/٢١.

(٧٤)

وقال من قصيدة يمدح فيها ابا مضر محمد بن منصور :

(من الكامل)

١ . هـذا أبـو مضـر كَفَتنـا كفُّـه
شكـوى اللئـامِ فمـا نـذُمُّ لئيمـا
٢ . هذا الجسيمُ مواهباً هذا الشريف مناصباً هذا المهذب خِيما(١)
٣ . سمكتْ كهمّتـه السمـاءُ تمثّلتْ
فيهـا خـلائقُـه الشراف نجـومـا
٤ . نشوانُ قد جعل المحامدَ والعلا
دونَ المُـدامـة سـاقيـاً ونـديمـا
٥ . أعـدى الانام طباعُه فتكرمتْ
لـو جاز أنْ يـدْعى سِواه كـريمـا

(١) الخِيم : (بكسرالخاء) الطبيعة.

التخريج : اليتيمة : ٤ : ١٩.

(٧٥)

وقال من قصيدة في الشكوى وهي طويلة مشهورة :

(من الطويل)

١ . يقولونَ لي فيك انقباضٌ وإنّما
رأوا رجُلاً عن موقفِ الـذُّلِ أحْجما
٢ . أرى الناسَ مَنْ داناهُم هانَ عندَهُمْ
ومَنْ أكرمتْـه عِـزّةُ النفسِ أُكْرِمـا
٢ . ولمْ أقضِ حقَّ العِلمِ إنْ كان كلَّما
بـدا طَمَـعٌ صيّـرتُـه ليَ سُلَّمـا
٤ . ومـازلتُ منحازاً بِعرضيَ جانباً
مِنَ الـذُّلِ اعتـدُّ الصيـانـةَ مَغْنَمـا
٥ . اذا قيلَ هذا منهل قلتُ قد أرى
ولكنّ نَفْسَ الحُـرِّ تَحْتَمِـلُ الظّمـا
٦ . أنـزهها عن بعضِ مـا لا يشينُها
مخافةَ أقـوالِ العِدا فيمَ أو لِمَـا ؟
٧ . فاصبحُ عن عيبِ اللئيمِ مُسلَّماً
وقد رُحْتُ في نفسِ الكريمِ مُعظَّمـا
٨ . وإني اذا ما فاتني الامر لم أبِتْ
اقلّبُ فكـري إثْـرَه متنـدِّمـا
٩ . ولكنَّـه إنْ جـاءَ عفواً قبلته
وإنْ مـالَ لم أتبعْـهُ هـلّا وَرُبّمـا
١٠ . واقبضُ خطوي عن حُظوظٍ كثيرةٍ
إذا لمْ أنلهـا وافرَ العِرضِ مُكرَمـا
١١ . وأكرمُ نفسي أنْ أضاحِكَ عابساً
وأنْ أتلقّى بـالمـديـحِ مُـذمَّمـا
١٢ . وكم طالبٍ رقّي بنُعْماهُ لم يَصِلْ
إليـه وإنْ كـانَ الـرئيسَ المُعَظّمـا
١٣ . وكم نعمةٍ كانَتْ على الحرِّ نقمةً
وكَمْ مَغْنَمٍ يَعتـدُّه الحُـرُّ مَغْرَمـا
١٤ . ولَم ابتذِلْ في خدمةِ العلمِ مُهْجَتي
لاخدُمَ مَنْ لاقيتُ، لكنْ لأُخْـدَمـا
١٥ . أاشقى به غرساً واجنيه ذلةً
إذنْ فاتّباعُ الجهْلِ قَدْ كـانَ أحْزَمَا
١٦ . ولو أنَّ أهلَ العلمِ صانُوهُ صانَهم
ولـو عَظّموه في النفـوسِ لَعُظّمـا
١٧ . ولكنْ أهانُوه فهانوا ودنّسُوا
مُحيـاه بـالاطمـاعِ حتى تَجهّمَـا
١٨ . وما كلّ برْقٍ لاحَ لي يَستفِزُّني
ولا كُلُّ مَنْ في الارضِ أرضاهُ مُنْعِما
١٩ . ولكنْ اذا ما اضطرّني الضرُّ لم أبِتْ
أقلّبُ فكـري مُنجِـداً ثم مُتْهِمـا
٢٠ . إلى أنْ أرى مالا أغصُّ بذكرِه
اذا قلْتُ قـد أسـدى اليّ وأنعَمـا

اختلاف الروايات :
البيت (٦) في بعض المصادر (انهنهها) بدل (انزهها)
البيت (١٧) في بعض المصادر (فهان) بدل (فهانوا)
البيت (١٨) في بعض المصادر (ولا كل من لاقيت)

التخريج : القصيدة (٢٠ بيتاً) في (المضمون به على غير أهله) : ٧ - ١٥ . وقد شرحها شرحاً وافياً ، وفي هامش ص١٥ : « وهي قصيدة تبلغ اربعة واربعين بيتاً وقفت عليها بخط استاذي واخي الشيخ العلامة احمد القاسمي السعدي » .

ووردت في التذكرة السعدية : ١ / ٢٨٥ (ط النجف) ، ص٢٥٦ (ط تونس) الابيات ١ ، ٤ ، ٥ ، ٣ ، ١٤ ، ١٥ : في (اليتيمة) : ٤ : ٢٣ .
١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، في (شذرات الذهب) : ٣ / ٥٧
وبالترتيب نفسه (ماعدا ب ٣) في طبقات الأسنوي : ١ / ٣٤٩ .
١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ١٨ ، ٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، في معجم الادباء (ط مرغليوث) : ٥ / ٢٥٠ .
١ ، ٢ ، ١٨ ، ٨ ، ٣ ، ٥ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ - في (طبقات السبكي) : ٣ / ٤٦٠
١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، مي (البداية والنهاية) : ١١ / ٣٣١ .
١ ، ٥ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، في حماسة الظرفاء : ١ / ١٨٠ وفيها : الثاني (هذا مشرع) ١٥ ، (قد كان) ، (١٧) فهان ، (١٨) من في الأرض .
١ ، ٢ ، ٨ ، ٣ ، ١٨ ، ٥ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، في (ثمرات الأوراق) : ٤٣٠ ، في ذيل ثمرات الأوراق قال الحموي : يحكى انّ القاضي ابا الحسن علي إبن عبد العزيز الجرجاني كان يمر على الناس يسلم عليهم فلامه بعض أصحابه في ذلك فقال .. الابيات) . ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، في المنتظم لابن الجوزي : ١٨ / ٢٢١ .
١ ، ٢ في (وفيات الأعيان) : ٣ / ٢٧٨ قال : « وهي ابيات طويلة ومشهورة فلا حاجة الى ذكرها)
١ ، ٢ ، ٣ ، ١٨ ، ٥ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، في (نفحة الريحانة) : ٤ / ٥٣٤ .
١ ، ٢ ، ٣ ، ١٨ ، ٥ ، ٦ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، في (ادب الدنيا والدين) : ٩٢ ، قال (وانشدني) بعض اهل الادب لعلي بن عبد العزيز للقاضي رحمه الله تعالى)
١ ، ٥ ، في (نهاية الارب : ٣ / ١٠٩ (التمثيل والمحاضرة) : ١٢٣ ، (خاص الخاص) : ١٨٨ ، الاعجاز والايجاز : ١٩٥ .
١ ، ٢ ، في (طبقات للشيرازي) : ١٠١ .
١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، في (محاضرات الادباء) : ١ / ٣٤ ،
وقد ورد للقصيدة شذدان احدهُما في (طبقات السبكي) : ٣ / ٤٦٠ ، ولاخر في (المنتظم) ١٨ / ٢٢١ .

(٧٦)

قال : علي بن عبد العزيز :

(من الكامل)

١ . وأرى المديحَ اذا غداك نقيصةً
فـــاعـــافُـــه ولـــو أنّـــه فـي حـــاتِمِ
٢ . فاذا أمتدحتُ سواك قال الشعرُ لي
لم تـــرعَ حقي إذْ أبحث محـــارمي

التخريج : محاضرات الادباء : ٢ / ٣٨٥ أوردهما في (من يليق به مدحه)

(٧٧)

وقال :

(من السريع)

١ . مَنْ عـــاذري مِنْ زمنٍ ظـــالم
ليـــسَ بـمُـسـتَـحْـيٍ ولا راحِـــم
٢ . تفعـــل بـــالاحـــرارِ أحـــداثُـــه
فِعْـــل الهـــوى بـــالـــدّنِفِ الهـــائِمِ
٣ . كـــأنمـــا أصبـــحَ يـــرميهُم
عن جَفْنِ مـــولاي أبي القـــاسِم

اليتيمة : ٤ / ١٢ معجم الادباء : (مرغليوث) : ٥ / ٢٥٤ ، و (ط . المامون) : ١٤ / ١٤ وفيه (تفعل بالاخوان)

(٧٨)

وقال :

(من المسرح)

١ . بـــالله فُضَّ العقيقَ عن بَـرَدٍ
يـــروي أقـــاصيـــه مِنْ مُـدامِ فمـــه
٢ . وامسخ غوالي الغـــذارِ عَن قَمَرٍ
نقَطَ بـــالـــوردِ خَـــدُ مُلتثِمِـــه
٣ . قـــل للسُقامِ الـــذي بناظِـــره
دَعْـــه وأشْرِك حشَـــايَ في سَقَمِـــه
٤ . كـــلّ غَـــرامٍ تخـــافُ فِتْنَتَـــهُ
فبينَ ألحـــاظِـــهِ ومُبتَسَمِـــه

التخريج : اليتيمة : ٤ / ١٠ ، قد فصل الثعالبي بينها بـ (تقال) بعد البيت الثاني .

(٧٩)

وقال في (الفصد)(١) :

(من المنسرح)

١ . يـــاليتَ عيني تحملتْ ألمَـــكْ
بـــلْ ليتَ نفسي تَقَسَّمَتْ سَقَمَـــكْ
٢ . وليتَ كفُ الطبيبِ إذْ فَصَـــدَتْ
عِـرقَـك أجرَتْ من نـــاظـــريَ دَمَـك
٣ . أعـــرتَـــه وجنتيـــك كمَـــا
تعيـــرهُ إنْ لثمتَ مَنْ لثَمَـــكْ
٤ . طـــرفُك أمضى مِنْ خَـدُ مِبضَعِه
فـالحظْ بـه العِـرْقَ وارتَجِـزْ ألمَـك

التخريج : اليتيمة : ٤ / ١٠ ، خاص الخاص : ١٨٦ ، فيه (وليت نفسي) و (اغتنم ألمك) من غاب عنه المطرب : مجلة المورد : ١٧ / غ ٣ / ١٩٨٨ ص٩٢ : ديوان المعاني : ٢ / ١٦٨ .

(١) الفصد : قطع العرق لاخراج شيء من الدم .

- قافية النون -

(٨٠)

قال : علي عبد العزيز الجرجاني

(. من الخفيف)

١ . ربُ ذنب ينمَى على العُذر حتى
يُنِصِـــرَ الاحتجـــاجُ عَنـــه يشينُـــه

٢ . كمقالِ الجريءِ يـزدادُ قبحـا
كلَّمـــا ازداد منهم تحسينُـــهُ

التخريج : محاضرات الادباء : ١ /٢٦٤ في (ذم من اعتذر فاساء)

(٨١)

قال : علي بن عبد العزيز :

(من الخفيف)

١ . جملـة القيـل انّ مثلـك لايمـ
ـسكن في مثـل دهرنـا تكوينُـهُ

التخريج : محاضرات الادباء : ١ /٢٩٧ في (العديم النظير والشبيه) ، يبدو أن الأبيات الثلاثة من قطعة واحدة) .

(٨٢)

وقال :

(من الكامل)

١ . هذا الهلالُ شبيهُـه في حُسْنِهِ
وبهـائِـهِ ؟ كـلّا وفتـرةِ جَفْنِـهِ
٢ . فبِـك ادّعيْتَ بهاءَهُ وضياءَهُ
كيف احتيـالُـكَ من تـأوُّدِ غُصْنِـهِ
٣ . لـو لاحظتْك جفونُه بفتـورها
أقسمتُ أنّـكَ مـارأيت كحُسْنِـهِ

التخريج : اليتيمة : ٤ /١١ .

ـ قافية الالف ـ

(٨٣)

قال القاضي في (الصاحب) :

(من الكامل)

١ . نشـوانُ يلقى المُغْتَفى متهلّـلًا
يهتـزُّ مِن مَـدْحٍ بـهِ عِطْفـاهُ
٢ . واذا أصـاخ الى المديح رأيتَه
وكـــأنّ مـــا بِـكَ طَيءِ غُنّـــاهُ

تتمة اليتيمة / ١ /١١ .

ـ قافية الياء ـ

(٨٤)

وقال :

(من المنسرح)

١ . أفـــدي الـذي قـال وفي كَفِّـهِ
مثـلُ الـــذي أشـربُ مِن فيـهِ
٢ . الـــوردُ قـد اينـع في وَجنتي
قلتُ : فمي بـــاللَّثْم يَجنيـــهِ

التخريج : يتيمة الدهر : ٤ /٩ ، وخاص الخاص : ١٨٦ ، معجم الادباء ، (ط . المامون) : ١٤ /١٤ طبقات السبكي : ٣ /٤٦٢ .

أنصاف الابيات

أورد له الثعالبي والنويري هذين الشطرين :

١ ـ ....
يُمثّلكُ الاحرارُ بالايناسِ

٢ ـ ....
والقلب يُدرِكُ مالا يُدرك البصرُ

التخريج : التمثيل والمحاضرة : ١٢٢ ، نهاية الأرب : ٣ : ١٠٩ .

وأورد الاصبهاني لـ (علي بن عبد العزيز) :

(من الخفيف)

١ ....
التصـــابي بـــلا شبـــابٍ مُحَـــالُ

التخريج : محاضرات الادباء : ٢ /٣٢٠ .

ملاحظة :

أورد له الاصبهاني في محاضرات الادباء : ٤ /٧٢١ أبياتاً تحت عنوان (خرافات على سبيل التهكم) فليراجعه من شاء .

ـ المصادر والمراجع ـ

ـ الاعجاز والايجاز ، الثعالبي ـ أبو منصور عبد الملك بن محمد ـ (٣٥٠ ـ ٤٢٥٩ هـ) تصحيح اسكندر اصاف ، المطبعة العمومية ، مصر ، ١٨٩٧ هـ .
ـ أحسن ماسمعت ، الثعالبي ، المكتبة المحمودية بالازهر .
ـ أدب الدنيا والدين ، الماوردي ((أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ـ ت ٤٥٠ هـ ـ تحقيق مصطفى السقا ، دار الكتب العلمية ، بيرروت ، ط٤ ، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .
ـ اسرار البلاغة ، الجرجاني (عبد القاهر) ـ ت ٤٧١ هـ ـ تحقيق هـ . ريتر ، بالاستانة ، ١٩٥٤ .
ـ أنوار الربيع ، ابن معصوم (السيد صدر الدين المدني ـ ١٠٥٢ ـ ١١٢٠ هـ ـ تحقيق شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، ١٩٦٨ م .
ـ البداية والنهاية ، ابن كثير (ابو الفداء الحافظ الدمشقي ـ ت ٧٧٤ هـ ـ مكتبة المعارف ، بيروت ، مكتبة الرياض .
ـ تاريخ جرجان ، حمزة السهمي (ت ٤٢٧ هـ) تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، حيدر اباد ، الهند ، ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م .
ـ تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان (ت ١٩٥٦ م) ترجمة د . عبد الحليم النجار ، ج٢ ط٢ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ م .
ـ تتمة اليتيمة : الثعالبي ، نشر عباس اقبال ، طهران ، ١٩٥٣ هـ .
ـ التذكرة السعدية في الاشعار العربية محمد بن عبد الرحمن العبيدي .. (من رجال القرن الثامن) تحقيق د . عبد الله الجبوري ، مط النعمان ، النجف الاشرف ، ١٩٧٢ م (تطبع في الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٨١) .
ـ التمثيل والمحاضرة ، الثعالبي ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، دار احياء الكتب العربية القاهرة ، ١٩٦١ م .
ـ التوفيق للتلفيق : الثعالبي ، تحقيق د . زهير زاهد وهلال ناجي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥ م .

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار نهضة مصر، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م.
- ثمرات الاوراق ابن حجة الحموي (تقي الدين أبو بكر علي بن محمد - ٧٧٧ - ٨٣٧ هـ - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧١ م.
- حسن التوسل الى صناعة التوسل، شهاب اندين محمود الحلبي (٧٢٥ هـ) تحقيق اكرم عثمان دار الحرية - بغداد - ١٩٨٠ م.
- حماسة الظرفاء، العبد لكاني، ابو محمد عبد الله بن محمد (ت ٤٣١ هـ)، تحقيق د. محمد جبار المعييد، ج ١، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٣ م ج ٢ دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٨ م.
- خاص الخاص، الثعالبي، نشر، تقديم حسن الامين، دار (مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٦ م.
- دراسة تحقيقية، في كتاب (من غاب عنه المطرب للثعالبي) في ضوء مخطوطة جديدة، د. محمود الجادر، المورد، جـ ١٧، ع ٣، ١٩٨٨ م.
- دمية القصر وعصرة أهل العصر، الباخرزي (ت٤٦٧ هـ)، تحقيق د. سامي مكي العاني، مط المعارف، بغداد، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م.
- ديوان الأمام علي، المكتبة الشرقية، الدار العربية، بغداد، (د. ت).
- ديوان أشعار الامير أبي العباس عبد الله بن المعتز (١٩٥ هـ) تحقيق د. محمد بديع شريف، مصر ١٩٧٧.
- ديوان الصاحب بن عباد (٣٨٥ هـ)، تحقيق الشيخ محمد حسن ال ياسين، ط٢، بيروت، ١٩٧٤ م
- ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق د. محمد عبده عزام، مجـ١، ط٤، دار المعارف مصر، ١٩٧٦ م.
- ديوان المعاني - ابو هلال العسكري - مكتبة القدسي - القاهرة (د. ت)
- روضات الجنسات الخوانساري محمد باقر (١٣١٣ هـ)، مط الحيدرية، ١٣٩٠ هـ.
- زهر الاداب، الحصري، ابو اسحق ابراهيم بن علي القيرواني (ت ٤٥٣ هـ) تحقيق علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٣ م.
- شذرات الذهب، الحنبلي عبد الحي بن العماد (ت ١٠٨٩ هـ)، المكتب التجاري، بيروت مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٠ هـ.
- شرح المضنون به على غير أهله، عبيد الله بن عبد الكافي العبيدي (من رجال القرن الثامن الهجري)، مكتبة دار البيان، بغداد، دار صعب، بيروت.
- الشعر والشعراء وأنواع اقتباساتهم من الفاظ القران ومعانيه، الثعالبي، تحقيق د. مجاهد مصطفى بهجة، مجلة المورد، مجـ١٧، ع ٤، ١٩٨٩ م.
- طبقات الفقهاء الشافعية، العبادي، لابن عاصم محمد بن احمد (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق غوتسا فيتستام، ليدن، ١٩٦٤ م
- طبقات الفقهاء، ابن اسحق ابراهيم بن علي الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ)، تحقيق د. احسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠ م.
- طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (٧٢٧ - ٧٧١ هـ) تحقيق محمد الطناحي و د. عبد الفتاح الحلو، ط١، مط الحلبي القاهرة، ١٩٦٥ م.
- طبقات الشافعية، الاسنوي جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن (ت٧٧٢ هـ) تحقيق د. عبد الله الجبوري، مطبوعات وزارة الاوقاف، بغداد، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
- طبقات المفسرين، السيوطي (٩١١ هـ)، ليدن، ١٨٣٩ م.
- فقه اللغة، الثعالبي، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٢٧ م ج
- القاضي الجرجاني، د. احمد احمد بدوي سلسلة نوابغ الفكر العربي، رقم ٣٣، دار المعارف مصر، ١٩٦٤ م.
- القاضي الجرجاني الاديب الناقد محمود السمرة، المكتبة التجارية، بيروت، ١٩٦٦ م.
- القاضي الجرجاني، النقد الادبي، د. عبدة قلقيلة، الهيأة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧٣ م.
- القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، النقد الادبي، رسالة ماجستير، نجاة شاهين، ذكرها عبد الحق احمد محمد في (الذوق عند القاضي الجرجاني)، مجلة الكتاب، تموز ١٩٧٥ (ص ١٨٢ - ١٨٩).
- الكناية والتعريض، الثعالبي، مطبوع مع (المنتخب من كنايات الادباء واشارات البلغاء) للجرجاني (ت٤٨٢ هـ)، ط١، مط السعادة، مصر ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م.
- الكنى والالقاب، عباس القمي، مط الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٨٩ هـ (٢/ ١٤٣)
- لطائف المعارف، الثعالبي، تحقيق ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠ م.
- محاضرات الادباء، الراغب الاصبهاني، ابو القاسم حسين بن محمد (ت ٥٠٢ هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١ م.
- مراة الجنان وعبرة اليقظان، اليافعي (ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي ابن سليمان اليمني المكي (ت ٧٦٨ هـ)، مؤسسة الاعلمي، بيروت، (٢/ ٣٨٦).
- معجم الادباء ياقوت الحموي (٦٢٦ هـ) تحقيق مرغليوث، القاهرة، ١٩١٦، مط. دار المامون القاهرة، ١٩٣٨ م.
- معجم المؤلفين عمر رضا كحالة، مط الترقي، دمشق، ١٧٣٨ هـ (١٩٥٩م (٧/ ١٣٢).
- المنتحل، الثعالبي، المطبعة التجارية، الاسكندرية، ١٩٠١، ومعه كتاب (المنتحل) لاحمد ابو علي.
- المنتظم في تاريخ الملوك، الامم، ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي، (ت ٥٩٧ هـ) حيدر اباد، الهند، ١٩٤٠ م.
- النثر الفني، د. زكي مبارك، المكتبة التجارية، مط السعادة، مصر، - النجم الزاهرة في ملوك مصر، القاهرة، ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ) دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٨ هـ.
- نفحة الريحانة وشحة طلاء الحانة، المحبي (١٠٦١ - ١١١١ هـ)، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مط عيسى البابي الحلبي.
- نهاية الارب في فنون العرب، النويري، شهاب الدين، احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣ هـ) القاهرة، مط دار الكتب المصرية، ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م.
- هدية العارفين، البغدادي، اسماعيل، (١٣٩٣ هـ)، ط٣، ١ أستانبول، ١٣٨٧ هـ - ١٩٥١ م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، الجرجاني، علي بن عبد العزيز القاضي (٣٩٢ هـ)، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، علي محمد البجاوي، مط عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٦ م.
- وفيات الاعيان، ابن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١ هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مط السعادة، مصر، ١٩٤٨ م.
وتحقيق د. احسان عباس، دار الثقافة، دار الثقافة، بيروت.
- يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر، الثعالبي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مصر، ١٩٥٦ م اربعة اجزاء)
والجزء الرابع، مط الصاوي، القاهرة ١٩٤٣م.

فوائت كتاب سيبويه
من أبنية كلام العرب

لأبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي
المتوفى سنة ٣٦٨هـ

دراسة وتحقيق
د.محمد عبدالمطلب البكاء

فوائت كتاب سيبويه من ابنية كلام العرب

لأبي سعيد السيرافي - ت ٣٦٨ هـ

تحقيق ودراسة
د . محمد البكاء



عرض وتحليل د . مي فاضل الجبوري

صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة وفي سلسلة خزانة التراث كتاب فوائت كتاب سيبويه من ابنية كلام العرب وهو باب في شرح السيرافي ابي سعيد الحسن بن عبد الله لكتاب سيبويه افرده تحت عنوان : « هذا باب ذُكر فيه مافات سيبويه من ابنية كلام العرب » .

ذكر محققه الدكتور محمد عبد المطلب البكاء فيه انه ليس استدراكاً للسيرافي على سيبويه وانما هو دفاع عنه ورد على ابي بكر بن السراج الذي ذكر في كتابه « الاصول » ابنية اعتقد أنها فاتت سيبويه .

احتوى الكتاب الصادر في مقتبل هذا العام ٢٠٠٠ مقدمة وقسمين الاول للدراسة والثاني للنص المحقق . ضمت الدراسة مبحثاً عن السيرافي حياته ونشاته ومبحثاً ثانياً تناول النص ، مادته ، ومنهج السيرافي في كتابته وضعه ، ومقابلة بين السيرافي وابن جني في فوائت الكتاب من الابنية . فقد افرد ابن جني في كتابه « الخصائص » باباً سماه « باب القول على فوائت الكتاب » .

يقول البكاء : « ومن خلال تصفح هذين البابين في شرح السيرافي وخصائص ابن جني اتضح لي الشبه الكبير ان لم اقل المطابقة بين ما ذكره السيرافي وابن جني في دفاعهما عن سيبويه ورد من استدرك عليه . وهذا ما يؤيد عندي ان ابن جني كان قد اطلع على شرح أبي سعيد ونقل عنه وان لم يشر الى ذلك . على الرغم من ان ابن جني قد ذكر امثلة اخرى لم ترد في شرح السيرافي » .

في المبحث الثالث من « الدراسة تناول الباحث منهج السيرافي في الباب الذي حققه ناقداً ومقوماً » ، قال : عالج ابو سعيد الابنية المستدركة على سيبويه على وفق منهج اتسم بالدقة والحرص على تبرئة سيبويه مما ألحق به من فوت لبعض ابنية كلام العرب من خلال النظرة المتفحصة لنسخ الكتاب التي كانت بين يديه ولم يكتف بنسخة واحدة لان نص الكتاب كما رأى ليس خالياً في بعض مواضعه من الحذف والزيادة والنقصان . ولم يكتف بذلك بل احتكم بعد المقابلة الى درايته باللغة ومعاني مفرداتها في ضبط أبنية الكتاب . ثم أخرج أبنية الكلمات الاعجمية لانها ليست مما يستدرك على سيبويه .

عمل الدكتور محمد البكاء على تقسيم الفوائت على خمس مجموعات اعتماداً على السيرافي : -

١ - مجموعة ليست من كلام العرب مثل خُزرانِق فهو فارسي معرّب
٢ - مجموعة ذكر سيبويه نظائرها مثل تِلِقّامة
٣ - مجموعة ذكرها في الابنية مثل فِرناس
٤ - مجموعة اختلف في فهمها مع غيره مثل تُرامِز
٥ - مجموعة الفوائت

واسقط المجموعات الاربع الأول من الفوائت . اما المجموعة الاخيرة وهي التي اعتمد السيرافي في دفعه لابنيتها على استخلاص بعض الحقائق اللغوية وتوظيفها في الرد ومنها

١ ـ تغير بناء الكلمة لضرورة الشعر . وبه رأى ان مَكرُم هي مَكْرُمة وحذفت الهاء لضرورة الشعر الذي جاءت فيه .

٢ ـ جواز التسمية بالافعال كتُماضر اسم امرأة

٣ ـ جواز التسمية بالجمع كعِفِزين واصله (عِفِز) ثم لحقته علامة الجمع

قال الباحث « نجد ان السيرافي قد بذل جهداً فيه الكثير من الاجتهاد في تبرئة سيبويه مما الحق به من فوات وهذا ما دفعه الى الجزم باستيفاء سيبويه لكل ابنية كلام العرب ولم يسلم الا بفوات خمسة ابنية هي :ـ

١ ـ كُذُبْذُبان وكُذُبْذُب مخففاً ومشدداً وذلك كله الكذّاب

٢ ـ صَغفوق فَعْلول وهو نادر

٣ ـ خَزْعال ذكره الفزاء يقال ناقة بها خزعال ، اذا كان بها ظلع

٤ ـ زَيْزَفُون فَيْفَعول

٥ ـ قزعبلانه فعللانة

فاذا اضفنا الى هذه الابنية ثلاثة ذكرها السيرافي عن الزجاج هي : هُندَلِع ودُرْداً قِس ومثله خُزرانِق شَمَنْصير ، يكون مجموع الابنية الفائتة ثمانية »

ويرى البكاء اسقاط الابنية التي نقلت عن الزجاج من الفوات لان الكلمة الاولى اختلف في فهمها والثانية في البناء الاعجمي وكذلك الاخيرة .

ووافق الباحث ابن جني وابن عصفور في اسقاط قَزَعْبَلانه لانها لم تسمع الا من كتاب العين وقد قال فيها الاخير : « فلا ينبغي ان يلتفت اليها » وذكر ان السيرافي قال في شرحه "وكثير مما في كتاب العين ينكر وليس المؤلف له الخليل"

رأى البكاء انه على الرغم من الدقة والاحاطة التي اتسم بها منهج السيرافي في رد الابنية الفائتة يمكن عد بعض ما قاله تعصباً لسيبويه ورغبة في الدفاع عنه وابقاء حصره لابنية كلام العرب شاملاً . وان ابن جني كان اسلم طريقة في الدفاع عنه فضلاً عن انه لم يمنع ان يستدرك عليه . وقد نبه على ان الاقدمين قد غفلوا في دراساتهم عن التطور الذي يلحق الكلمات احياناً بفعل تطور الحياة وتجددها ومن هؤلاء السيرافي وابن جني .

في القسم الثاني من الكتاب وجدنا النص المحقق تحت اسم الباب المذكور في كتاب السيرافي مصدراً بالاتي « قال ابو سعيد رحمه الله : اعلم ان سيبويه سبق الى حصر ابنية كلام العرب ولم يحاول ذلك أحدٌ قبله ولا في عصره واظن ذلك لصعوبته وبُعد تناوله ، ولأن الحاصر يحتاج الى الاحاطة بكلامها والتخيل له كله » ثم اخذ السيرافي بسرد الابنية التي نقلت عن العرب مشفوعة بالشواهد الشعرية الموثقة وبايضاح المعاني الخاصة بكل بناء وبنقول عن الكتب والاعلام وباراء السيرافي معللاً وراداً وشارحاً وناسباً . ومتأمل النص سينتبه بالتاكيد الى مقدار الحواشي التي اضافها المحقق لتعزيزه بالايضاح المطلوب في كل تحقيق فهي في كثير من المواضع اوسع من المساحة التي استغرقها النص نفسه . وقد اطلعت على المخطوطة الاصل الذي اعتمده فوجدتها خلواً من الضبط ديدنها ديدن كثير من الكتب الواسعة قلما اهتم النساخ بضبطها . وهذا ما اهتم بتوثيقه من بطون الكتب مخرج نص السيرافي موفقاً . وقد رافقت الكتاب مطبوعاً كلمات للدكتورة خديجة الحديثية الاستاذة المختصة بابنية سيبويه اثنت فيها على دقة التتبع وسلامة الضبط والاخلاص في المقابلة .

اخيراً الحق الباحث بكتابه سرداً للامثلة التي ذكرها ابن السراج في اصوله في فائت سيبويه من الابنية والامثلة التي زادها السيرافي عليه والامثلة التي زادها ابن جني على ما ذكراه . مشيراً الى مجموعة من الاوهام في ضبط الكلمات في كتاب الاصول .

الكتاب قطعة حية من نص ينتظر ايدي الباحثين منذ زمن وعسى ان يكتب له تحقيق متميز سريع مجموع اشتاته وبانتظار ذلك نستجيد هذا الالتفاتة الى نشر واضاءة شيء منه فهي تنبه على اهمية الاخذ به كله .

اخبار التراث العربي

اعداد
حسن عريبي الخالدي

١ ـ الكتب والرسائل الجامعية

● اتحاف الأخلاء باجازات المشايخ الأجلاء ـ لابي سالم العياشي عبدالله محمد (ت ١٠٩٠ هـ) تقديم وتحقيق : محمد الزاهي . ط ـ ١ . بيروت دار الغرب الاسلامي . ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م .

● اثر الدلالة اللغوية والنحوية في استنباط الاحكام الفقهية من السنة النبوية يوسف خلف محل العيساوي . رسالة دكتوراه . كلية الاداب . جامعة بغداد ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م . ٥٠١ ص باشراف د . خديجة الحديثي .

● احكام القرأن للامام الجصاص ت . ٣٧ هـ دراسة لغوية نحوية ـ عبدالحميد حمد شحاذ الطريولي رسالة ماجستير . كلية الاداب جامعة بغداد ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م . ١٤٠ ص .

● ادب الشهود ـ لابن سراقة الفقيه الفرضي ابي الحسن محمد ابن يحيى بن سراقة بن الغطريف العامري البصري الشافعي . ٠٠٠ ـ بعد ١٤٠ هـ / ٠٠٠ ـ بعد ١٠١٩ م) دراسة وتحقيق د . محيي هلال السرحان . ط ـ ١ . بغداد . منشورات بيت الحكمة . طبع المطبعة العربية . ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩) . ٢٨٨ ص .

ارشاد الطالبين الى شيوخ ابن ظهيرة جمال الدين ـ لصلاح الدين خليل بن محمد بن عبدالرحمن المصري الاقفهسي (٧٦٣ ـ ٨٢١ هـ / ١٣٦٢ ـ ١٤١٨ م) تح : محمد الزاهي ط ـ ١ . بيروت . دار الغرب الاسلامي . ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م .

● اعلام مالقه المسمى الاكمال والاتمام ـ « التكميل والاتمام لكتاب التعريف والاعلام » ـ لابن عسكر ابي عبدالله محمد بن علي بن الخضر بن هارون الغساني المالقي (ت ٦٣٦ هـ) وابن خميس ابي بكر محمد بن عمر بن محمد الحجري الرعيني الاديب الشاعر (٦٢٥ ـ ٧٠٨ هـ / ١٢٢٨ ـ ١٣٠٩ م) . تقديم وتخريج وتعليق د . عبدالله المرابط الترغي . ط ـ ١ . بيروت الرباط . دار الغرب الاسلامي ـ دار الامان . ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م .

● الامام علي في رؤيه النهج ورواية التاريخ ـ د . ابراهيم بيضون . ط ـ ١ . بيروت مكتبة بيسان . ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩ .

● الامراء الامويون الشعراء في الاندلس ـ د . ابراهيم بيضون . ط ـ ١ . بيروت دار النهضة العربية . ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م .

● البحث اللغوي والنحوي عند ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ / ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨ م) ـ هادي احمد فرحان الشجيري رسالة دكتوراه باشراف د . خولة تقي الدين الهلالي . كلية الاداب . جامعة بغداد . ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م . ٤٢٠ ص .

● البناء الفني عند عبدالمحسن الصوري . (ت ٤١٩ هـ) ـ صفاء علي حسين رسالة ماجستير . كلية التربية . جامعة الانبار . ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م باشراف د . فازع حسن رجب المعاضيدي . ١٦٠ ص .

● البناء الفني للمشوبات ـ عثمان عبدالحليم جلعوط الراوي رسالة ماجستير . كلية التربية جامعة الانبار باشراف الاستاذ د . مصعب حسون الراوي . ١٧٩ ص) .

● تاريخ عمان في العصور الاسلامية الاولى ـ د . عبدالرحمن عبدالكريم النجم . بيروت . دار الحكمة ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م .

● تاريخ مدينة المرية الاسلامية ـ د . السيد عبدالعزيز سالم . بيروت . دار النهضة العربية ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ .

● تحفة الاشراف بمعرفة الاطراف ـ للمزي جمال الدين ابي الحجاج يوسف بن عبدالرحمن (٦٥٤ ـ ٧٤٢ هـ / ١٢٥٦ ـ ١٣٤١ م) حققه وضبطه وعلق عليه د . بشار عواد معروف بيروت . دار الغرب الاسلامي . ١٤١٩ ـ ١٩٩٩ م .

● التربية والتعليم في عهد المرابطين ـ ناهضة مطر حسن رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة بغداد ـ ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩ م باشراف د . صباح ابراهيم الشيخلي ٢٨٦ ص .

● التصغير دراسة صرفية صوتية ـ اسراء عريبي فدعم الدوري

رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها ـ كلية التربية « ابن رشد » جامعة بغداد، ١٤٢١ ـ ٢٠٠٠ م . باشراف الاستاذ د . هاشم طه شلاش النعيمي، ٢٠٩ ص .

● تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي ـ عمار عبودي محمد حسين نصار رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة الكوفة ١٤١٩ ـ ١٩٩٩، ٢٥٩ ص .

● التطورات التاريخية لمدرسة غرناطة الاصولية ـ قيس عواد كديم رسالة ماجستير معهد التاريخ العربي والتراث العلمي (بغداد) ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م باشراف د . كريم عجيل حسين، ١٨٥ ص .

● جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة . احمد زكي صفوت تصنيف وتبويب د . عبدالجبار ناجي ود . عبدالرحمن الحبيب و د . عبدالمنعم الحسيني وعوني الفخري وغانم محمد صالح مراجعة وتقديم د . محمد جاسم الحديثي، ط ـ ١، بغداد، منشورات بيت الحكمة، طبع المطبعة العربية ١٤٢١ ـ ٢٠٠٠ م، ٢١٧ ص سلسلة تصنيف وتبويب المراجع الفكرية (٣) .

● جهود العلماء العرب المسلمين في علم الجغرافية تقويم كتاب حدود العالم لمؤلف مجهول ـ المستشرق الروسي ف : ف بارتولد ترجمة وتعليق د . عبدالجبار ناجي ط ـ ١ بغداد، منشورات بيت الحكمة، ط المطبعة العربية، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م، ٨٣ ص .

● الحجاز والدولة الاسلامية ـ د . ابراهيم بيضون، ط ـ ١، بيروت، دار النهضة العربية ١٤١٩ ـ ١٩٩٩ .

● كتاب الحدود في الاصول او الحدود والمواصفات ـ لابن فورك ابي بكر محمد بن الحسن بن نورك المتكلم (٠٠٠ ـ ٤٠٦ هـ / ٠٠٠ ـ ١٠١٥ م) قرأه وقدم له وعلق عليه : محمد السليماني ط ـ ١، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ .

● حديثة والنواعير في الشعر العربي مع تراجم لشعراء حديثة المعاصرين ـ د . بهجت عبدالغفور الحديثي، ط ٢ مزيدة ومنقحة، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة والاعلام، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م، ٢٦٤ ص .

● الحرب والسياسة وأثرهما في الشعر الاندلسي (عصر سيادة قرطبة) ـ زينب علي كاظم المحنة رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الانبار، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م باشراف د . انقاذ عطا الله العاني، ١٣٠ ص .

● الحركة الفكرية العربية الاسلامية في الجزائر الشرقية ـ مالك برجس الراوي، رسالة ماجستير، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م باشراف د . كريم عجيل حسين .

● الخطأ الشائع ـ شاكر غني العادلي، ط ـ ١، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة والاعلام، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م، ١٦٢ ص، سلسلة (الموسوعة الصغيرة ـ ٤٣٦) .

● الخلاف الصرفي في الفاظ القرآن الكريم ـ كاطع جار الله سطام الدراجي، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها باشراف الاستاذ د . هاشم طه شلاش النعيمي كلية التربية (ابن رشد) ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م، ٣٤٩ ص .

● دراسات ادبية عباسية ـ د . يونس احمد السامرائي، ط ـ ١، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة والاعلام ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م ٢٧٦ ص .

● دراسات في تاريخ الاباضية ـ تاليف : عمرو النيامي ترجمة : ميخائيل خوري، مراجعة : ماهر جرار، ط ـ ١، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٤١٩ ـ ١٩٩٩ م .

● دراسات في التراث العربي . د . عبدالمجيد زراقط، ط ـ ١، بيروت، مركز الغدير للدراسات والنشر، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م .

● دراسات في الشعر واعلامه في العصر العباسي ـ د . عبدالمجيد زراقط، ط ـ ١، بيروت مركز الغدير للدراسات والنشر، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م .

● درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة ـ للمقريزي (ابن المقريزي) تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبدالقادر الحسيني المصري (٧٦٩ ـ ٨٤٥ هـ) ١٣٦٧ ـ ١٤٤١ م) تح د . محمود الجليلي، ط ـ ١، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٤١٩ ـ ١٩٩٩ م .

● ديوان ابراهيم بن سهل الاشبيلي ـ تحقيق وترتيب د . محمد فرج دغيم، ط ـ ١، بيروت دار الغرب الاسلامي، ١٤١٩ ـ ١٩٩٩ م .

● ديوان ابن بسام البغدادي ابي الحسن علي بن محمد بن نصر ابن بسام الجرتائي، الكاتب الشاعر (ت ٣٠٢ هـ أو ٣٠٣ هـ) صنعة وتحقيق د . مظهر عبدموزان السوداني، ط ـ ١، بيروت، موسسة المواهب للطباعة والنشر، ١٤٢١ ـ ٢٠٠٠ م .

● ديوان ابي طالب (عبدمناف) بن عبدالمطلب (٣ ق هـ) تح الشيخ الفاضل محمد حسن آل ياسين ط ـ ١، بيروت، دار ومكتبة

الهلال، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠.

● ديوان ابي الطفيل عامر بن واثلة الكناني (القرن الأول الهجري) - صنعة وتحقيق : الطيب العشاش، ط ٢، بيروت، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر.

● ديوان ابي علي البصير الفضل بن جعفر الكاتب (ت بعد ٢٥٨ هـ) صنعة وتحقيق : د. يونس احمد السامرائي، ط ٢، بيروت، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر.

● ديوان الاعور الشني بشر بن منقذ (القرن الأول الهجري) - صنعة وتحقيق ط ٢. بيروت، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر.

● ديوان ايمن بن خريم (القرن الأول الهجري) - صنعة وتحقيق : الطيب العشاش ط ٢، بيروت، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر.

● ديوان فاطمة الزهراء (ع) صنعة وتحقيق الاستاذ، كامل سلمان الجبوري، ط ١، بيروت مؤسسة المواهب للطباعة والنشر.

● ديوان الفضل بن العباس اللهبي (القرن الأول الهجري) صنعة وتحقيق الشيخ : مهدي عبدالحسين النجم، ط ٢، بيروت، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر.

● ديوان: مجير الدين بن تميم المتوفى سنة ٦٨٤ هـ تح : الاستاذ هلال ناجي ود. ناظم رشيد شيخو وضع فهارسه : حسن عريبي الخالدي ط - ١، بيروت، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ١٥١ ص.

● ديوان محمد جواد عواد البغدادي - تح الاستاذ : كامل سلمان الجبوري، ط - ١، بيروت مؤسسة المواهب للطباعة والنشر.

● ديوان السيد مهدي الطالقاني - جمع وتحقيق السيد محمد حسن الطالقاني، ط - ١، بيروت، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر.

● ديوان النجاشي الحارثي قيس بن عمرو - صنعة وتحقيق : صالح البكاري والطيب العشاش وسعيد اعراب، ط ٢، بيروت، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر.

● رسائل المبارك بن احمد بن المبارك بن موهوب الملقب شرف الدين ابن المستوفي اللخمي الاربلي الكاتب (٥٦٤ - ٦٣٧ هـ/١١٦٩ م - ١٢٣٩ م) حققه على مخطوطة نادرة كتبت سنة ٧٠٧ هـ الاستاذ هلال ناجي صنع فهارسه حسن عريبي الخالدي، (ط - ١)، بيروت عالم الكتب، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ٩٦ ص.

● سر الاسرار في معرفة الجواهر والاحجار - تأليف : عمر بن احمد بن علي بن محمود بن الشماع الحلبي (٨٨٠ - ٩٣٦ هـ/ ١٤٧٥ - ١٥٢٩) تح : بروين بدري توفيق ط - ١، بغداد، منشورات بيت الحكمة، ط مطبعة اليرموك، ١٤٢١ - ٢٠٠٠، ١٣٧ ص سلسلة كتب التاريخ (!).

● الشذوذ الصرفي الى نهاية القرن الرابع الهجري - كامل راهي مرزوك رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد باشراف الاستاذ : د. هاشم طه شلاش النعيمي، ١٤٢٠ - ١٩٩٩، ١٤١ ص.

● شرح ابيات سيبويه (تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب) - للاعلم الشنتمري ابي الحجاج يوسف بن سليمان بن يوسف (٤١٠ - ٤٧٦ هـ/ ١٠١٩ - ١٠٨٤) تح : د. عدنان آل طعمة ط ١٠، بيروت، دار البلاغ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

● « شرح باب وقف حمزة وهشام على الهمز من الشاطبية » - لابن ام قاسم المرادي بدر الدين الحسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي المراكشي (٠٠٠ - ٧٤٩ هـ/ ٠٠٠ - ١٣٤٨ م) دراسة وتحقيق : محمد خضير مصخي الزويعي رسالة ماجستير، باشراف الاستاذ د. طه محسن كلية التربية للبنات، جامعة الانبار، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ١٧٢ ص.

● شرح قواعد الاعراب - لابن هشام الانصاري (ت ٧٦١ هـ) المسمى (توضيح قواعد الاعراب) للشيخ الخرتبرتي (ت ٩١٠ هـ) دراسة وتحقيق عبدالكريم مخلف صالح الفهداوي، رسالة ماجستير باشراف د. محمد جاسم معروف الهيتي - كلية التربية، جامعة الانبار، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ٢٨٦ ص اعتمد الباحث على نسخة مخطوطة مكتبة الاوقاف العامه في بغداد ولم يستطع الحصول على النسختين الاخريتين من اصل المخطوطة المحفوظة نسختاها في استانبول والمانيا.

● شرح لامية الافعال - نظم المتن جمال الدين محمد بن عبدالله ابن مالك الجياني الطائي المتوفى سنة ٦٧٢ هـ - شرحه ابنه العالم بدر الدين محمد بن محمد بن عبدالله المتوفى سنة ٦٨٦ هـ حققه على مخطوطة نادرة كتبت سنة ٧٠٧ هـ الاستاذ : هلال ناجي صنع الفهارس حسن عريبي الخالدي، (ط - ١) بيروت، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ٦٥ ص.

● صلاح الدين الايوبي دراسات في التاريخ الاسلامي للسير هاملتون آر. جب ترجمة : د. يوسف ايبش، ط - ٢١، بيروت، مكتبة بيسان.

● الظواهر اللغوية والنحوية فيما انفرد به كلٌ من القراء السبعة - محمود عواد جمعة الكبيسي رسالة ماجستير باشراف

د. محمد ضاري حمادي، كلية الآداب جامعة بغداد ١٤٢٠ - ١٩٩٩، ٢٤٦ ص.

● علة: أمن اللبس في اللغة العربية - مجيد خير الله راهي الزاملي - رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها باشراف الاستاذ د. هاشم طه شلاش النعيمي، كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ١٣٣ ص.

● علل اختيار القراءات عند القرطبي (ت ٦٧١ هـ) في تفسيره، دراسة نحوية لغوية عبدالله حميد حسين الدليمي رسالة ماجستير باشراف د. عبدالكريم شديد النعيمي كلية العلوم الاسلامية، جامعة بغداد، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ١٦٢ ص.

● غاية المقصود في المقصور والممدود - لابي بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي ت ٣٢١ هـ والشرح لابي بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري (٢٧١ - ٣٢٨ هـ / ٨٨٤ - ٩٤٠ م) تح الاستاذ هلال ناجي صنع فهارسه الفنية حسن عريبي الخالدي، (ط ١)، بيروت عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ٥٦ ص.

● قبس من عطاء المخطوط العربي - محمد المنوني مجموعة دراسات تتصل بجملة من المخطوطات العربية عامة، ط - ١، بيروت، دار الغرب الاسلامي ١ - ٣ مج.

● قراءة يحيى بن المبارك اليزيدي (ت ٢٠٢ هـ) دراسة نحوية صرفية - خليل محمد سعيد الهيتي رسالة ماجستير باشراف د. محمد جاسم معروف الهيتي، كلية التربية جامعة الانبار ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ٢٤٩ ص.

● القضاء بالمرتق في المباني ونفي الضرر - لعيسى بن موسى ابن احمد بن الامام التطيلي (ت ٣٨٦ هـ) تح: محمد النميناج، ط - ١، الرباط، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) ط مطبعة المعارف الجديدة، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ٢٥٣ ص.

● كشاف مجلة المجمع العلمي العراقي ١٣٦٩ - ١٤٢٠ هـ / ١٩٥٠ - ٢٠٠٠ م. د. عبدالله الجبوري، ط - ١، بغداد، منشورات المجمع العلمي العراقي، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ٥١٨ ص، ويشتمل على فهرسة ١ - ٤٦ مجلد ١ من مجلة المجمع العلمي العراقي الغراء وتتألف في جملتها من (٨٧) جزءاً.

● لامية في النحو - للاثاري زين الدين شعبان بن محمد بن داود الموصلي (٧٦٥ - ٨٢٨ هـ / ١٣٦٤ - ١٤٢٥ م) حققتها على مخطوطة فريدة الاستاذ: هلال ناجي صنع الفهارس الفنية حسن عريبي الخالدي، (ط - ١)، بيروت، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ م، ٧٤ ص.

● ما قريء بثلاثة اوجه - دراسة نحوية دلالية - سلام بحيّت حماد العبيدي رسالة ماجستير باشراف: د. محمد امين الكبيسي، كلية التربية للبنات، جامعة الانبار ١٧١ ص.

● ما لم ينشر من أوراق الصولي السنوات ٢٩٥ - ٣١٥ هـ - تصنيف ابي بكر محمد بن يحيى بن عبدالله الصولي المتوفى سنة ٣٣٥ هـ تح الاستاذ هلال ناجي صنع الفهارس الفنية حسن عريبي الخالدي، ط - ١، بيروت عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩ - ١٩٩٨، ٢٤٠ ص.

● المباحث اللغوية في تفسير النيسابوري (ت ٧٦٤ هـ) - ايسر محمد فاضل الدبو رسالة ماجستير باشراف د. انقاذ عطا الله العاني، كلية التربية، جامعة الانبار ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ١٣٠ ص.

● المباحث النحوية في حاشية شيخ زادة (ت ٩٥٠ هـ) على تفسير البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ). حقي اسماعيل شامراد قاسم رسالة ماجستير باشراف د. محمد جاسم معروف الهيتي، كلية التربية، جامعة الانبار، - ١٩٩٩، ١٨٦ ص.

● محمد بن عمر الحضرمي الشهير بـ (بحرق) دراسة نحوية صرفية - جمال رمضان حيمد حديجان رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها باشراف الاستاذ د. هاشم طه شلاش النعيمي كلية التربية (ابن الهيثم) جامعة بغداد، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ٢٥١ ص.

● المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية الجزائر - تونس - الاستاذ: هلال ناجي ط - ١، بيروت، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ م، ٢٤٧ ص.

● المستدرك على صُنّاع الدواوين - المرحوم د نوري حمودي القيسي (١٩٣٢ - ١٩٩٤) والاستاذ هلال ناجي صنع فهارسه الفنية المفصلة حسن عريبي الخالدي (ط - ١)، بيروت، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩ - ١٩٩٨، ١ - ٢ ج ٤٣٩ ص + ٤٣١ ص، ج ٢ ص ٣١٥ - ٤٣١، الفهارس الفنية.

وقد صدر الجزء الأول منه فقط سنة ١٤١٣ - ١٩٩٣ عن المجمع العلمي العراقي الموقر ووقع في ٤١٠ ص.

● مطالب السؤول من مناقب آل الرسول (ﷺ) - لابي سالم النصيبي الشافعي اشرف على طبعه. عبدالعزيز الطباطبائي. بيروت، دار البلاغ - ١٩٩٩.

● المعرب في القرآن الكريم دراسة تأصيلية لغوية تحليلية في ضوء الساميات. رجب عثمان محمد. القاهرة. دار النهضة العربية، ٢٠٠٠ - ١٩٩٩، ٢٣٢ ص.

● المغني في النحو - للامام الشيخ تقي الدين ابي الخير منصور

ابن فلاح اليمني النحوي (....-٦٨٠ هـ/ ٠٠٠ - ١٢٨١ م) تقديم وتحقيق وتعليق د. عبدالرزاق عبدالرحمن السعدي، ط - ١، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة والاعلام، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠) ج - ٣، ٣٨٨ ص (سلسلة خزانة التراث).

● من اعلام العراق في القرن العشرين العلامة محمد بهجة الاثري ونوري حمودي القيسي والمفهرس كوركيس عواد - هلال ناجي، ط - ١، بيروت، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠ - ١٩٩٩، ١٢٨ ص.

● من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي: تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين - ناصر الدين سعيدوني، بيروت، دار الغرب الاسلامي ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

● المؤرخون الاباضيون في شمال افريقية - تاديوس ليفينسكي ترجمة: ريما جرار وماهر جرار، ط - ١، بيروت، دار الغرب الاسلامي ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

■ نشر الشعر وتحقيقه في العراق حتى نهاية، القرن السابع الهجري - صنعة المرحوم د. علي جواد الطاهر (١٩١٩ - ١٩٩٦) وعباس هاني الجراخ، ط - ١، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة والاعلام ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ١٩٠ ص.

■ نصان نادران في ظاءات (القرآن الكريم) ١ - بيتان في ظاءات القرآن مشروحان لابن مالك ت ٦٧٢ هـ ٢ - قصيدة ابي منصور عيسى بن مراحب في الظاء المعجمة تح الاستاذ: هلال ناجي صنع الفهارس الفنية: حسن عريبي الخالدي، ط - ١، بيروت، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ٦٤ ص.

■ نكت الهميان في نكت العميان - للصفدي صلاح الدين ابي الصفاء خليل بن ايبك بن عبدالله الشافعي (٦٩١ - ٧٦٤ هـ/١٢٩٧ - ١٢٦٣ م) حققه وعلق عليه وهذبه: طارق الطنطاوي، القاهرة، دار: الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير ١٤١٨ - ١٩٩٩، ٢٧١ ص.

■ النهاية في غريب الحديث - لابن الاثير الجزري الموصلي مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد بن محمد (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ/١١٤٩ - ١٢١٠ م) دراسة لغوية د. محمد حسين آل ياسين كلية الاداب، جامعة بغداد ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ٢٦٩ ص.

٢ - المجلات والدوريات والنشرات

الآداب (مجلة كلية الآداب/ جامعة بغداد) ع ٤٧ (١٤١٩ - ١٩٩٩) ٢٣١ - ٢٤٨ آراء ابن خلدون النقدية والمالية - سعاد قاسم هاشم، ٧٩ - ١١٢ الاغتراب في شعر محمود درويش - ابراهيم محمد صبيح ١٨٧ - ٢٠٦ التيسير في احكام التسعير - د. صلاح عبدالغني الشرع، ١٥٣ - ١٨٦ الجوانب الانسانية في سيرة الامراء السامانيين - احسان ذنون عبداللطيف الثامري ٤٥ - ٥٦ السلسبيل لفظ عربي فصيح - الشيخ محمد حسن آل ياسين - ١٩ - ٣٤ طريق الحرير العظيم واهميته الاقتصادية د. قحطان عبدالستار الحديثي ٣٥ - ٤٤ الطيف والخيال عند الشعراء العرب - ايهم عباس القيسي، ٣١٩ - ٣٤٩ القصيدة الفائية للشاعر اوس بن حجر في العصر الجاهلي - عبدالحميد المعيني ١١٣ - ١٥٢ كتاب (الاعتبار) -راسة في الاجتماع في بلاد الشام ابان القرن السادس الهجري - عادل جابر صالح.

■ آفاق الثقافة والتراث (دبي) ع ٢٥ - ٢٦ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) ٨٣ - ٩٠ ابن العربي رائدا للتربية المقارنة - الزبير مهداد، ٦٤ - ٨٢ ابن الهيثم وكتابه: (في حل شكوك كتاب اقليدس في الاصول وشرح معانيه د. عمار الطالبي (القسم الثاني) . ١٠٣ - ١١١ اثر الفتنة في الحركة العلمية في قرطبة (٣٩٩ - ٤٢٢ هـ/ ١٠٠٩ - ١٠٣١ م) د. عبدالوهاب خليل الدباغ، ١١٢ - ١١٧ الاهمية الاستراتيجية للخليج العربي في التراث الجغرافي للعلماء المسلمين د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر، ١١٨ - ١٢٣ اهمية وثائق القضاء وسجلاته في كتابة التاريخ الحديث (الوثائق التونسية انموذجا) د. الشريف بنبلغيث، ١٢٤ - ١٣٣ تطور صناعة السفن في ولاية طرابلس الغرب د. محمد سعيد الطويل، ٣٢ - ٣٩ الخبر المتواتر لدى علماء الاصول - د. محمد باقر خان خاكواني ١٤٣ - ١٥٢ رؤية هندسية لبعض المصطلحات الانشائية والمعمارية في سور القرآن الكريم - سامي ميري كاظم، ١٥٣ - ١٦٧ صناعة العطور في الحضارة الاسلامية - علي جمعان الشكيل، ٦ - ٢٤ الطريق الى حطين (٥٨٣ هـ/١١٨٧).

دراسة في مفهوم تكامل الجهد عبر المقاومة الاسلامية للغزو الصليبي - عماد الدين خليل ٤٠ - ٥٤ في التعريب والمصطلح والمعاجم - د. هلال م. ناتوت ١٩٨ - ٢٠٧ كتاب المنهاج في شرح جمل الزجاجي ليحيى بن حمزة العلوي د. حاتم صالح الضامن ١٣٤ - ١٤٢ مؤلفات العرب القديمة في الزراعة والاحياء - محمد عبدالرحمن السليمان ١٨٤ - ١٩٧ وصل القوادم بالخوافي في ذكر امثلة القوافي لابن رشيد الفهري السبتي (ت ٧٢١ ص) - مصطفى بورشاشن.

■ اخبار التراث العربي (القاهرة) ع ٨١ - ٨٢، مج ٧ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) نشرة دورية تصدر عن معهد المخطوطات

العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كل اربعة شهور وقع هذا العدد المزدوج في ٦٢ ص .

■ اخبار التراث العربي (القاهرة) ع ٨٣ - ٨٤ ، مج ٧ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) وهو عدد خاص بفهارس الاعداد ٦١ - ٨٢ (١٤١٤ - ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٤ - ١٩٩٩) ووقع في ٧٠ ص وشمل فهرس الكتب وفهرس الاعلام .

● جذور دورية تعنى بالتراث وقضاياه تصدر عن النادي الادبي بجدة ج ٣ ، ع ٢ (١٤٢٠ - ٢٠٠٠) ١٠٧ - ١٥٦ من مصادر الحصري القيرواني - محمد خير البقاعي ٢٤٣ - ٣٦٠ المسائل اللغوية في رسالة الغفران - محمد اسماعيل بصل .

● دراسات (الاردن) ع ١ ، مج ٢٦ (١٤١٩ - ١٩٩٩) ٩٤ - ١٠٧ منهاج الذهبي في تلخيص المستدرك للحاكم النيسابوري (منزلة موافقاته او تعقباته في ميزان النقد الحديثي - ياسر الشمالي ١٠٨ - ١٢١ ادب الحوار والخلاف في الشريعة الاسلامية - احمد حمادي ١٢٢ - ١٣٥ مفهوم التقديم والتأخير في القرآن الكريم عند الامام السهيلي . شحادة الحمدي ١٣٦ - ١٥٠ صفة الاجماع الذي هو حجة عند الامام الفقيه الاصولي ابي بكر الرازي الجصاص المتوفى سنة ٣٧١ هـ دراسة اصولية مقارنة - عبدالعزيز حريز .

● دراسات اجتماعية (بغداد) ع ٣ - ٢٤ س (١٤٢٠ - ١٩٩٩ / ٢٠٠٠) ٢١ - ٢٨ .

النقد الاجتماعي في فكر التوحيدي - د . فائز طه عمر ، ١١ - ٢٠ منهاج التغير الاجتماعي في الاسلام - محسن عبدالحميد .

● دراسات اسلامية (بغداد) ع ١ ، س ١ (١٤٢٠ - ٢٠٠٠) ٩١ - ١٠٨ .

الاستشراق والسيرة النبوية مسلمات بشأن تاريخ السيرة ومفارقات في تفسيرات المستشرقين - د . عبدالجبار ناجي ٢٦ - ٣٩ الاسلام والتطور - محمد صالح عطية الحمداني ٤ - ٩ التاصيل التاريخي لتعبير الانصار - لبيد ابراهيم احمد ٨٢ - ٩٠ .

التنظيمات المالية في العراق خلال العصرين الراشدي والاموي - حمدان عبدالمجيد الكبيسي ٥٩ - ٦٩ .

الجهاد في ماضي الامة وحاضرها - عبدالحميد حمد العبيدي ١٧٧ .

الذيل على النهاية في غريب الحديث والاثر للاستاذ عبدالسلام علوش ط - ١ ، بيروت ، دار ابن حزم - عرض : ياسين الحسيني ١١٨ - ١٢٦ .

الربط والخوانق والبيمارستانات ودورها في التربية - واثق محمد نذير الغلامي ٤٠ - ٤٩ .

العدل الاجتماعي في الاسلام - محسن عبدالحميد ١٠ - ٢٥ .

مفهوم الحرية في الاسلام - محيي هلال السرحان ١٠٩ - ١١٦ .

هجرة القبائل العربية الى اقاليم المشرق ودورها في نشر الاسلام واللغة العربية - رشيد عبدالله الجميلي ٧٠ - ٨١ .

عوامل انتشار الاسلام في افريقيا الغربية - صباح ابراهيم الشيخلي .

● دراسات تاريخية (دمشق) ع ٦٥ - ٦٦ ص ٣ - ٣٥ نوري عمر واختيار عثمان . د . غيداء خزنة كاتبي ٣٧ - ٧٧ عمان عاصمة المملكة الاردنية الهاشمية في العصور الاسلامية - د . وائل منير الرشدان ٧٩ - ١٢٥ الجغرافية والفلك عند العرب د . امين طربوش .

■ الذخائر مجلة فصلية محكمة تعنى بالآثار والتراث والمخطوطات والوثائق صاحبها ورئيس تحريرها الاستاذ : كامل سلمان الجبوري ع ١ ، س ١ (١٤٢٠ - ٢٠٠٠) ٦٩ - ١٨٤ .

تذكرة الالباب باصول الانساب - للشيخ ابي جعفر احمد بن عبدالولي البتي البلنسي الاندلسي المتوفي سنة ٤٨٨ هـ رواية : عبدالملك بن زكريا بن حسان المقري تح السيد محمد مهدي الخرسان الموسوي تقديم السيد هارون احمد العطاس ، ٣٠٩ - ٣١٨ جهود المرزباني في تكوين رؤية نقدية شاملة من خلال كتابيه (معجم الشعراء) و (الموشح) - قيس كاظم الجنابي ١٨٥ - ٢٠٠ عمر بن عبدالله العبلي حياته وما بقي من شعره - الشيخ مهدي عبدالحسين النجم ٢٥٧ - ٣٠٦ فهرس مخطوطات الروضة الحسينية في كربلاء - سلمان هادي الطعمة ، ٣٩ - ٦٦ القراء والحركة الفكرية في العهود الاسلامية الاولى - د . هادي حسين حمود ، ٢٠٣ - ٢٥٤ المسكوكات الكوفية (القسم الاول) - كامل سلمان الجبوري .

■ الذخائر (بيروت) ع ٢ ، س ١ (١٤٢٠ - ٢٠٠٠) ١٧ - ٥٢ اشكالية عدة القوافي عند الخليل محاولة لرفع الاشكال وتدارك وهم الأخفش - عبدالرحيم الرحوتي ٢٣ - ٤٨ .

جنان الجناس - للصفدي خليل بن ايبك (ت ٧٦٤ هـ) حققه على نسخة فريدة الاستاذ : هلال ناجي (القسم الأول) ٥٥ - ١٣٨ .

شعر محمد بن يسير الرياشي البصري جمع وتحقيق وتقديم المرحوم : د . محمد جبار المعيبد و د . مزهر عبد موزان السوداني ٢٤٣ - ٢٨٤ .

فهرس مخطوطات مكتبة الروضة الحسينية في كربلاء (القسم الثاني) سلمان هادي آل طعمة ٢٩٣ - ٣٢٥ .

قراءة في تحقيق محمد رضوان الداية للحماسة المغربية - ادريس الكريوي ، ١٣٩ - ١٦٦ .

محمد زينير اللطام حياته ورسائله وفهرسه - أحمد العراقي ١٦٩ - ٢٢٥ .

المسكوكات الكوفية (القسم الثاني) - كامل سلمان الجبوري ٢٨٧ - ٢٩١ .

ملامح من التفسير الجغرافي للتاريخ عند المسعودي - د . هادي حسين حمود ، ٢٢٩ - ٢٤٠ .

المؤرخ البغدادي يعقوب سركيس - معن حمدان علي ٥ - ١٦ هل وقع في القرآن ترادف - رشيد عبدالرحمن العبيدي .

● الذخائر (بيروت) ع ٣ ، س ١ (١٤٢٠ - ٢٠٠٠) ٣١٥ - ٣٤٥ .

الحرب والقتال في شعر ابي تمام - مزهر السوداني ٤٩ - ٩٨ .

زهير جناب الكلبي حياته وشعره دراسة وتحقيق الاستاذ قيس كاظم الجنابي ٩٦ - ١٨٨ .

شعر المأمون العباسي دراسة وتحقيق الاستاذ عبدالعال اللهيبي ٢٦٥ - ٣١٢ .

فهرس مخطوطات مكتبة الروضة الحسينية في كربلاء (القسم الثالث) سلمان هادي آل طعمة ٢٠٧ - ٢٦٢ .

المسكوكات الكوفية (القسم الثالث) كامل سلمان الجبوري ، ١٨٩ - ٢٠٤ .

مقادير الاوزان والنصب الشرعية من سكة الموحدين - لابي محمد عبدالواحد بن ابي السداد الباهلي المالقي المتوفى سنة ٧٠٥ هـ تقديم وتحقيق الاستاذ رشيد العفاقي .

مطبوعات وردت الى المجلة :

اعداد نجلة محمد

* من اصدارات الاكاديمية الملكية المغربية

سلسلة الندوات - صدر كتاب بعنوان « هجرة المغاربة الى الخارج » وهو بحوث ومناقشات الندوة التي عقدتها لجنة القيم الروحية والفكرية التابعة لاكاديمية المملكة المغربية ..

الرباط- ٢٥ - ٢٦/ ذو الحجة / ١٤١٩ هـ/ ١٢ - ١٣ / مايو/ ١٩٩٩

الكتاب ذو محاور ثلاثة ، الاول ، بعنوان «الهجرة ظاهرة انسانية وحضارية» كتبت فيه العنوانات « دواعي الهجرة واهدافها المختلفة » بقلم عبد الكريم غلاب و « هجرة المغاربة الى الخارج في دلالاتها الاقتصادية والعلمية » بقلم المكي بن الطاهر .. وهجرة الأيدي العاملة والأدمغة المفكرة ، اي مكاسب وايّ خسائر؟ ثم الهجرة السرية دوافعها وتداعياتها وكيفية معالجتها »

اما المحور الثاني فقد جاء تحت عنوان « تفاعلات الهجرة ونتائجها المختلفة في المجال الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والقانوني» واخيراً في المجال المهني والتكنولوجي » ...

اما المحور الثالث فقد جاء عنوانه الهجرة والهوية وتناول الموضوعات؛ « تأثير الهجرة في اضعاف الانتماء الثقافي والوطني . وانفصام حلقات الاجيال عن بعضها لدى المهاجرين المغاربة واثره في الانسلاخ من الهوية .. والموضوع الثالث عن صورة للمغرب من خلال واقع المهاجرين والرابع الحفاظ على الهوية ، الدين ، اللغة ، دور الدولة ، دور المجتمع المدني ، دور المهاجرين ، دور التعاضديات والجمعيات».

* ومن مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية - سلسلة الدورات - صدر كتاب « هل يشكل انتشار الاسلحة النووية عامل ردع ؟ ! » . وهو العروض والمناقشات المتعلقة بموضوع الدورة الربيعية التي عقدت لتدارس الموضوع ، والتي كان فيها « الردع النووي المتبادل حصر الصراع بين القطبين » بقلم عبد الهادي بو طالب و « التباسات ومفارقات بخصوص انتشار الاسلحة النووية » بقلم ادريس خليل .. و « تأملات حول الردع النووي في عالمنا المعاصر » بقلم أحمد صدقي الدجاني وقد خصص نصف الكتاب الآخر لبعض تلك البحوث والمناقشات التي شهدتها الندوة .